وزارة التعليــم العالــي والبحــث العلمــي

جـامعـة وهـران -2- محمـد بـن احمـد

كليــة العلــوم الاجتمــاعيــة

قســم علــم النفــس و الارطـوفونيــا

أطروحـة لنيـل شهـادة دكتـوراه علـوم تخصـص علـم النفـس العيـادي

المدرسة الدكتورالية : دراسة الجماعات و المؤسسات

بعنـــوان:

تصوّر و معاش الرابط العائلي عند الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية

- دراسة عيادية لأربع حالات -

إعداد الطالب:

قليــل محمـد رضــا

تحت إشراف:

أ.د / فسيان حسين

أعضاء لجنة المناقشة

بولجراف بختاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 2	رئيسا
فسيان حسين	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 2	مشرفا مقررا
كحلولة رحاوي سعاد	أستاذة التعليم العالي	جامعة وهران 2	مناقشا
بشلاغم يحي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مناقشا
لكحل مصطفى	أستاذ محاضر – أ-	جامعة سعيدة	مناقشا
سجلماسي محمد الأمين	أستاذ محاضر – أ –	جامعة تلمسان	مناقشا

السنـــة الجامـعيــة 2018-2019

إهـــــــــــــــــداء

إلى روح أبي – رحمه الله – و إلى أمي حفظها الله

إلى زوجتي الغالية و ابني الغالي – محمد أيوب –

إلى إخوتي الأحباء

إلى أساتذتي و زملائي و طلبتي و إلى جميع الأقارب و الأحباب الذين شجعوني و ترقبوا إكمالي لهذا البحث

إلى كل من تعاون معي لإتمام دراستي

إلى كل هؤلاء أهدي لهم هذا العمل

محمد رضا

كلمـــــــة الشكـــــــــر

الحمد لله على أن أعانني على إتمام هذا العمل

أتقدم بكل عبارات الشكر و العرفان و التقدير إلى أستاذي الفاضل"حسين فسيان " الذي أشرف على مذكرتي و على جهده المتميّز معي و على الخبرة و الدقة التي استفدت منها و على وقته الثمين الذي لم يبخل فيه من تقديم النصح و التوجيه كما أنه لم يتوانى لحظة في توجيهي إلى ما هو صواب.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكلّ من أعضاء لجنة المناقشة

أشكر مدراء المراكز و النفسانيين على تعاونهم معي و أشكر الحالات التي شملتهم دراستي

الشكر الجزيل للزوجة الكريمة التي رافقتني و ساندتني و تحمّلت انشغالي بهذا العمل حتى أنجزت مذكرتي

محمـــد رضـــا

ملخص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى محاولة التعرّف على معاش و تصوّرات الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية للروابط الأسرية و عن تصوّراتهم للعائلة. بالإضافة إلى محاولة التعرّف على تفسيراتهم عن تأثير المعاش العائلي اليومي في ظهور السلوكيات المنحرفة لديهم، و التعرّف كذلك على أهم التصوّرات التي يحملونها عن السلطة و الصورة الوالدية. هذه الدراسة أقيمت على أربع حالات من الجنسين، فاطمة 17 سنة، مروة 14 سنة، محمّد 16 سنة، صارة 16سنة، مقيمين بمراكز إعادة التربية بتلمسان وسيدي بلعباس. و قد استخدم في هذه الدراسة منهج دراسة الحالة بغرض توفير بيانات مفصّلة عن موضوع الدراسة كما أنه يقدّم في الوقت نفسه تفسيرا واقعيا للعوامل المرتبطة بهذا الموضوع. أمّا عن أدوات الدراسة فقد استخدمت مقابلات فردية مع الحالات مع استعمال دليل المقابلات و تم اختيار طريقة سرد الحياة باعتبارها الطريقة التي تتماشى مع طبيعة و أهداف هذه الدراسة و تم معالجة البيانات من خلال استخدام تحليل محتوى ما تمّ سرده من قصة حياة الحالات. و عليه تمّ التوصل إلى مجموعة من النتائج أهما:

- وجود تصّور و معاش سلبي لدى الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية للروابط العائلية.
- يتصوّر الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية ظهور السلوكيات المنحرفة أنها إجابة على تفكك الروابط العائلية وعلى الإقصاء العائلي الذي يعيش فيه.
- يوجد انعدام للسلطة الوالدية في تصوّر الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية بسبب غياب الرقابة الوالدية و القواعد المفروضة داخل المنزل.
- يوجد اضطراب للصورة الوالدية في تصوّر الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية لعدم قدرة النموذج الوالدي تلبية توقعاته .

الكلمات المفتاحية: الجنوح – الجانح – الروابط العائلية — التصوّر العائلي — المعاش العائلي – مراكز إعادة التربية – السلطة الوالدية الرقابة الوالدية– الصورة الوالدية– النموذج الوالدي.

فهرس الدراسة

- إهداء...أ
- كلمة الشكر...ب
- ملخص الدراسة ....ت
- فهرس المحتويات...ث
- المقدمة 01

الجانب النظري

الفصل الأول : مدخل الدراسة

1- الإطار النظري للدراسة :..05
2- الدراسات السابقة :...10
3- إشكالية الدراسة :..27
4- فرضيات الدراسة : 32
5- التعريف الإجرائي للمفاهيم الأساسية للدراسة :..................................33
6- أهداف الدراسة : 34
7- أهمية الدراسة : 35
8- أسباب اختيار موضوع الدراسة:...36

الفصل الثاني : التصـــــــوّرات

1- تعريف التصوّرات : 39
2- وجهة نظر بعض المؤسسين لهذا المصطلح : 41
3- المقاربات المختلفة لمصطلح التصوّر : 43
4- بعض المفاهيم المتداخلة مع التصوّر : 61

5- أبعاد التصوّرات: 64
6- مميّزات التصوّرات : 65
7- السيرورات التي تساعد على تكوين التصوّرات : 66
8- أنواع التصوّرات: 68

الفصل الثالث : المعاش،الروابط العائلية و الجنوح

I- مفاهيم العائلة و الأسرة: 71
1- تعريف العائلة: 71
2- خصوصية العائلة: 71
3- الافتراضات العائلية: 72
4- مفهوم الأسرة: 72
5- خصائص الأسرة: 74
6- المسألة الأسرية: 76
7- التربية الأسرية: 76
8- الأساليب التربوية: 77
9- دور الأب في الأسرة : 78
10-دور الأم في الأسرة : 84
11-العلاقة بين الوالدين و تأثيرها على النمو النفسي للأبناء : 85
II- الروابط العائلية: 86
1- تعريف الروابط : 86
2- الروابط العائلية: 87
3- العوامل التي تؤثر على وجود الروابط الأسرية : 89
4- مفهوم العلاقات الأسرية : 90
5- النسق الأسري : 92
6- التوافق الأسري : 93
7- العوامل التي تؤدي إلى التوافق الأسري : 93
8- تفكك الروابط العائلية و عملية التنشئة الاجتماعية للطفل : 94
9- السياق الاجتماعي الأسري و نمو الطفل : 94
10-ضعف الرابط الاجتماعي : 96

III- **معاش الجانح في العائلة :**..99
1- تأثير العائلة على سلوك الفرد:..99
2- الأسباب العائلية للانحراف:..102
3- مدى تأثير التكوين النفسي على انحراف الأحداث:..106
4- التصدع الأسري:..107

الفصل الرابع: الجنوح

1- مفهوم الجنوح: 112
2- مفهوم الحدث:..118
3- الأحداث المذنبون : 123
4- مفهوم جنوح الأحداث: 123
5- النظريات المفسرة للجنوح : 125
6- العوامل المؤدية إلى الجنوح : 136

الفصل الخامس : الجانح و مراكز إعادة التربية

1- ظاهرة إنحراف الأحداث في التشريع الجزائري : 151
2- كيفية التحقيق مع الحدث الجانح والتدابير المتخذة بشأنه..153
2-1- تشكيل قسم الأحداث:..155
أ- تشكيل قسم الأحداث في حالة الحدث الجانح:..155
ب- تشكيل قسم الأحداث في حالة الحدث في خطر معنوي:..155
3- الإجراءات المتخذة في شأن الحدث الجانح المدان 156
3-1- التدابير و العقوبات المقررة للأحداث الجانحين أنواعها و طبيعتها:..156
4- مراكز و مؤسسات الأحداث الجانحين..164
4-1- المراكز المخصصة للأحداث الجانحين:..164
أ- مراكز إعادة التربية و إدماج الأحداث: 165
ب- مراكز إعادة تربية و إدماج الأحداث و الأجنحة المخصصة للأحداث بالمؤسسات العقابية:..167
ت- المراكز المخصصة للأحداث في خطر معنوي : 168
ث- المراكز المتعددة الخدمات لوقاية الشبيبة:..170

الجانب التطبيقي

الفصل السادس : الإجراءات المنهجية للدراسة

1- مجريات الدراسة :...174
2- منهجية الدراسة : 174
2-1- منهج الدراسة:...175
2-2- الحدود المكانية للدراسة:...175
2-3- الحدود الزمنية للدراسة:..176
2-4- حالات الدراسة:..177
3- أدوات الدراسة:...179
3-1- المقابلات الفردية:..179
3-2- سرد الحياة:..181
3-3- دليل المقابلات:...185
3-4- تحليل المحتوى:...190

الفصل السابع : عرض و مناقشة نتائج الدراسة

I- **عرض نتائج الدراسة**:...194
1- عرض نتائج دراسة الحالة الأولى:...194
1-1- عرض محتوى استجابات سرد حياة الحالة الأولى:...194
أ- تقديم الحالة:...194
ب- تقديم سرد حياة الحالة الأولى:...196
1-2- تحليل محتوى سرد حياة الحالة الأولى:..205
أ- الأسرة و المعاش اليومي:...205
ب- الأب وغياب الحدود:...208
ت- صورة الأب:..211
ث- صورة الأم:...213
ج- الحاجة إلى الاهتمام و الاعتراف:...214
ح- الأقران بديلا عن الأولياء:..216
خ- عامل الندامة:...219

2- عرض نتائج دراسة الحالة الثانية:..221
2-1- عرض محتوى استجابات سرد حياة الحالة الثانية:...221
أ- تقديم الحالة:...221
ب- تقديم سرد حياة الحالة الثانية:...222
2-2- تحليل محتوى سرد حياة الحالة الثانية:...227
أ- إخفاق الوظيفة الوالدية:...227
ب- الصورة و النموذج الوالدي:..230
ت- غياب المكانة داخل الأسرة:...232
ث- غياب الحوار و العلاقات الإنسانية داخل الأسرة:..234
3- عرض نتائج دراسة الحالة الثالثة:..237
3-1- عرض محتوى استجابات سرد حياة الحالة الثالثة:...237
أ- تقديم الحالة:...237
ب- تقديم سرد حياة الحالة الثالثة:...238
3-2- تحليل محتوى سرد حياة الحالة الثالثة:...247
أ- المعاش الأسري:...247
ب- مسألة الأب المحبوب لكنه ليس الأب المثالي:..251
ت- مسألة الأم المتعددة الأوجه:...253
ث- الانحراف و مسألة الرفاق:...255
4- عرض نتائج دراسة الحالة الرابعة:..259
4-1- عرض محتوى استجابات سرد حياة الحالة الرابعة:...259
أ- تقديم الحالة:...259
ب- تقديم سرد حياة الحالة الرابعة:...260
4-2- تحليل محتوى سرد حياة الحالة الرابعة:...265
أ- التصوّرات السلبية للوضعية الأسرية:...265
ب- فقدان الأب هو فقدان العمود الفقري:...268
ت- الأب و غياب وظيفة القانون:...271
ث- الانحراف و الصورة السلبية للأب:...274

II- **استنتاج عام عن تحليل سرد حياة الحالات الأربعة :** 280

III- **مناقشة نتائج الدراسة:**...289

1- مناقشة الفرضية الجزئية الأولى:...289

2- مناقشة الفرضية الجزئية الثانية:...300

3- مناقشة الفرضية الجزئية الثالثة:...307

4- مناقشة الفرضية الرئيسية:... 312

الخاتمة:...321

إسهامات علمية :...325

قائمة المراجع:...329

قائمة اللاحق:...338

المقدمـــــة:

يعد الانسجام العائلي و خلو الجو الأسري من الاضطرابات السلوكية و الانفعالية عاملا مساعدا لنمو الطفل نموا سليما، كما أن التفاعل الايجابي بين الآباء و الأولاد يسهم في ظهور السلوك السوي و في بناء شخصية سوية لدى الأبناء.

كما يعد تصدع العلاقات الأسرية الذي يمثّل (النزاع بين الزوجين و الأبناء، الطلاق، التفريق بين الأبناء، غياب أحد الوالدين عن الأسرة) أرضية خصبة و صالحة لإنتاج الجانح باعتبار أن الوالدين هما أكثر الناس تأثيرا في توجيه سلوك الابن و هذا ما هو معترف عليه من قبل المختصين التربويين و النفسانيين و علماء الإجرام.

و لعل تقصير الآباء و الأمهات في تربية أبنائهم و جهلهم للأساليب التربوية الصحيحة، يجعل أبناءهم يقعون في منزلق الانحراف في المستقبل و سيدفع بالابن إلى الجنوح أو قد يدفعه إلى الهروب من حضن العائلة و يفتح الباب أمام الأبناء ليتصرّفون حسب هوامهم دون الالتزام بأي قانون أو عرف اجتماعي أو الانضمام إلى زمرة الجانحين و المجرمين. فيجدون عالما آخرا و متنفسا يتنفسّون عن مكبوتاتهم و من ثمّ لا يتورع عن ارتكاب أي فعل منحرف.

دراسة موضوع الجنوح و دور الأسرة في ظهور هذه المشكلة، يجعلني أركّز اهتماماتي و دراستي عن الجانح في خصوصيته. فلعل أهم عنصر في دراسة هذا الموضوع هو الجانح في حدّ ذاته، لهذا كان المنطلق من هذه الدراسة هو دراسة الجانح في فردانيته و الاهتمام بتصوّراته و معاشه للروابط الأسرية. هذه الدراسة ستسمح لي التطرّق إلى إعادة تسطير تاريخ حياة الجانحين عن طريق شهاداتهم و خبراتهم التي عايشوها و التي ساهمت في تشكيل شخصيتهم.

تتمثل أهمية هذه الدراسة في محاولة توفير القدر الكافي من المعلومات و البيانات التي تتعلّق بشخصية الجانحين، حول معنى قيامهم بالأعمال الجانحة و عن خبراتهم الأسرية من أجل تحديد العوامل الكامنة التي أثّرت على

الانتقال إلى السلوك المنحرف و ربط ذلك بمعاشهم العائلي. كذلك تتمثّل أهمية هذه الدراسة في المساهمة في لفت الانتباه لدور علاقة الجانح و عائلته و أهم الأفكار و المشاعر و الأحاسيس التي يحملها اتجاه أسرته و التي أعتقد أنها الدافع وراء ظهور سلوكياته المنحرفة.

من هذا المنطلق، سوف أحاول من خلال هذه الدراسة إلى الإجابة على العديد من التساؤلات التي تبحث عن تفسير ظهور الأفعال الجانحة ، انطلاقا من عدة تساؤلات و بداية من التساؤل الرئيسي الذي يبحث عن كيفية تصوّر و تعايش الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية للروابط العائلية؟ كما تفرّع عن هذا التساؤل ثلاث تساؤلات فرعية تتطرّق كلّها إلى تفسير تأثير المعاش العائلي للجانح في ظهور السلوكيات الجانحة لديه و عن أهم التصوّرات التي يحملها الجانح عن علاقته بالسلطة الوالدية و عن الصورة التي يحملها عن والديه؟

سأقوم في هذه الدراسة بدراسة إكلينيكية لأربع حالات جانحين من الجنسين مقيمين بمراكز إعادة التربية (مركز تلمسان و مركز سيدي بلعباس) و قد تم التوصّل إلى هذه الحالات بعد القيام بدراسات استطلاعية على العديد من المراكز قصد إيجاد حالات تخدم أهداف دراستي. و قد اقترحت لأجل ذلك فرضية رئيسية مفادها وجود تصّور و معاش سلبي لدى الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية للروابط العائلية. و تفرعت منها ثلاث فرضيات تتطرّق كلّها إلى تصوّرات الجانحين لمعاشهم العائلي و الأسباب الكامنة وراء ظهور الأفعال الجانحة لديهم و عن المكانة و الصورة التي يحملونها عن والديهم.

لأجل تحقيق كلّ هذا سيتم تقسيم هذه الدراسة إلى سبعة فصول منها نظرية و تطبيقية، يتضمن الجانب النظري في **الفصل الأوّل** المتمثّل في مدخل الدراسة الذي سيتناول (الإطار النظري المتّبع في هذه الدراسة و بعض الدراسات السابقة التي لها علاقة مع موضوع هذه الدراسة، إشكالية الدراسة و فرضياتها و كذا التعاريف الإجرائية لأهم متغيرات الدراسة كما سيتناول هذا الفصل أهداف و أهمية الدراسة و في الأخير إلى أسباب اختيار الموضوع الدراسة).أما **الفصل الثاني** سيتناول موضوع التصوّرات و التطرّق إلى أهم تعاريف و أبعاد و مميّزات و أنواع

التصوّر. فيما يخص **الفصل الثالث** سيتناول المعاش و الروابط العائلية و الجنوح الذي سيتطّرق إلى تأثير الأسرة في ظهور السلوكيات الجانحة لدى الجانح، أمّا **الفصل الرابع** فقد خصص إلى دراسة موضوع الجنوح و إلى أهم المفاهيم و النظريات المتعلّقة بهذا الموضوع. أما الفصل الأخير في الجانب النظري هو **الفصل الخامس** و الذي سيتطرّق إلى موضوع الجانح و مراكز إعادة التربية. أمّا الجانب التطبيقي فقد قسّم إلى فصلين **الفصل السادس** و هو فصل الإجراءات المنهجية للدراسة و الذي تم توضيح أهم مجريات الدراسة بداية من منهج الدراسة إلى مكان و مدة الدراسة و إلى نوع الحالات المختارة و أهم الأدوات المستعملة في هذه الدراسة. أخيرا **الفصل السابع** فقد خصّص لعرض و مناقشة أهم نتائج المتوصّل إليها في هذه الدراسة و في الأخير ختمت دراستي هذه بخاتمة و بمجموعة من الإسهامات العلمية.

الجانب النظري

الفصل الأوّل : مدخل الدراسة

1-الإطار النظري للدراسة

2-الدراسات السابقة

3-إشكالية الدراسة

4-فرضيات الدراسة

5-التعريف الإجرائي للمفاهيم الأساسية للدراسة

6-أهداف الدراسة

7-أهمية الدراسة

8-أسباب اختيار موضوع الدراسة

1- الإطار النظري للدراسة :

تعددت وجهات النظر و الآراء في تفسير سلوك الانحراف فقد حاولت العديد من النظريات النفسية إعطاء تفسيرات نظرية لهذه الظاهرة حسب الزاوية التي ينظر إليها أصحاب تلك الآراء إلى ظاهرة الانحراف و هذا ما يبيّن أن علم نفس الانحراف (الإجرام) هو مجال واسع .

و عليه من النظريات التي تبنيتها في هذه الدراسة لتفسير السلوك المنحرف للحالات و ارتباطه بتصوّراتهم و معاشهم للروابط الأسرية من خلال استجاباتهم نجد النظرية النفسية التحليلية بالإضافة إلى تدعيم تفسيري بالنظرية النفسية الاجتماعية:

- **النظرية النفسية التحليلية** التي تحاول فهم السيرورات الشخصية الداخلية للفرد و تعتبر مساهمة التحليل النفسي أساسية في فهم السلوك الجانح و قد اهتمت بدراسة مركبات الشخصية باعتبار أن أي خلل في هذه المركبات يمكن أن تؤدي إلى الانحراف. كما أن هذه النظرية (نظرية التحليل النفسي) ربطت بين مكوّنات الشخصية و الانحراف (أي التوظيف النفسي)، إذ اعتقدت أن السلوك الإنساني يسير على مجموعة من العمليات اللاشعورية أي حالة من الصراع اللاشعوري المستمر. إضافة إلى أهمية مرحلة الطفولة المبكرة من حيث إشباع الحاجات الأساسية. كما ركّزت هذه النظرية في تفسيرها لظاهرة الجنوح على عدة عناصر أساسية هي:

- الاهتمام بدراسة ماضي الطفل و تحليله، و كلّ ما يتعلّق بالأحداث أثناء الطفولة الأولى بصدماتها و احباطاتها و حوادثها و كل ما يمكن أن يحدث معانات نفسية أو يثير اضطرابات في التركيبة النفسية للفرد. بهدف تفسير ما قد يحدث له في الحاضر، نظرا للأثر الذي تتركه الطفولة المبكرة خاصة العلاقة بالوالدين و أثرها على تشكيل شخصية الطفل الراشد فيما بعد. و في إطار هذه النظرية فإن ظاهرة الانحرافات الاجتماعية في البشر، تكون

نتيجة صراع مستمر في نفوس بعض الأشخاص نتائج عن حالات مرضية نفسية والتي تتمثل في الاختلالات الغريزية والعواطف المنحرفة والأمراض النفسية والتخلف النفسي. فيرى Freud أن "شخصية الفرد تتأثر إلى حد كبير بالعوامل النفسية التي تتكوّن خلال مرحلة الطفولة، إذ تبقى رواسب هذه المرحلة عالقة بشخصية الفرد وتصبح دافعا لا شعوريا لسلوكه وتصرفاته، فالجريمة تعبير عن طاقة غريزية لم تجد لها مخرجا اجتماعيا، فأدت إلى سلوك لا يتفق والأوضاع التي يسمح بها المجتمع. كما يشير (Freud 1908) إلى أن " الذكريات اللاشعورية تلعب دورا مانعا في وظيفة العرض المرضي (جعدوني،2011: 15). فكل مفحوص يحمل قصة حياته تختلف عن باقي القصص ما يسمى في العمل العيادي (l'anamnèse) من خلالها يحاول النفساني إيجاد الأسباب التي أحدثت الاضطرابات الحالية.

- دور الحياة الجنسية و الصدمات النفسية في ظهور الاضطرابات المرضية، فالصدمة مهما كان نوعها في مرحلة عمرية معينة تحتل مكانة في الجهاز النفسي و تترك آثار فيه فتحدث استثارة نفسية يعجز التخلص عنها.

- الاضطراب المرضي هو أمر يعمل كحيل دفاعية لإخفاء الاضطراب الحقيقي. بمعنى أن الأعراض الملاحظة هي تعبيرا عن اضطراب يكون لاشعوريا، و يعتبر القلق عاملا مشتركا بين كل الاضطرابات النفسية كونه أوّل نتاج لعملية الصراع اللاشعوري (جعدوني،2011: 17)

- عالمية عقدة أوديب التي تعد مجموعة أحاسيس و تصوّرات لاشعورية ترافقها قوة عاطفية تنظّم الشخصية في عواطفها و توجه سلوكياتها. و هي تحمل مشاعر الحب/الكره اتجاه الوالدين، و تحل بتقمص صورة الأب من نفس الجنس و التخلي عن حب الأب من الجنس المغاير.

- النظرية النفسية لم تعطي للفعل المنحرف أهمية كبرى بل أعطته قيمة رمزية و قيمة عرضية و حسبها أن هذا السلوك هو التعبير المباشر عن الحاجات الغريزية و التعبير الرمزي عن الرغبات المكبوتة، أو هو نتاج عن "أنا" غير

متكيّف بين متطلبات "الأنا الأعلى و الهو". فالانحراف ناتج عن صعوبة انفعالية لاشعورية و أن وراء السلوك المنحرف جملة من الدوافع الفطرية التي يشار إليها بالغرائز، تلك الدوافع اللاشعورية التي لا يدركها الفرد.

المنحرف إذن هو ذلك الشخص الذي لم يتمكّن من التحكّم في غرائزه و نزواته. و لكي يحقّق التوازن لابد أن تكون " الأنا" قوية و توافق بين "الهو" و "الأنا الأعلى" و لما يكون الأنا ضعيفا و يخضع لسيطرة الهو، يسود مبدأ اللذة على الواقع، فيلجأ الفرد إلى تحطيم العوائق و يصبح سلوكه منحرفا، فالحرمان من الأم يلعب دورا في عدم نمو الأنا، كما أن اضطراب الأنا الأعلى يساعد في الجناح(خلايفية،2012: 179). و في إطار هذه النظرية التي يعززها مجموعة من الباحثين على رأسهم عالم النفس النمساوي فرويد Freud حيث يرى أن الجانح يرتكب أفعاله المضادة للمجتمع بحثا عن العقاب و هو يفعل ذلك لأنه مدفوع بمشاعر ذنب شديدة و الرغبة في تأنيب الذات ناتجة عن أنا أعلى مفرط في قسوته. كما يطالب بالعقاب بشكل دوري لكي يهدأ أو يعود بسبب نشأة هذا الأنا الأعلى العنيف إلى فشل حل عقدة أوديب، حيث يظل الطفل متعلّقا بأمه و مشحونا بالنوايا العدوانية اتجاه الأب. أما لاغاش (Lagache) فيرى أن شخصية الجانح يمكن معرفتها من خلال دراسة اضطرابات التماهي و الإدماج الاجتماعي، كما يأخذ اضطراب التماهي طابع الفشل في إقامة علاقات أولية إيجابية مع الأم في البداية ثم مع المحيط الأسري بعد ذلك، و هذا الاضطراب هو المسئول عن بعض السمات التي يوصف بها سلوك المجرم (انعدام اعتبار الآخرين).

- كل سلوك ظاهر أو باطن يصدر عن الإنسان مقيّد حتما بظروف سابقة و دوافع معينة و أحداث محددة. أي أن التكوين النفسي و البيولوجي هو الذي يدفع بالفرد إلى الانحراف. يمكن القول بأن نظرية التحليل النفسي و بأن Freud و من خلال أبحاثه في إطار تحليله للحياة النفسية للأفراد، يشير إلى أن السلوك البشري هو نتاج لمجموعة من العوامل مر بها الفرد في حياته الماضية و تركت أثرا كبيرا في تكوينه النفسي و الشخصي" حيث يقدم

لنا تفسيرا للسلوك الجانح باعتباره نتاجا للصراعات الناجمة عن القوى اللاشعورية و القوى الشعورية " لتنطلق الشهوات و الميول الغريزية من قيودها لتلتمس الإشباع عن طريق السلوك الإجرامي(زرارقة، 2005: 82).

– المنظور الثاني الذي اعتمدت عليه في هذه الدراسة لتفسير السلوك المنحرف للحالات و ارتباطه بتصوّراتهم و معاشهم للروابط الأسرية هو **المنظور الاجتماعي و النفس الاجتماعي**. حيث أن أفعال الجنوح هي أفعال اجتماعية، بمعنى متعلّقة بعلاقات بين الأفراد. لا يمكننا فهم سلوك ما و أن نعالج الجنوح بدون الرجوع إلى المجتمع الذي يعيش فيه الطفل، فمن خلال المجتمع قوانينه و عاداته و قواعده يمكن تعريف الجنوح و الانحراف.

و تركز النظرية النفسية الاجتماعية على دراسة السلوك الجانح كظاهرة اجتماعية تخضعه في شكلها و أبعادها لقوانين المجتمع، بالإضافة إلى أن نقطة التقاء هذه النظريات في دراسة الجنوح كمتغير اجتماعي. و يؤكد إنريكو فيري (Ferrie) في كتابه " علم الاجتماع الجنائي " على الأسباب و النتائج الاجتماعية للانحراف و الجريمة، فهو يرى أنها تنتج عن الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الطفل المنحرف ككثافة السكان و الديانة و بنية العائلة و نظام التربية و الإنتاج الاقتصادي و الكحولية (كركوش، 2011: 78) .

تفسير استجابات الحالات استناد على المنظور النفسي و الاجتماعي يكمن في توضيح وجود علاقة مباشرة بين السلوك المنحرف و المحيط الاجتماعي و الظروف البيئة و الأسرية الذي يعيش فيه الابن. فمعظم السلوكيات المنحرفة هي ثمرة تعلّم تلك السلوكيات أكثر ممّا هي ناتجة عن المخزون الوراثي، فهو سلوك مكتسب بالتعلّم بمعنى أن الطفل لا ينشئ منحرف طبيعيا (فطريا) بل يتعلّم الانحراف عن طريق ملاحظة النماذج أو بالتجربة المباشرة أي التشرب للجنوح.

في هذه الدراسة تحمل الأسرة (كبيئة اجتماعية) مكانة كبيرة في تفسير السلوكيات الجانحة لدى حالات الدراسة. باعتبار أن العديد علماء النفس يدّعون أن كل هذه المشاكل تجد تفسيرها داخل الخلية الأسرية التي لم تتمكن من

التوجيه و التربية السليمة، بالإضافة إلى الحرمان العاطفي و الإساءة في المعاملة و لعدم احتلال الابن مكانة عند والديه. كما أن للصراعات و الخلافات المتكرّرة التي تحدث بين الزوجين في إطار حياتهما اليومية دورا كبيرا في تكوين شخصية الطفل غير السوية. فنتيجة إلى إخفاق الوظيفة الوالدية المتمثلة في الاهتمام و السلطة (wallon 1952) و أمام غياب القيم الاجتماعية و الأخلاقية داخل الأسرة و نظرا لتفكك المحيط الأسري و انعدام المعايير و القواعد الأسرية، يصبح من السهل على الحالات ارتكاب سلوكيات تحاول من خلالها الهروب من الظروف المعيشية المحيطة بها.

كما أركّز في تفسيري لنتائج هذه الدراسة إلى دور الأب في تحديد سلوك الابن اعتمادا على دراسات le Camus الذي خصّص جانبا هاما في حياته البحثية في هذا المجال. من المؤكّد أن الأب يوقع حضوره في تكوين شخصية و التنشئة الاجتماعية للطفل، ليساعده في النمو هو مرافقة الطفل في اتجاهه نحو استقلاليته.

يرى Le Camus أن الأب الشريك و المتميز في تأدية مهامه و الذي يولي لكل أمر اهتمامه، هذا الاقتراب يعطي نوع من الحضور، المواظبة، الشعور بروح المسؤولية و الوعي بتقديم وظيفة و دور الأب هو ما يعني أيضا تعهده للقيام بالأعمال الملموسة اليومية أثناء عنايته بأطفاله و على كيفية التدخل المباشر على الصعيدين الجسدي و النفسي(Le Camus,2011 :p179).

2- الدراسات السابقة :

تعتبر الدراسات و البحوث السابقة مرجعا للباحثين في فهم و استيعاب طبيعة المشكلة المطروحة، و ذلك من خلال ما يتوفر لهم من معلومات و معطيات تخص المشكلة بحد ذاتها و كذا ما يتم التوصّل إليه من نتائج.

و على الرغم من هذه الدراسات التي سوف أقدّمها هي دراسات كمية و تعتمد على العمليات الإحصائية على عكس دراستي الحالية التي تعتمد على التحليل النفسي و كذا دراسة الحالة إلاّ أنها كلّها اهتمت بالجانح و علاقته بالأسرة و أن نتائجها كذلك تخدم دراستي هذه.

و بهذا سأعرض بعض الدراسات العربية و الأجنبية لها علاقة بموضوع دراستي الحالية و أعرض أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها.

أوّلا: الدراسات العربية

1- دراسة أنور الشرقاوي (1970)

حملت الدراسة عنوان: أبعاد مفهوم الذات لدى الجانحين و هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أبعاد مفهوم الذات لدى الجانحين و مقارنتها بأبعاد مفهوم الذات لدى غير الجانحين. و تكوّنت عينة الدراسة من 04 مجموعات، مجموعتين تجريبيتين إحداهما من الأحداث الجانحين، و الثانية من الفتيات الجانحات. و مجموعتين ضابطتين إحداهما من الأولاد غير الجانحين و الثانية من الفتيات غير الجانحات.

و قد أسفرت الدراسة على مجموعة من النتائج أهمها: أن مفهوم الذات لدى الجانحين يختلف عن مفهوم الذات لدى غير الجانحين من حيث التطابق بين الذات المدركة و الذات المثالية، حيث وجدت لدى الجانحين أقل عنه لدى غير الجانحين. كذلك وجود أكبر من التباعد بين مفهوم الجانح عن ذاته و مفهومه عن الشخص العادي. و تشير النتائج أيضا إلى أن الجانحين و الجانحات يتقبلون الآخرين بدرجة أقل ممّا يتقبلون أنفسهم، بمعنى أنه هناك درجة كبيرة من التباعد بين تقبل الذات و تقبل الآخرين لديهم (محمد الطاهر،2006: 133).

2- خالد نور الدين (1979)

عنوان الدراسة هو المساهمة في علم النفس الاجتماعي للشباب الجانحين الجزائريين، و ركزت هذه الدراسة على الطريقة التي يدرك بها العاملون في المراكز المتخصصة لحماية الطفولة للشخص المنحرف و كيفية معالجة التشريع الجزائري للمشكلة، إضافة إلى البحث عن مميّزات الاجتماعية للمنحرف و خصائصه النفسية .

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على ملفات المنحرفين و إجراء المقابلات العيادية وتطبيق رائز تكملة الجمل و رسم العائلة. وطبّقت هذه الأدوات على عينة قدرت ب 108(54 من فئة المنحرفين و أخرى متمدرسة كلّها من الذكور). قام الباحث بتحليل النتائج على أساس دراسة مقارنة بين المنحرفين و غير المنحرفين و بين الفئات المنحرفة نفسها. قدمت النتائج عن العوامل النفسية و الاجتماعية المساهمة في انحراف الأحداث و سوء تكيّفهم و عرض الاضطرابات التي يعاني منا الحدث خاصة على مستوى صورة الذات(تصوّرات الذات السلبية، مشكلات الهوية و الإحباطات المؤثّرة على صورة الذات، المشكلات العلائقية و قلق المستقبل)(كركوش، 2011: 115)

3- دراسة الياسين (1981)

هدف الباحث في دراسته هذه لمعرفة أنواع التفكك الذي يصيب الأسرة و أثر هذا التفكك على الأحداث الذين قد يصبحوا جانحين فيما بعد. كما سعت الدراسة إلى مقارنة النتائج التي توصل إليها الباحث بنتائج بعض الدراسات و الأبحاث في مجتمعات أخرى. و من جهة أخرى فإن الباحث بدراسته هذه حاول لفت أنظار المسئولين إلى المكانة العظمى لدور العائلة في المجتمع.

تمثلت عينة الدراسة من الأحداث الجانحين الذين صدرت بحقهم عقوبة الحجز، و تعتبر هذه الدراسة من الدراسات التجريبية كونها تهدف إلى اختبار فروض البحث عن طريق التجربة، و استخدم الباحث في دراسته المنهج التجريبي عن طريق استخدام عينتين إحداهما تجريبية و أخرى ضابطة.

و قد تحصل الباحث على مجموعة من النتائج كانت أهما :

- 35% من مجموعة الجرائم التي اقترفها أفراد العائلة، اقترفها الأب، و 20% اقترفتها الأم، و 45% اقترفها الإخوة من المجموعة التجريبية.

- الجرائم بشكل العام عند أسر الجانحين أكثر انتشارا منها عند أسر غير الجانحين و خصوصا الجنسية منها.

- أسلوب الضرب و السب أكثر انتشارا عن أسر الأحداث الجانحين منه عند أسر الأحداث غير الجانحين.

- حالات الخصام عند أسر الجانحين كانت تقع على مرأى و مسمع الجانحين بنسبة 63.64% مقابل 37.5% عند أسر الأحداث غير الجانحين.

- الأحداث الجانحين أكثر تشتتا و تفرقا من غير الأحداث غير الجانحين في حالة وفاة الأب أو الأم، و أن أباء و أمهات الأحداث الجانحين يكثر بينهم الزواج في حالة وفاة الطرف الثاني.

- هناك علاقة طردية بين حالات فقدان أحد الوالدين أو كلاهما و بين حالات الجنوح.

- 15% من أسر الأحداث الجانحين قد انتشر بينها الانفصال سواء بالطلاق أو الهجر مقابل 3.33% من أسر غير الجانحين و كانت أعمارهم تقل عن 10 سنوات عند وقوع الطلاق.

- أن أقوى أسباب الطلاق كان بسبب قسوة الأب و يلي ذلك الخلاف مع الأم، الإدمان على المسكرات، مرض الأب بمرض عصبي و زواج الأب من زوجة أخرى. و خلاصة القول أن كلّما زادت نسبة الطلاق زادت معها فرص جنوح الأحداث، و كلّما زادت نسبة حالات الهجر بين الوالدين كلّما زاد احتمال وقوع الأحداث في الجريمة و الانحراف(العكايلة، 2005: 261)

4- دراسة أنور فتحي عبد الغفار (1982)

أخذت الدراسة عنوان: مفهوم الذات لدى بعض الفئات من أطفال المؤسسات الإيوائية الاجتماعية، هدفت هذه الدراسة التطرق إلى مفهوم الذات و علاقته بانفصال الأبناء المقيمين بمؤسسات إيوائية. شملت الدراسة عينة مكوّنة من 142 طفلا من أطفال المؤسسات الإيوائية، تراوحت أعمارهم بين 10- 12 سنة و شملت فئات ممثلة للحرمان (يتيم الأب، يتيم الوالدين، انفصال الوالدين، سوء الحالة الاقتصادية و الاجتماعية). كما تمّ استخدام مجموعة من الأدوات أهمها: اختبار مفهوم الذات للصغار إعداد (محمد عماد الدين إسماعيل)، اختبار الذكاء المصوّر إعداد (أحمد زكي صالح)، استمارة المستوى الاقتصادي و الاجتماعي من إعداد (الباحث 9 و انتهت الدراسة بمجموعة من النتائج أهما : أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الفئات الخمس في المؤسسات الاجتماعية في بعد الإحساس بالتباعد، و بعد تقبل الذات، أو في بعد تقبل الآخرين. لا توجد فروق دالة بين أطفال الرعاية الاجتماعية و العاديين في بعد الإحساس بالتباعد أو في بعد تقبل الذات، أو في بعد تقبل الآخرين .

و قد فسّرت هذه النتائج بأن برامج الرعاية المؤسسية قد تؤدي لعدم وجود فروق دالة بينهم و بين العاديين في معظم النتائج (محمد الطاهر،2006: 128)

5- دراسة حليمة بوخروبة(1984)

تحمل الدراسة عنوان: إعادة تربية الأحداث المنحرفين(دراسة ميدانية في الجزائر)، هدف الدراسة إلى محاولة التعرف على الجوانب النظرية لمعالجة مسألة الانحراف لدى الأحداث و دور مراكز إعادة التربية في ذلك. إلى تحقيق تحسين التخطيط و التنظيم في المجال الاجتماعي و التربوي الذي له انعكاس على مواطنين يعيشون و يتكيّفون بالمستحدثات و المتغيرات. و اعتمدت في هذه الدراسة على عينة مقدرة 100 حدث جانح ذكور و إناث مقيمين بمراكز إعادة التربية و تتراوح أعمارهم ما بين 11- 17 سنة.

نتائج الدراسة تمثلت في تحقيق نظرياتها و المتمثلة في: إعادة تربية الجانح مرهون بالمساعدة التي يجدها عند المربيين. إبعاد الجانح عن وسطه الأصلي يتم إذا كان هذا الوسط ضار له. و أن مراكز إعادة التربية وسط صالح لاستعادة الحدث الجانح توافقه(بوزبرة،2009: 24)

6- دراسة عادل كمال السيّد محمد خضر (1989)

الدراسة تحمل عنوان: دراسة مقارنة بين الأسوياء و الجانحين في أسلوب رسم الذات و الأقران و الأسرة. و الهدف منها كما هو مذكور في العنوان هو مقارنة رسوم الجانحين، تلك المستمدة من أسلوب رسم الذات و الأقران و الأسرة. كما تتضح أهمية هذه الدراسة في إبراز الفروق بين الأسوياء و الجانحين من خلال أسلوب رسم الذات و الأقران و الأسرة. و تكونت عينة الدراسة من مجموعتين من المراهقين : مجموعة أولى تجريبية تكوّنت من 40 حدثا من الأحداث الجانحين، و من مجموعة ثانية تتكوّن من 40 طالبا من طلبة مدارس الأسوياء و تراوح عمر العينة ما بين 14 -17 سنة.

تم استخدام في هذه الدراسة مجموعة من الأدوات أهمها: اختبار الشخصية للمرحلة الإعدادية و الثانوية من إعداد (عطية هنا)، اختبار الذكاء المصوّر من إعداد (أحمد زكي صالح 9، استمارة الحالة الاجتماعية و المستوى الاقتصادي و الاجتماعية من إعداد الباحث، كذلك أسلوب رسم الذات و الأقران و الأسرة من إعداد الباحث كذلك. و قد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: وجود فروق دالة إحصائيا بين الأسوياء و الجانحين على 27 عنصرا لرسم الذات مع الأقران، من بين 48 عنصرا لتحليل رسم الذات مع الأقران. وجود فروق دالة إحصائيا بين الأسوياء و الجانحين على 17 عنصر لرسم الذات مع الأسرة، و وجود فروق بين الأسوياء 23 عنصرا لرسم الذات من بين 31 عنصرا لتحليل رسم الذات(محمد الطاهر،2006: 132)

7- دراسة بقادة (1989)

عنوان الدراسة هو: جنوح الأحداث و علاقته بالوسط الأسري و شملت عينة الدراسة أربعة مراكز لإعادة التربية ثلاثة منها موجودة في الجزائر العاصمة و واحدة موجودة في ولاية بومرداس و يضم الجانحين المحترفين و العائدين، هم ذكور و الذين أكملوا السابعة من العمر و لم يتموا التاسعة عشرة وقت ارتكابهم الجريمة و صدرت بحقهم أحكام جزائية وضعوا على إثرها في مراكز إعادة التربية. تراوحت أعمارهم و بلغ عدد أفراد العينة 90 حدثا جانحا تمت مقابلتهم جميعهم. و قد اعتمدت الباحثة في دراستها على الدراسة الاستطلاعية و الاستكشافية ثم الدراسة الوصفية.

توصلت الباحثة من خلال هذه الدراسة على مجموعة من النتائج أهما:

- أن هناك علاقة سبب بين انخفاض دخل أسر الأحداث الجانحين و بين جنوح أبنائهم .

- 51.11% من أسر الأحداث الجانحين تقيم في شقق، و 53.56% منها تسكن في مساكن تقليدية، 5.56% منها تسكن في مساكن قصديرية، و اتضح أن غالبية أسر الأحداث الجانحين كانت تشكوا من ضيق المساكن و أنها تتقاسم المسكن مع أسر أخرى على الرغم من ضيق المسكن.

6.67% من آباء الجانحين قد هجروا أسرهم بسبب إعادة زواجهم من زوجة أخرى أو السفر إلى الخارج أو الخصومات اليومية المتكررة.

- 66.67% من أسر الجانحين كان يسود أوساطهم الخصومات الشديدة بين الزوجين و ظهر أن 76.67% من الجانحين قد ألقوا اللوم في هذه الخصومات على آبائهم.

- كشفت نتائج الدراسة أن المعاملة التي تلقاها الجانحون من والديهم كانت تمتاز بالقسوة و عدم الاهتمام و اتضح أن مشاعر الجانحين اتجاه آبائهم كانت تتّسم بالكراهية و أن 43.33% منهم قد هربوا من منازلهم و أقاموا في أماكن خطيرة عرضة للانحراف بسبب القسوة في المعاملة و الإهمال و التوتر الأسري الدائم.

- هناك علاقة بين سوء أخلاق الأسر و انحرافاتها و بين جنوح الأحداث بحيث أن النتائج أظهرت أن تناول المسكرات من الآباء و الأمهات هي منتشر في هذه الأسر بالإضافة إلى جريمة السرقة و الجرائم الجنسية و المخدرات هي أكثر أنواع الجرائم انتشارا داخل أسر الجانحين(العكايلة، 2005 : 267).

8- دراسة بن شيخ بختي(1990)

تحمل الدراسة عنوان: التفكك الأسري و أثره في انحراف الأحداث، كما هدفت هذه الدراسة إلى البحث عن نتائج تربوية تساعد على تهيئة الظروف المساعدة على التكيّف العادي في المجتمع انطلاقا من فرضيات أن الحدث الذي يعاني من ظروف التفكك الأسري يكون انحرافه مستهدفا. و أن هناك علاقة بين التفكك الأسري و انحراف الأحداث .

تكوّنت عينة البحث من 240 منحرف و اعتمد الباحث على الطريق الوصفية و التحليلية مع إجراء المقابلات و توصل الباحث إلى وجود علاقة بين المتغيّرات المدروسة و استخلص في نهاية البحث بعض الاقتراحات الوقائية و اقتراحات تمس الجانب العلاجي خاصة على مستوى الأولياء باعتبارهم أساس المشكلة حسب هذه الدراسة. بالإضافة إلى اقتراحات أخرى خاصة بالتشريع مثل معاقبة الأشخاص الذين يدفعون الأحداث نحو التشرد، الاهتمام بقضاة الأحداث و تكون محاكمة الأحداث مستقلة(كركوش،2011: 117)

9- دراسة زينب حميدة بالقادة (1990)

عنوان الدراسة هو: جنوح الأحداث و علاقته بالوسط الأسري ، الهدف من هذه الدراسة تمثل في التعرّف على الظروف الأسرية التي يعيشها الأبناء و مدى تأثيرها على انحرافهم و جنوحهم. و من النتائج التي توصلت إليها الباحثة أن 66.67% من أسر الجانحين كان يشترك فيها الخصام بين الزوجين بالإضافة إلى أن نسبة هجر الأمهات لبيوتهن قدر ب 23.33% و التي كانت أكبر من نسبة الآباء المقدرة ب 06.07% و أن نسبة 94.44% من أباء الجانحين كانوا يستعملون القسوة و 76.67% من أمهات الجانحين كن يستعملن هذا الأسلوب في المعاملة (كركوش،2011: 118)

10- دراسة هدى كشرود (1990)

حملت الدراسة عنوان: العلاقة بين المعاملة الوالدية و بعد العصابية عند الأبناء ، انطلقت هذه الدراسة من الهدف الرئيسي لها و هو التعرف على ما إذا يوجد علاقة بين إدراك الأبناء للمعاملة الوالدية و بعد العصابية (الاتزان الانفعالي)؟، كما ارتكزت هذه الدراسة على مجموعة من التساؤلات منها : هل تختلف المعاملة الوالدية باختلاف المستوى الثقافي للوالدين؟ هل تختلف المعاملة الوالدية باختلاف المستوى الثقافي للآباء ؟ : هل تختلف المعاملة الوالدية باختلاف المستوى الثقافي للأمهات؟

تكوّنت عيّنة الدراسة من 200 طالبا ذكور تتراوح أعمارهم من 15 و 18 سنة. و تمّ التعرف على أبعاد المعاملة الوالدية عن طريق استخبار آراء الأبناء في معاملة الوالدين لشافير (schaffer)، أما بعد العصابية فقد تمّ التعرّف عليه من خلال قائمة آينزك (Eysenck) للشخصية. و قد خلصت نتائج هذه الدراسة إلى أن هناك علاقة بين المعاملة الوالدية و بعد العصابية، كما أظهرت النتائج عدم وجود اختلافات واضحة بين أبعاد المعاملة

الوالدية و المستويات الثقافية للأمهات و اختلفت معاملة الآباء للأبناء باختلاف المستوى الثقافي، في حين لا تختلف معاملة الأمهات باختلاف المستوى الثقافي (كركوش،2011: 118)

11- دراسة القحطاني (1993)

جاءت الدراسة بعنوان: انتقال عناصر الثقافة الانحرافية بين الأحداث، و هدفت هذه الدراسة إلى بيان عوامل انتقال الثقافة الانحرافية بين الأحداث، هذه الدراسة أقيمت على عينة قوامها 100 حدث.

أظهرت الدراسة على نتائج أن : الغالبية العظمى من الأحداث هم من ساكني المدن، و أن لضعف الرقابة الأسرية أثر على سلوك الحدث. إضافة إلى ضعف الوازع الديني للحدث.

كذلك أثبتت نتائج هذه الدراسة أن معظم الأحداث يقضون أوقات فراغهم مع أصدقائهم ممّا يعزز لديهم الشعور بالانتماء و الولاء لهذه الجماعة و أن دوافع الإجرام كثيرة إلاّ أن الاقتران بالصديق السيئ تأتي في المرتبة الأولى من وجهت نظر المبحوثين و أن أبرز مصادر الثقافة الانحرافية لدى الحدث تتمثّل في الأصدقاء ثم أفلام الفيديو ثم التلفزيون و السفر .

كما تبيّن من الدراسة أن الأفراد الذين سبق إيداعهم في دار الملاحظة أكثر من مرة قد تعلّموا أعمال انحرافية من قبل الأحداث الموجودين في المنزل، رغم أن الدراسة أوضحت أن هناك نسبة كبيرة من أفراد العينة من الأحداث 75% ذكروا أنهم استفادوا من وجودهم في دار الملاحظة باكتسابهم العديد من السلوكيات الإيجابية مثل: التمسك بالدين، ممارسة هواية نافعة، تقدير قيمة الدراسة و العودة إلى المدرسة (علي سعد،2005: 75)

12- دراسة الثقيل (1995)

عنوان الدراسة هو: العوامل الاجتماعية المؤدية لانحراف الأحداث- دراسة وصفية مقارنة- و قد أجريت هذه الدراسة على عينتين من الأحداث إحداهما من الأحداث المنحرفين، و الأخرى من الأسوياء. و تمثل حجم العينة في 100، و قد استخدم الباحث الإستبانة كأداة رئيسية لجمع البيانات.

و قد تحصل الباحث على مجموعة من النتائج أهما: أن معاملة الوالد القاسية أو المتساهلة هما الدافع الحقيقي وراء انحراف الأبناء، بمعنى أنه كلما ساءت معاملة الأب للابن أدى كذلك إلى دفع الابن إلى الانحراف. كذلك كلّما زاد إهمال الأب للابن أدى ذلك إلى الانحراف. دلّت الدراسة كذلك إلى أن كلّما تدنى مستوى الحي زادت احتمالات جنوح الأحداث حيث أن الجنوح يزيد في الأحياء الشعبية و يقل في الأحياء المتوسطة ثم في الأحياء الراقية. كذلك أظهرت الدراسة إلى أن كلّما زاد تدني السكن زادت نسبة الانحراف بكثافة عدد المقيمين في الغرفة الواحدة من السكن،وقد يدل هذا على أن العلاقة ليست بمستوى الأحياء بشكل كبير بقدر ما تتمثّل في عدد الأفراد الذين يسكنون في غرفة واحدة (علي سعد،2005: 73)

13- دراسة صيرفي (1996)

جاء عنوان الدراسة على الشكل التالي: التنبؤ بانحراف الأحداث من خلال الخصائص الأسرية و أساليب المعاملة الوالدية و مفهوم الذات، و هي دراسة ميدانية أجريت بالمملكة العربية السعودية، هدف هذه الدراسة إلى تحديد القيمة التنبؤية للعديد من المتغيرات الاجتماعية والأسرية و الاقتصادية و النفسية التي يمكن أن تستخدم في التنبؤ بظاهرة انحراف الأحداث (في المملكة العربية السعودية).

و قد أظهرت نتائج هذه الدراسة، أن أهم المتغيرات الأسرية التي تساهم في الانحراف هي عمر الأب و الأم و المستوى التعليمي لهما و تعدد الزوجات لصعوبة القيام بالعلاقات الجيدة بين الوالدين و الحدث، و لعدم العدل و الإهمال من الآباء بسبب تعدد الزوجات.

أما المتغيرات الأسرية و الاقتصادية التي تساهم في الحامية من الانحراف، فأبرزها المستوى التعليمي و الدخل، فكلما كان المستوى التعليمي للوالدين متقدّما و دخل الأب " الأسرة " يفي بمتطلبات الأسرة، كلما ساعد ذلك بصورة في الحماية من الانحراف.

كما أظهرت الدراسة أن هناك علاقة قوية بين أساليب المعاملة الوالدية و التنشئة الاجتماعية و انحراف الأحداث، حيث تبيّن أن العقاب الجسدي و سحب الحب من قبل الوالدين في تنشئة الحدث قد يؤديان إلى انحرافه(علي سعد،2005: 69)

14- دراسة سليمان محمد سليمان القريع (1999)

عنوان الدراسة هو: عوامل جنوح الأحداث، و هي دراسة ميدانية على نزلاء دار الملاحظة الاجتماعية من طلاب التعليم العام بالرياض، الهدف من هذه الدراسة هو التعرّف على العوامل الأسرية و الاجتماعية و كذلك العوامل الاقتصادية بالإضافة إلى العوامل المدرسية التي تؤدي إلى جنوح الأحداث، كما هدفت الدراسة إلى معرفة أي من هذه العوامل أكثر ارتباطا بجنوح الأحداث.

و قد خلصت الدراسة بمجموعة من النتائج أهمها أن: معظم الأحداث الجانحين تقع أعمارهم في فئة العمرية من 10 إلى أقل من 19 سنة و يدرسون في مرحلة المتوسط و كان يمارسون جنحة السرقة، كذلك أن جنوح الأحداث هو متعلق بالتفكك الأسري و أن لظاهرة الهروب من المنزل يعد عاملا إلى جنوح الأحداث. كما

توصلت الدراسة إلى أن مستوى دخل أسر الأحداث هو منخفض و أن المدرس و التحصيل الدراسي علاقة بجنوح الأحداث.

توصلت الدراسة إلى تأثير ضعف العلاقة بين ولي أمر الطالب بالمدرسة على جنوح الأحداث و انتهت الدراسة بمجموعة من التوصيات التي تسهم بصورة عملية في بناء برامج مناسبة للحد من انتشار هذه الظاهرة(علي سعد،2005: 67)

ثانيا: الدراسات الأجنبية

1- موريس بوروا (1948)

حملت الدراسة عنوان: الحالة العائلية للأطفال المنحرفين في الجزائر العاصمة. (كركوش،2011: 113) أهداف هذه الدراسة تمحورت حول التعرف على العوامل العائلية التي تقود إلى انحراف الأحداث. كما هدفت هذه الدراسة إلى التعرّف على أثر شجار الوالدين في انحراف الأحداث مركزة على الخصائص الشخصية للوالد (كالسمعة السيئة، الإجرام، الإدمان على الكحول) و تناولت كذلك إلى خصائص شخصية الأم كسوء الأخلاق و الإجرامية أو زواج من رجل آخر .

قدرت عينة هذه الدراسة ب654 طفلا من الجنسين و استخدمت آدتين هما المقابلة العيادية و دراسة الملفات الخاصة بالمنحرفين. و استخلص الباحث إلى أن الطلاق و انفصال الوالدين و وفاة أحد الوالدين هي أكثر الظروف انتشارا عند الأطفال المنحرفين ممّا يؤكد وجود علاقة بين هذه الظروف العائلية و انحراف الأحداث

2- دراسة نرمين لويس نقولا (1990)

عنوان الدراسة هو: دراسة مستوى مفهوم ذات الأحداث الجانحين البالغين 10-12 عاما : و هي دراسة تقويمية هدفت تحقيق مجموعة من الأهداف تمثلت في : الكشف عن الدوافع و الأسباب الكامنة و راء انتشار جرائم الأحداث، كذلك محاولة معرفة الظروف و العوامل و الضغوط التي تؤدي إلى جنوح الأحداث. كما هدفت هذه الدراسة إلى التخطيط لمواجهة مفاهيم الذات السلبية عن الأطفال في الوقت المناسب.

لتحقيق هذه الأهداف استخدمت الباحثة مجموعة من الأدوات أهمها: استمارة دراسة حالة إعداد (عزة حسين) و تناولت فيها دراسة الأبعاد التالية : البيانات الأولية و الأسرية، الجو الأسري، الحالة السكنية و التعليمية، الحالة المهنية، القدرات العقلية و المظهر و السلوك العام للشخص .

أما المعالجة الإحصائية فكانت من خلال استخدام معامل ارتباط بيرسون باستخدام الدرجات الخام و كانت نتائج هذه الدراسة كالآتي :- عدم وجود علاقة إرتباطية ايجابية دالة بين أبعاد مفهوم الذات و بين ارتكاب الجرائم المختلفة المخالفة لقوانين المجتمع من طرف أفراد العينة – لا يوجد اختلاف بين مستوى مفهوم ذوات الأحداث الجانحين و ذوات الأحداث الجانحات (محمد الطاهر،2006: 130)

3- دراسة هوفمان Hoffman (1991)

حملت الدراسة عنوان: بنية الأسرة، علاقات الأسرة و استخدام المخدرات من قبل المراهقين " دراسة نظرية و تجريبية عن الانحراف ". و هدفت الدراسة إلى التطرق إلى التطرق إلى أدبيات التأثيرات الأدبية على الانحراف، من خلال الفحص بشكل عام نظريتين أولهما التأثير المباشر لبنية الأسرة على السلوك المنحرف و الثانية على تأثير العلاقات الأسرية على الانحراف .

و قد جرى استكشاف و فحص هذين العاملين و لدى مقارنة بنية الأسرة بمتغيرات العلاقات الأسرية وجد أن المستويات الدنيا من العلاقات الأسرية ترتبط بقدر أكبر بالانحراف، و يفترض الباحث بأن البيت الذي يضم أبوين طبيعيين توجد فيه عواطف و محبة أكثر من البيت الذي يوجد فيه سوى أحد الوالدين أو فيه زوج الأم أو زوجة الأب، كما أن البيت الذي يضم أبوين طبيعيين توجد فيه مراقبة أكثر و دعم للشخصية بشكل أفضل و ضبط أقل حدة بيم الوالدين و المراهق(العكايلة، 2005: 293)

نتائج هذه الدراسة قد بينت على دراسة مطوّلة للمراهقين في أمريكا أكثر و توفر بعض الدعم للنظرية، و خاصة للمراهقين الذين انحدروا من بيوت حصل فيها الطلاق أو الانفصال، و يوجد فيها زوج الأم أو زوجة الأب. حيث وجدوا أنهم يميلون إلى قدر أقل من الارتباط أو المودة، و إن إضعاف العلاقات الأسرية يؤدي إلى زيادة عدد الأصدقاء المتعاطين ممّا يزيد من احتمالية البدء باستخدام المخدرات و تكراره، بالإضافة إلى ذلك فإن الأصدقاء المتعاطين المخدرات و الارتباط بهم يؤثر يشكل مباشر في استخدام أنواع أخرى من المخدرات، و يعلّق الباحث عن دور العائلة قائلا: " إن للعائلة " بنية العائلة " دور غير مباشر " كامن " في استخدام المراهق للمخدرات، و هذه التأثيرات تعتمد على نوع من بنية العائلة، (إذا كان فيها طلاق، زوج الأم، زوجة الأب، أرملة،...الخ) "

4- دراسة لونغ " long " (1991)

جاء عنوان الدراسة على الشكل: تأثير الاختلاط الاجتماعي " الأسري " و الرفاق على انحراف الإناث. حيث حاول الباحث من خلال هذه الدراسة من مقارنة الخبرات الاجتماعية للمنحرف و غير المنحرف من المراهقات الإناث، و يخص العلاقة بين متغيرات الأسرة و الرفاق مع السلوك المنحرف، و كذلك اختيار قوة التنبؤ لنموذجين فرضيين رئيسيين.

تمثلت عينة الدراسة في 75 فتاة جانحة مسجونات بسبب ارتكابهن ممارسات انحرافية، و قد استخدمت في الدراسة تقنيات التقرير الذاتي و ستة مقاييس فرعية و مقياس لبيئة الأسرة و مقياس لبنية الأسرة و مقياس للدعم الاجتماعي بالإضافة إلى لعدة مقاييس للعلاقات الأسرية و الرفاق و الموقف من الانحراف.

و قد أظهرت نتائج الدراسة إلى أن المجموعة المنحرفة قد امتازت بعلاقات أسرية أقل، وكذلك مستوى أقل من الدعم الاجتماعي و التوافق الأسري، و أظهرت هذه المجموعة درجة أقل من الاستقلال الأسري و مستوى أعلى من التناقض الأسري بالنسبة لمجموعة أخرى اختيرت من طالبات المدارس الثانوية (العكايلة، 2005: 294)

5- دراسة شاهين Shaheen (1992)

عنوان الدراسة هو: انحراف الفتيات، مشاكل العائلة و العامل الأبوي بين الأمهات، المراهقات اللواتي تركن المدرسة. و تضمنت الدراسة متغيرات الخلفية الأسرية، مشاكل الأسرة، العلاقة بين الوالدين في الأسرة، علاقة الوالدين بالطفل مع تطوّر السلوك المنحرف بين الفتيات المراهقات. و كذلك درست الخصائص الفيزيائية و المشاعر الشخصية و المواقف بين الفتيات المراهقات و النظرة إلى المدرسين و السلطات الأخرى، و الميول إلى الانتحار و السرقة السير نحو السلوك الجنسي و استخدام المخدرات .

و قد دلّت النتائج إلى أن المشاكل بين الوالدين أو بين الوالدين و الأبناء كانت السبب الأكبر للسلوك المنحرف للفتيات المراهقات، و أن العلاقة الجنسية قبل الزواج و استخدام المخدرات كانت مرتبطة ارتباطا مباشرا بنقص المودة بين الوالدين من جهة و بين الوالدين و الأبناء من جهة أخرى، أمّا الأسر التي يسودها المحبة و المودة و العطف فإن مظاهر السلوك المنحرف تقل يشكل واضح (العكايلة، 2005: 292)

6- دراسة سوكل و سوسان " jan Susan, sokol – Katz "

حملت الدراسة عنوان: العلاقات بين الالتصاق بالوالدين و بنية الأسرة و السلوك المنحرف – اختبار نظرية الضبط الاجتماعي ". و قد أخذت بيانات هذه الدراسة من مشروع تطور الشباب في فلوريدا الجنوبية و قد عينة الدراسة 599 مراهقا من الذكور، 629 مراهقة من الإناث.

و هدفت الدراسة إلى تحديد ما أذا كانت البنية الأسرية لوحدها تؤدي إلى انحراف السلوك أو أن الالتصاق الأسري " المتماسك " من المعتقدات الاجتماعية بشأن القانون لها أهمية في تفسير السلوك المنحرف أو الجنوح باتجاه المشروبات الكحولية و السجائر و المخدرات عندما تكون عوامل الجنس و العرق مضبوطة.

و قد اتضح في نتائج الدراسة أن هناك علاقات غير مباشرة بين البنية الأسرية و التماسك العائلي من حيث تأثيرهما على انحرافات السلوك، فالارتباط الأضعف بالوالدين يكون سببا في أحداث مستويات أعلى في انحراف السلوك، و ليس هناك علاقة بين الجنس و البنية الأسرية و التماسك العائلي (العكايلة، 2005: 296)

التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال عرضي من دراسات سابقة و نتائجها، يمكن القول أنها جديرة بالعرض باعتبارها تمثّل إطارا نظريا لموضوع دراستي الحالية بحيث أنها وسّعت نظرتي و أثارت معلوماتي حول الظاهرة. كما أنها ساعدتني في تكوين الإطار النظري للدراسة و صياغة فروضها.

و أهم ما يمكن ملاحظته على هذه البحوث ما يلي:

- دراسات كل من (الياسين 1981، بقادة 1989، زينب حميدة بالقادة 1990، صريفي 1996، Hoffman 1991) هي قريبة جدّا من موضوع الدراسة من حيث دراسة الجانح و علاقته بالأسرة و كذا اهتمت بدور الأسرة في ظهور ظاهرة الجنوح.

- العديد من الدراسات مثل دراسة (أنور فتحي عبد الغفار1982 ، عادل كمال السيّد محمد خضر 1989، نرمين لويس نقولا 1990، خالد نور الدين 1979) تناولت مفهوم الذات لدى الجانح و ذلك بالنظر لأهميته في إعداد و تكوين شخصية الحدث بشكل عام و الحدث الجانح بشكل خاص.

- دراسات كل من (خالد نور الدين 1979، حليمة بوخروبة 1989،بقادة 1989، بن شيخ بختي 1990، موريس بوروا 1948) تناولت فيها رصد لظاهرة الانحراف في المجتمع الجزائري و حاولت إبراز دور الأسرة و مراكز إعادة التربية في الإدماج الاجتماعي للأحداث و التي توصلت إلى أن أغلب الأحداث المنحرفين يعود إلى سوء تكيّفهم الاجتماعي و إلى الظروف الأسرية و أغلبهم في خلافات مع أسرهم.

- أظهرت الدراسات كل من (الياسين 1981، بن شيخ بختي 1990، زينب حميدة بالقادة 1990، عادل كمال السيّد محمد خضر 1989) أن نسبة التفكك الأسري عند الأحداث الجانحين أعلى منها عند أسر الأحداث غير الجانحين.

- دراسات كل من (بقادة 1989، هدى كشرود 1990، القحطاني 1993، صريفي 1996) أظهرت أن هناك علاقة قوية بين أساليب المعاملة الوالدية و التنشئة الاجتماعية و انحراف الأحداث.

- أظهرت دراسة (سليمان محمد سليمان القريع 1993) أن المتغيرات الأسرية التي تساهم في الانحراف هي عمر الأب و الأم و المستوى التعليمي لهما و تعدد الزوجات لصعوبة القيام بالعلاقات الجيدة بين الوالدين و الحدث، و لعدم العدل و الإهمال من الآباء بسبب تعدد الزوجات.

3- إشكالية الدراسة :

ظاهرة الجنوح بلا شك مشكلة مجتمع، هذه المسألة المعقّدة تابعة لعوامل عديدة. كما يعد السلوك الجانح سلوك مضاد للمجتمع يخرق القانون و العرف المتعارف عليه في ذلك المجتمع. و من جهة أخرى نجد أن مفاهيم الجنوح تختلف بين مجتمع لآخر و لتحديدها يتم وفق قوانين خاصة بكل بلد.

و يرى البعض أن الجنوح هو لون من اضطراب السلوك يرجع إلى اضطراب في النمو النفسي نتيجة عوامل مختلفة تكون قد أعاقت هذا النمو و تؤدي إلى نقص في بعض نواحي الشخصية(كركوش،2011: 14) فمشكلة الجنوح تمثل مشكلة عويصة بالنسبة للفرد و المجتمعات و غالبا ما كان منحرفو اليوم هم مجرمو الغد. فمن المهم أن نثير دراسة الجانح الذي يجد صعوبة في توافقه مع المجتمع و الذي يحتاج إلى أن نفهم شخصيته و تصوّراته .

من المعروف أن الجنوح تنبت حيث توجد مهيئاتها، لذلك كان منطلق هذه الدراسة من سؤال من نوع ما الذي يدفع الأطفال القيام بالأفعال الجانحة ؟ و قد ركزت في هذه الدراسة على البيئة الأسرية التي عاش فيها الجانحون(حالات الدراسة) أي على عمليات التنشئة الاجتماعية التي من خلالها نموا و تطوّروا، كذلك على المعنى الذين يحددونه عن تصوّراتهم و معاشهم للروابط الأسرية. و من بين العوامل التي يمكن شرح ظهور السلوكيات المنحرفة أو الجانحة للطفل أو المراهق و كذا استمرارها إلى سن الرشد، تأخذ الأسرة مكانة مميّزة، فالعديد من يؤكد أن كل هذه المشاكل تجد تفسيرها في خلية العائلة التي لم تتمكّن في التأمين الجيّد لنشاطها التربوي .

الجنوح هو إنتاج مشترك من تاريخ معقّد، في نفس الوقت عاطفي و اجتماعي، فردي و جماعي. و تعد الأسرة بالنسبة للطفل الفضاء الحامي المفضّل أين تمكّنه من تطوير و إعطاء قيمة لشخصيته. لكن عندما يصطدم بعجز في القدرات و الركيزة الأخلاقية التي يحتاج إليها في نموه، يقوم باختيار إستراتيجية تعويضية من خلال التحوّل إلى

القيم المثالية المنحرفة أو إلى ممارسات جانحة، فالتنافر و عدم اتساق الوالدين لا يعد إطارا يجيب على محاولات الجانحين تجاوز الحدود المقبولة اجتماعيا. يمكن التحقّق من ذلك من مسار حياتهم فهو متميّز عن معظم أقرانهم في العديد من العوامل: الثقافية، العرقية، التربوية و الجغرافية التي تساهم في الانتقال إلى الفعل المنحرف و العديد من الدراسات أثبتت الارتباط الموجود بين الميل إلى الفعل الجانح و عجز البيئة الأسرية(Bernard G. & all.2011 :p13)

إذا أردنا أن نتكلّم عن دور الأسرة في بناء شخصية الطفل بناءا سليما فيجب التكلّم عن أهمية و دور الروابط و العلاقات القائمة بين أعضاء هذه الأسرة و نوعيتها. و يتفق علماء النفس و علماء الاجتماع أن العوامل العلائقية في الأسرة هي ذات طبيعة عاطفية و هي أكثر حسما من العوامل المادية و ما يشجع ظهور الانحراف عند الأطفال هو وجود صراعات خطيرة بين الوالدين و بين الوالدين و أبناءهم. حسب موشيلي(Mucchielli 2000) الحالات الأسرية الأكثر عرضة للخطر هي تلك التي يكون فيها تراكم الانشقاقات الزوجية و انعدام الأمان، و أن الانحراف متعلّق بالتفكك الأسري و يترجم في بعض الأحيان إلى إعادة إنتاج العنف عند الأجيال.
و من الأسباب الرئيسية كذلك في ظهور السلوك الجانح هي"الاستقالة الوالدية " و التي يعرّفها " جيوفانوني و ديكوار "(Giovannoni et Dekeuwer 2003) أن " الاستقالة الوالدية يمكن أن تأخذ شكل غياب بدني من منزل الأسرة أو يلخص ذلك في عدم الاهتمام من قبل الوالدين اتجاه تربية و تعليم أبناءهم، يمكن أن تكون كذلك جزئية في شكل من أشكال الإهمال التي تنطوي على الأقل على أداء واجباتهم اتجاه أبناءهم أو تكون كاملة في الحالة الثانية تتمثّل في الحرمان ليس في الأداء غير السليم لواجبات الوالدين و لكن في غياب تنفيذها بمعنى الفشل نفسه للوالدين في التزاماتهم . كما أشار " بول دارفو و رولاند فيو Paul d’arvau et Rolland Viau 1997) أن استقالة الوالدين (غياب دعم الوالدين) و انتهاك التزاماتهم وواجباتهم لها علاقة مع السلوكيات المنحرفة .

كلاسيكيا نجد ثلاثة أسباب رئيسية مؤدية للجنوح معترف بها: التفكك الأسري، الحرمان التربوي و التشرّب للجنوح. الدراسات التي أقيمت على المجتمعات التي تعرف الجنوح(المحاكم،السجون) تظهر أن عدد الأسر المحطمة سواءا بسبب ضعف الروابط بين أعضاء الأسرة أو بسبب الطلاق أو الوفاة أو الغياب الطويل للوالدين هو مرتفع عند المنحرفين مقارنة عند غير المنحرفين(العكايلة،2005 :267). عدة أسباب تشرح هذه العوامل حيث أن سن الطفل عند الفراق و كذلك طول و شدة الخلافات الزوجية تكون لها آثار متنوعة من فرد لآخر، بالإضافة إلى غياب الأب. كذلك أشير إلى أوجه القصور التربوي في تاريخ الجنوح حيث أنهم كانوا يتكفلون بأنفسهم و أساءوا معاملتهم. يوجد في الواقع تحوّل مباشر للمعايير و القيم و السلوك الذي يتبع الانحراف في وجود أو غياب انتباه صريح للآباء و الأمهات لميكانيزمات التعلّم (Pouptois J.et Desmet h.2000,p 199)

علماء النفس وضّحوا أهم الخصائص العائلية و السلوكيات التربوية هي الأكثر إنتاجا للجنوح كغياب الرقابة، اللامبالاة، الإهمال، التناقض في الإجراءات التربوية، الرفض و ضعف التعلّق. فعلى العموم نستنتج فراغ تربوي في كثير من الأحيان هذه المواقف التربوية المعيقة للتكيّف الاجتماعي هي نتاج أو تزامنا مع غياب التكيّف الاجتماعي ممثّل للأسرة .

من خلال الدراسات التحليلية التي قام بها loeber et stouthamer loeber (1986) قارنوا نتائج مختلفة لدراسات تحمل معلومات حول هذا التسيير و اقترحوا أربع نماذج للروابط بين العوامل الأسرية و الجنوح بداية بنموذج الإهمال حيث أن جنوح الأطفال يظهر من خلال نقص المشاركة و المراقبة. نموذج الصراع باعتبار الجنوح هو نتاج جو متصارع الذي يكون بين الوالدين أو بين الأبناء و الوالدين، هذه الصراعات تغذي عدم الرضا الأبناء، و تؤدي بهم إلى الهروب و البحث خارج المنزل في أماكن اجتماعية، و تبعث بهم إلى حل التوترات عن طريق الأفعال الجانحة. نموذج السلوكيات و العادات المضطربة بحيث ينقل الوالدين للأبناء معايير سلوكية و يعلمونهم الانحراف، سواء من خلال إشراكهم منذ صغر سنهم في الأعمال غير المشروعة أو من خلال حثّهم

على الأعمال الجانحة مثلا و في الأخير نموذج الانهيار فالجنوح هو نتاج انهيار الزوج الوالدي بسبب الوفاة، الطلاق، الفراق ....، تنتج جرح من خلال ضياع تثير البحث عن الهوية خارج خلية الأسرة، و تنشئة اجتماعية غير متكيّفة(Pouptois J.et Desmet h.2000,p 199)

من خلال هذه النتائج أثبت (لوب و سوبسن 1993 Laube et sampson) نظرتهم أن ضعف الرقابة الاجتماعية الرسمية و غير الرسمية داخل الأسر تمنع خلق رابطة الطفل مع المجتمع و انفصاله عن المؤسسات الاجتماعية و الهياكل الهامة و صعوبة الاندماج الاجتماعي مع الكبار .

العديد من الدراسات سواءا المحلية أو الدولية التي بدورها تطرّقت إلى موضوع العلاقات والروابط العائلية عند المنحرفين مثل دراسة شيخ بختي (1990) التي جاءت بعنوان " التفكك الأسري و أثره في انحراف الأحداث " و التي أوضحت أن الحدث الذي يعاني من ظروف التفكك الأسري يكون انحرافه مستهدفا و أنه هناك علاقة بين التفكك الأسري و انحراف الأحداث. كذلك دراسة زينب حميدة بالقادة (1990) التي تحمل عنوان " جنوح الأحداث و علاقته بالوسط الأسري " تمثل الهدف من الدراسة في معرفة الظروف الأسرية التي يعيشها الأبناء و مدى تأثيرها في انحرافهم و جنوحهم و توصلت الباحثة أن نسبة 66.67 بالمائة من أسر الجانحين كان يشترك فيها الخصام بين الزوجين بالإضافة إلى أن نسبة هجر أمهات الجانحين لبيوتهم قدرت ب 23.33 بالمائة و أن نسبة 94.44 بالمائة من أباء الجانحين كانوا يستعملون أساليب خاطئة في معاملتهم لأبنائهم . أما الدراسة التي قام بها لوبر و آخرون Loeber et all (2011) فأقيمت على عينة من 177 طفل (ذكور) و تم دراستها دراسة طولية، تم إرسال هذه العينة لمراكز صحية (مراكز الحماية) و تتبعها طول السنة. نتائج الدراسة أظهرت على أن التغيير في بنية الأسرة متصّل بالاضطرابات السلوكية مثل العدوانية الجسدية و تحليل هذه النتائج أثبت أن ظهور هذه الأنماط السلوكية راجع إلى الاختلال الوظيفي للأسرة .

و يعد موضوع التصوّرات من المواضيع الهامة التي اهتم بها علم النفس منذ سنوات طويلة، فهذا الاتجاه ركّز اهتمامه على " المدلولات " التي تساهم في تفسير السلوك. و يرى العديد من المختصين في علم النفس و علم الاجتماع أن فكر الإنسان يتشكّل من الكثير من الأفكار و المعتقدات و التصورات و الأحاسيس و هي مدلولات قد تكون إيجابية أو سلبية و هي في كلتا الحالتين تأثّر بشكل كبير على سلوكياته و مشاعره.

إذا من خلال دراستي الحالية التي تحمل عنوان " تصوّر و معاش الرابط العائلي عند الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية " أردت من خلالها محاورة الجانحين (حالات الدراسة) و تحليل تصوّراتهم عن عائلاتهم و عن الروابط التي تكوّنت داخل الأسرة و التعرّف على العلاقات الأسرية التي يعبّر عنها الجانح حتى أتمكن الغوص في منطقهم. إن الهدف الرئيسي الذي انطلقت به من هذه الدراسة هو وصف و تفسير من خلال استجاباتهم للتصوّرات التي يكوّنوها عن أسرهم و عن معاشهم للروابط العائلية. ففهم تصوّراتهم ستسمح لي بفهم الأحداث أفضل من خلال تحليل الطريقة التي يمثلون بها أنفسهم و الآخر و العالم الذي يحيط بهم. فمن خلال الأفكار و التصوّرات التي يكوّنها الجانح عن الروابط العائلية أردت أن أتعرّف عن طبيعة المعاش الأسري للجانحين و علاقاتهم مع الوالدين و أفراد الأسرة و من خلال كلامهم أفهم الأحاسيس التي يكوّنوها عن مكانتهم داخل الأسرة و جعلهم يتحدثون عن قصة حياتهم و خبراتهم المعاشة، أسألهم عن وضعهم الأسري و تاريخهم الأسري و عن العلاقات الوالدية و الأخوية التي تشكلت محاولا بذلك التأكد ما إذا أن سلوكيات الجانحين تفسّر ردود أفعالهم عن مضمون ما يشعرون به اتجاه الأسرة ؟ و هل أن الجنوح و رفض المعايير الاجتماعية هي إجابتهم على الانهيار العلائقي الوالدي و على الإقصاء العائلي ؟ أردت أن أعرف ما الذي يدفع الجانحين بالقيام بالسلوك الجانح استنادا إلى خصوصياتهم ؟

إذا من خلال تحليل تصوّرات الجانحين عن أسرتهم و الروابط الأسرية و عن معاشهم الأسري كان هدفي هو البحث على إعادة تسطير تاريخ حياتهم عن طريق شهاداتهم و خبراتهم التي عايشوها، فهي أسئلة أطرحها على

الحالات (الجانحين) حول معنى قيامهم بالأعمال الجانحة و عن خبراتهم الأسرية من أجل تحديد العوامل الكامنة التي أثرت على الانتقال إلى السلوك المنحرف و ربط ذلك بالمعاش العائلي للجانح.

و انطلاقا من هذا الوضع، و تماشيا مع موضوع الدراسة، أحاول طرح التساؤل الآتي:

- **كيف يتصوّر و يتعايش الجانحون المقيمون بمراكز إعادة التربية الروابط العائلية ؟**

من خلال هذا التساؤل أحاول طرح تساؤلات فرعية كالآتي :

أ- كيف يتصوّر الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية تأثير المعاش العائلي اليومي في ظهور السلوكيات المنحرفة لديه ؟

ب- ما هي التصوّرات التي يحملها الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية عن علاقته بالسلطة الوالدية ؟

ت- ما هي التصوّرات التي يحملها الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية حول الصورة الوالدية ؟

4- فرضيات الدراسة :

من خلال التساؤلات المطروحة، يمكن صياغة الفرضيات كالآتي :

- **يوجد تصّور و معاش سلبي لدى الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية للروابط العائلية.**

يتفرع عن هذه الفرضية مجموعة فرضيات جزئية متمثلة في :

أ- يتصوّر الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية ظهور السلوكيات المنحرفة على أنها إجابة على تفكك الروابط الأسرية و على الإقصاء العائلي الذي يعيش فيه .

ب- يوجد انعدام للسلطة الوالدية في تصوّر الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية بسبب غياب الرقابة الوالدية و القواعد المفروضة داخل المنزل.

ت- يوجد اضطراب للصورة الوالدية في تصوّر الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية لعدم قدرة النموذج الوالدي تلبية توقعاته .

5- التعريف الإجرائي للمفاهيم الأساسية للدراسة :

أ/ **الجنوح** : وفقا لأهداف الدراسة يعرف إجرائيا على أنه انحراف و هو صورة من صور الاضطرابات السلوكية تتميّز بالتعبير عن الصراعات النفسية و الخبرات المؤلمة و الأزمات النفسية و عدم إشباع الحاجات و القلق و الحرمان العاطفي تجعل الجانح يقوم بسلوكيات مناهضة للمجتمع و الاستجابة لعدم التوافق بطرق عدوانية يعاقب عليها القانون و من خلاله يدخل هذا الجانح إلى مراكز إعادة التربية.

ب / **الروابط الأسرية** : و أقصد بها في هذه الدراسة على أنها الصورة التي يحملها الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية على معاشه الأسري و عن طبيعة الاتصالات و التفاعلات التي يدركها و القائمة بين أعضاء أسرته و من تلك العلاقة التي تقع بين أبيه و أمه و باقي أخواته و عن مكانته داخل الأسرة، و التي يمكن دراستها عن طريق تحليل محتوى سرد حياة الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية، و تتمثل هذه الروابط الأسرية في أبعاد هي:

- **السلطة الوالدية** : هي الصورة التي كوّنها الجانح المقيم بمركز إعادة التربية على الأسلوب المستعمل من قبل الأولياء في التعامل مع الأبناء و كذلك الصورة التي كوّنها عن قدرة والديه في ممارسة الرقابة عليه و على أخواته و تطبيق القواعد المفروضة داخل المنزل كما تمثّل للجانح رأيه في الطريقة التي من خلالها يقوم الوالدين و خاصة الأب في فرض النظام و الانضباط و الإشراك من عدمه في الأنشطة داخل المنزل و التي تضع الأب في نظره قاعدة أساسية و شخصيته هي السائدة تجعله يمتثل و يخضع له و الذي يهيئ له جوّا أسريا يساعده على الاستقرار.

- **الصورة الوالدية**: هي الصورة التي يحملها الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية عن النموذج الوالدي التي من خلالها لم تتم تلبية توقعاته.

ث / التصوّرات و المعاش : هي إدراكات و تمثلات الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية للروابط العائلية و لمعاشهم العائلي و التي يمكن تفسيرها من خلال تحليل محتوى سرد حياتهم.

6- أهداف الدراسة :

لكل بحث أو دراسة أهداف يحاول من خلالها أي باحث الوصول أو التطرّق إليها لتجيب على تساؤلاته. و عليه من أهداف دراستي هذه أذكر:

- محاولة التعرّف على معاش و تصوّرات الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية للروابط الأسرية.
- محاولة التعرّف على تفسيرات الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية عن تأثير المعاش العائلي اليومي في ظهور السلوكيات المنحرفة لديه.
- التعرّف على التصوّرات التي يحملها الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية عن السلطة و الصورة الوالدية.
- من الأهداف الهامة التي تقام عليها هذه الدراسة أنني أحاور الجانحين (حالات الدراسة) حتى أتمكن من الغوص في منطقهم، و من خلال وضعهم أطرافا فاعلين في عائلتهم. و التعرّف على ما إذا قد تكون سلوكياتهم تفسيرا عن ردود أفعالهم لمضمون ما يشعرونه داخل الأسرة.
- هدفي من هذه الدراسة هو التقرّب من الحالات و تحليل تفسيرهم للأحداث التي أثّرت في تاريخ حياتهم، حتى وصولهم إلى الفعل الجانح و البحث عن العوامل التي أدت بهم إلى الانحراف و إلى اختراق القوانين.
- عن طريق محاورة الجانحين (حالات الدراسة) أريد التقرب من ظاهرة الانحراف من خلال النظر إلى الروابط التي تكوّنت داخل الأسرة و التي تفسّر العلاقات العائلية حسب ما يعبّر عنها الجانح و يفكّر فيها.
- كذلك جمع معلومات من خلال كلامهم عن نوع العلاقات الديناميكية الأسرية التي تأسست بينهم و بين والديهم.

- فهم ظاهرة الانحراف من خلال التربية و عملية التنشئة الاجتماعية أي التركيز على العلاقات التي تشكّلت بين الآباء و أبنائهم (الجانحين)، و ذلك عن طريق أسئلة أطرحها على الجانحين حول معنى قيامهم بأعمال جانحة (أي مرورهم إلى الفعل المنحرف) و خبراتهم الأسرية، و يمكن تحديد العوامل التي تأثر في الانتقال إلى الانحراف، الهدف إذا فهم تفسيراتهم و تحليلاتهم للعمليات الاجتماعية المدمجين فيها من خلال أفكارهم و تصوّراتهم و المشاعر و العلاقات التي بنوها بأنفسهم.
- من أهداف هذه الدراسة هو أن أتعرّف عن المعاش الأسري للجانحين (وضعهم و تاريخهم الأسري) من خلال فهم الأحاسيس التي يكوّنوها عن مكانتهم داخل الأسرة.
- من خلال الإجابة عن إشكاليات الدراسة سأحاول الفهم الجيّد للجنوح عن طريق نوع العلاقة الوالدية مع الجانحين. فمن خلال كلام الحالات، تفسيراتهم لهذه الظاهرة، حول سلوكهم المنحرف و حول وضعيتهم داخل الأسرة، يمكن أن أفهم معنى أفعالهم و علاقاتهم التي تشكّلت مع والديهم في سياق نموذج الأسرة و بنيتها الترابطية.
- من خلال ذكر كل هذه الأهداف يمكن إعطاء صورة واضحة عن الموضوع الرئيسي لهذه الدراسة فيما يلي:
  - التصوّرات و التفسيرات التي يقوم بها الجانحون حول الروابط العائلية.
  - التصوّرات و التفسيرات التي يقوم بها الجانحون حول مكانتهم داخل الأسرة (أي عند والديهم).
  - معاش الجانح و العلاقات التي أنشأها في محيطه العائلي خاصة مع والديه.
  - البحث عن العوامل الكامنة في الانتقال إلى الانحراف و ربط ذلك بالمعاش العائلي للمنحرف.

7- أهمية الدراسة :

تتّضح أهمية هذه الدراسة من خلال طبيعة الموضوع و إلى أهمية دراسة معاش الجانح و تصوّراته للروابط الأسرية. كما تتضّح أهميتها في التطرّق إلى الأسرة وعلاقتها بالجانح و ما تسببه في ظهور الانحراف.

و من هذا المنطلق يمكن أن أحدّد أهمية هذه الدراسة في:

7-1: الأهمية النظرية

- يمكن اعتبار هذه الدراسة إضافة أو إسهاما إلى الدراسات العلمية التي تهتم بموضوع الجنوح.
- وضع إطار علمي للدراسات اللاحقة في الموضوع .
- الكشف عن طبيعة تصوّرات حول الروابط العائلية عند الجانحين المقيمين في مؤسسات إعادة التربية.

7-2: الأهمية التطبيقية :

- تتمثل في لفت الانتباه إلى أهمية التصوّرات و دورها في تفسير السلوك و الاهتمام الأكثر بهذه الشريحة و المحاولة في تعزيز انتماء الجانحين انتماءا إيجابيا مع المجتمع.
- يمكن الاستفادة من هذه الدراسة في فهم الجانحين و احتياجاتهم و البحث على تهيئة الحلول المناسبة لمساعدتهم لتحقيق توافقهم و تكيّفهم في المجتمع.

8- أسباب اختيار موضوع الدراسة:

ما يدفع الباحث من اختيار موضوع دراسته هو وجود أسباب و اعتبارات متعددة و كذلك الرغبة في تجسيد فكرة أو الحصول على أجوبة لأسئلة تكون دائمة الطرح لديه. و من أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع أذكر :

أ- أسباب ذاتية:

- علاقتي مع هذه الفئة من الجانحين و هذا من خلال تجربتي المهنية السابقة في هذه المراكز و بعض المراكز التابعة لمديرية النشاط الاجتماعي.
- تقربي الشخصي بهذه الفئة أثناء عملي معهم زاد من تطوير الاهتمام بهم و بموضوع الجنوح.

- الرغبة في الحصول على أجوبة لبعض الأسئلة كنت دائما أطرحها مثل: معنى قيامهم بالأعمال الجانحة و ربط ذلك بخبراتهم الأسرية ؟ محاولة تفسير ما الذي يدفع بالحدث للانحراف ؟ كذلك البحث عن أجوبة تشرح مكانة الأسرة عند الجانح ؟

ب- أسباب موضوعية:

- قلة الدراسات و البحوث في الجزائر عن الجانحين ذات المنظور النفسي التحليلي، التي تدرس الجانح في خصوصيته(دراسة حالة). فكل الدراسات التي وجدت هي دراسات ذات طابع كمي إحصائي تدرس مجموعات كبيرة من الأحداث في آن و احد و ركّزت على العامل الاجتماعية و الاقتصادية فهي تفتقد إلى دراسة العامل النفسي.
- محاولة دراسة موضوع الانحراف و الأسرة في إطار المقاربة النفسية التحليلية و محاولة اختبار هذا الاتجاه المفسّر لهذه الظاهرة على واقع المجتمع الجزائري.
- محاولة مني تدعيم مراكز إعادة التربية بعد إنهاء الدراسة ببعض الأفكار و التوصيات و كذا النصائح لعلها تفيدها من تطوير برامجها الإصلاحية لهذه الفئة من الجانحين.

الفصل الثاني : التصوّرات

تهميد

1- تعريف التصوّرات

2- وجهة نظر بعض المؤسسين لهذا المصطلح

3- المقاربات المختلفة لمصطلح التصوّر

4- أبعاد التصوّرات

5- أبعاد التصوّرات

6- مميّزات التصورات

7- السيرورات التي تساعد على تكوين التصوّرات

8- أنواع التصوّرات

خلاصة

تمهيـــد:

تعد التصوّرات أحد مفاتيح الأنشطة الذهنية التي تمثّل جملة من الأفكار الراسخة التي لا يمكن عزلها عن الفرد. و بما أن هذه الدراسة تهتم بدراسة موضوع التصوّرات لدى الجانحين، سأحاول تناول في هذا الفصل موضوع التصوّرات و فيه أتطرّق إلى تعريف التصوّرات مرورا بأهم وجهات نظر المؤسسين و المقاربات المختلفة لهذا المصطلح و إلى بعض المفاهيم المتداخلة و أبعاد و مميّزات التصوّرات و في الأخير التطرّق إلى أنواع التصوّرات.

1- تعريف التصوّرات :

التصوّر كلمة تشمل: الإحساس، الحدس، المفهوم، الفكرة.

أ- التعريف اللغوي :

- التصوّر في اللغة هو: تصوّر الشيء تخيّله، تصوّر له الشيء، صار له عنده.
- و التصوّر من الفعل:تصوّر، يتصوّر، تصوّر شيء، تمثّل صورته و شكله في ذهنه.
- و التصوّر يأتي من اللاتينية أي أن نجعل الشيء الحاضر في الذهن، و أما المعنى الفلسفي لهذا المفهوم فهو العملية التي يتم بواسطتها استحضار الشيء في الذهن بواسطة صورة أو رمز أو كلمة.
- التصوّر فعل ذهني أساسه التخيّل و الحكم و الإدراك، و هو يرتبط بالظواهر النفسية المقابلة للظواهر الانفعالية أي تصوّر في الذهن صورة أو واقعة.

ب- التعريف الاصطلاحي :

أصبح مفهوم التصوّر ذا أهمية في ميدان علم النفس خاصة بعد إدماج التساؤلات المقامة أساسا على السلوك. فانطلاقا من فكرة أن الفرد يبني نموذجا داخليا عن محيطه و عن الأشياء التي يعرفها و التي كوّن معها تفاعلات ظهرت نماذج التصوّرات.

التصوّر (repraesentare) كلمة لاتينية ، يقابله في الانجليزية Representation و يعبر عنه باللغة الألمانية worstellung و هي كلمة ألمانية للدالة على مفهوم التصوّر و يستعمل في العربية بالإضافة إلى مصطلح " تصوّر " مصطلح " تمثّل " و في بعض المؤلفات يضاف إلى كلمة " تصوّر " كلمة ثانية فيقال " تصوّر عقلي " و يسميه فرويد Freud " تصوّر نفسي" و نجد كذلك " تصوّر معرفي" و " تصوّر اجتماعي" .

و التصوّر مصطلح كلاسيكي في الفلسفة و في علم النفس للدلالة على ما يتخيّل المرء و التي تشكّل محتوى ملموس لفعل التفكير لاسيما استنساخ التصوّر السابق(Laplanche j.et j.b. Pontalis, 1996 :p414)

و حسب معجم le petit Larousse يقصد بالتصوّر إدراك الشيء عن طريق صورة، رمز أو إشارة، فالرسم هو تصوّر للمشاعر و قد يعني صورة أو شكلا يمثل ظاهرة أو فكرة ما (حليمة عكسة،2015 :47)

يقول E Kant 1787 " التصوّرات هي إنتاج إبداع تفكيرنا " (Nathalie blanc,2006 :p136)

يعد التصوّر عملية إدراكية و فكرية يقوم بإعادة الشيء إلى الوعي مرة ثانية رغم غيابه في مجال المادي و هذا يجعله عملية تجريدية محضة .

فانطلاقا من المعلومات التي يتلقاها الفرد من حواسه و التي جمعها من تاريخه الشخصي و من خلال العلاقات التي يقيمها مع الآخرون ينتج التصوّر كنشاط عقلي و بناء للواقع عن طريق جهاز نفسي إنساني .

يعرفه سارج موسكو فتشي Moscovici " تصوّر شيء هو إعادة إحضاره مرة ثانية إلى مجال الوعي، و إعادة إصداره و بناءه رغم غيابه عن المجال البصري " و يقول موسكو فتشي Moscovici " عندما نتصوّر شيء غائب فإننا نكوّن كل من الاستجابات في الوقت ذاته، أي التصوّر ليس عملية ربط بين المثير الاستجابة في الوقت ذاته بل يوجه الاستجابة و يبدل المثير و يشكله في آن واحد " .

يعرّف أبريك Abric التصوّر بأنه " حصيلة لنشاط عقلي يقوم بواسطته فرد أو جماعة بإعادة بناء الواقع الذي يواجههم و إعطائه معنى خاص".

كذلك يعرفه بياجي Piaget التصوّر هو ميكانيزم هام جدا يستعمله الطفل أثناء نمّوه المعرفي، و هو أداة للمعرفة يسمح للطفل بإعطاء تفسير لما يكشفه في الوسط الفيزيقي الخارجي و الوسط الاجتماعي انطلاقا من خبراته (تجاربه) و حركاته (نشاطه) و التصوّر هو أيضا أداة اتصال و تبادل و تنشئة اجتماعية ".

يحدد أبريك (Abric . j c 1977) التصوّر بكونه تصوّر للعالم الذي يسمح للفرد و الجماعة بإعطاء معنى للتصرفات و فهم الواقع من خلال نظام مرجعي خاص و بالتالي يسمح بالتكيّف مع هذا الواقع و التموقع فيه.

أما التصوّر في العلوم العصبية فهو كل نشاط إدراكي يقود إلى التعرّفreconnaissance، التمثيل identification أو التسمية dénomination و يتطلّب تنشيط التصوّرات المخزنة في الذاكرة، نفس الشيء بالنسبة لأداء الوظائف الحركية،و توليد الصور الذهنية (Delacour j , 1995 :p 339)

يمكن القول من خلال ما تم عرضه من التعريفات السابقة إن التصوّر هو نشاط عقلي معرفي ترسخ عن طريق الاتجاه، يحل محل عنصر غائب عن المجال البصري لإعادة إحضاره مرة ثانية إلى مجال الوعي بوصفه أو الترميز له و التصوّر عبارة عن صيرورة بناء الواقع انطلاقا من معطيات خارجية مستمدة من الوضع الذي يعيشه الفرد.

2- وجهة نظر بعض المؤسسين لهذا المصطلح :

- دوركايم Durkheim: يعد من الباحتين السابقين، مصطلح التصوّر كنتاج فكري اجتماعي، إميل دوركايم دأب على تعريف التصوّرات الاجتماعية بخصوصيتها المختلفة عن التصورات الفردية. كما أعطى دوركايم للتصوّر مدلولا اجتماعيا واضحا فالتصوّر عنده عبارة عن " تأثير مظاهر المجتمع على مظاهر الفرد " و " التصوّرات تتولد اجتماعيا في الحياة الاجتماعية، فهي مفتاح المعرفة، المنطق و الفهم عند الفرد، إذ نستطيع أن نفهم الأشياء لأننا نتخيّلها، نراها، و نشعر بها و بذلك فنحن نستدل عليها على شكل تصوّرات و التي تعبر عنها " فمن خلال هذا التعريف أوضح دوركايم أن مصطلح التصوّر و يقصد به التصوّرات

الاجتماعية يتكوّن من الظواهر النفسية و الاجتماعية، أين يثبت هذا الأخير أهمية الجماعة على الفرد و سيطرتها عليه .

- أولى Piaget على غرار الباحثين ذي التوجه الكلاسيكي الأهمية لمراحل نمو الفردي للأشخاص و على وجه الخصوص التمثلات المعرفية، فالأبحاث التي قام بها بياجي أوضحت أن التصوّرات تنشأ من خلال التطوّر الحسي الحركي عن طريق إقامة علاقات مع العالم الخارجي حيث يكون التقليد هو وسيلة انتقالية للمرور من مرحلة الحسية الحركية إلى المجال الرمزي فتكون الصورة عبارة تقليد مؤجل و مستدخل. ثم يأتي دور الإدراك حسب بياجي الذي يؤثر على المستوى المعرفي الحدسي.
- التصورات بالنسبة بياجي Piaget و اكتسابه الاجتماعي يأتي مع تقدم في السن بمعنى أن الطفل ليس بوسعه التكيّف مع السلوكيات الاجتماعية إلا عندما يكون قادر على الخروج من التركيز الذاتي و إقامة علاقات مع الآخرين مبنية على العلاقات المتبادلة.
- حسب فالون wallon : تتمثل التصوّرات بالنسبة إليه أنها عبارة عن صيرورة توسيط تطبع العلاقة ما بين الفرد و محيطه الاجتماعي، فحسبه هناك علاقة تربط الطفل و نموه المعرفي، فالشخصية تجد جذورها في التطوّر الانفعالي و الذي يأتي بعد الاندفاعات الحركية خلال المراحل الأولى من الحياة، أين يظهر التبادل الأوّلي بين الرضيع و محيطه الإنساني و هو شروط نشأة التصوّرات في التقليد و الخيال و يعد بدايتها على أساس تطوّر اللغة و تطوّر الوظيفة الرمزية.
- يؤكد كانت E Kant أن المعارف التي يمتلكها الفرد هي إلا تصوّرات، فما نتلقاه من محيطنا يعالج ذهنيا و بصفة فردية أي بطريقة مختلفة بتدخل تلك العوامل الذاتية و كذا الخارجية للأفراد فيتشكل بذلك التصوّر بناءا على هذه المعالجة (خلايفية ،2012: 28)

فالتصوّر لا يبنى إلا بالعقل و بفضل التجربة و قد عبّر عنه بتلك الإشارات الواقعية و المظاهر الذهنية التي يتم استدخالها من العالم الخارجي أو التي تتشكل و تتكوّن من العالم الخارجي أو التي تتشكّل و تتكوّن انطلاقا من انطباعاتنا و إدراكاتنا .

3- المقاربات المختلفة لمصطلح التصوّر :

التصوّر هو مصطلح مستعمل كثيرا في مجال علم النفس و هو يستخدم في مختلف التخصصات التابعة لعلم النفس:

أ- المقاربة النفس اجتماعية :

عند علماء النفس الاجتماعيين، التصوّر هو محصلة للجانب الثقافي حيث يكون الدور للتفاعلات الاجتماعية يتقاسمهما أفراد جماعة معينة و تدور حول مواضيع مختلفة (أفراد، أحداث، فئات اجتماعية .....الخ).

كما يبرز تأثير الثقافة على تصوّر الفرد، من خلال علاقاته المستمرة مع المحيط الذي يعيش فيه و من خلاله يبني هذا الفرد إطاره الثقافي ضمن شروط حياته محكمة .

العديد من العلماء، يوافقون على تعريف التصوّر على أنه " شكل من أشكال المعرفة متطوّر اجتماعيا و مشترك، له هدف علمي و مساهم في بناء واقع مشترك لمجموعة اجتماعية ".

إن طبيعة التصوّر حسب علماء النفس الاجتماعيين تنتج من خلال تعاملات الفرد مع مختلف أفراد المجتمع الذي يعيش فيه فأصبح من نتاجه. فهذه التصوّرات تعكس قيم مؤسسته كما أن ديناميكية التصوّرات تنجح نتيجة التفاعلات بين الأفراد.

يرى موسكوفيتشي Moscovici أن التصوّر هو عملية ذهنية تعتمد على محاولة استحضار شيء من خلال صورة أو رمز أو إشارة ... إلى الواقع بالرغم من غيابه فيه. فهي عملية فكرة محضة (الحاج شيخ،2013 :41) و تعتبر دراسات " سارج مسكوفيتشي " Moscovici أحد المؤشرات الدالة على أن مصدر التصوّرات لدى الفرد راجع إلى كل ما يتلقاه الفرد طوال حياته اليومية فالتصور حسبه هو نتاج العلاقات الاجتماعية أو كما يصفها بالصورة المشبّعة بمجموعة من المعاني و الأنساق المرجعية، التي من خلالها يتم التعرّف و التأويل و تفسير ما يحدث في الحياة اليومية (ماريف، 2013: 82)

كما يعتبر موسكوفيتشي Moscovici بأن التصوّر " يعيد تقديم الكائن أو الشيء للشعور بمعنى أن يقدمه مرة أخرى حاليا رغم غيابه.

و يوضح موسكوفيتشي Moscovici 1972 أن الفرد لا يملك تصورا واحدا و إنّما جملة من التصوّرات حول العديد من المواضيع، فعندما يتلقى الفرد مثيرا خارجيا(فكرة أو حادثة أو معلومة ...) يقوم بمعالجته ذهنيا و هذه المعالجة تختلف من فرد لآخر حسب عوامل ذاتية تتعلق بشخصية الفرد كالخبرة، التكوين، عوامل ذاتية كالعائلة، المجتمع ...، و نتيجة هذه المعالجة يتكوّن التصوّر (Moscovici , 1992:p 368)

التصوّر بالنسبة لجون كلود أبريك j. c Abric أنه يتوجّه إلى الفرد مباشرة، حيث يستعمل على نظام تفسير الواقع، من خلال تحديد السلوكيات و الممارسات و توجيه الأفعال، و التصوّرات حسب j. c Abric هي نتاج عمل ذهني حول موضوع معيّن و تظهر بسبب الترميز لها و هي عبارة عن مجموعة من الآراء و الاتجاهات و المعتقدات و المعلومات التي ترجع إلى موضوع ما أو وضعية معيّنة، فهي محددة في نفس الوقت عن طريق تاريخ و حياة الفرد و عن طريق النظام الاجتماعي و الإيديولوجي الذي يسير وفقه و أيضا طبيعة الصلات و الروابط التي تكون بين الفرد و النظام الاجتماعي (Nathalie blanc,2006 :p18)

التصوّر بالنسبة إلى أبريك Abric هو " إنتاج صيرورة النشاط العقلي، يعيد بفضلها الفرد أو الجماعة إنتاج الواقع الذي يواجهه فيعطيه معنى خاص " و هو " وسيلة أو أداة تسهّل الإنتاج الأوّلي و إعادة تشكيل تام للواقع و للمعرفة أو للدلالات الإيديولوجية الفردية (موقف ، آراء ...) و الجماعية (قيم ، معايير ...) و التي تملك قيمة هامة في هذا الإنتاج (خلايفية ،2012: 29). إن التصوّر كمتغيّر حسب j. c Abric هو انعكاس و تفسير الواقع الذي تجرى فيه العلاقات الفردية ، أو المحيط الفيزيقي و الاجتماعي الذي يحدد سلوكيات و ممارسات هؤلاء الأفراد (ماريف، 2013: 82)

- مفهوم التصوّرات الاجتماعية :

تشمل التصوّرات الاجتماعية الآراء و المعلومات و المعتقدات حوا أنفسنا و حول العالم الذي يحيط بنا، تحتوي في مجملها نواة الاتساق (التماسك) التي تسمح بالاحتواء في نفس المجموعة على عناصر قد تظهر متناقضة.

حسب Moscovici: هناك عدّة صعوبات في تحديد تعريفا للتصوّر، و من بين هذه الصعوبات أن "تعريفات التصوّرات الاجتماعية تتغير حسب المؤلفين و حسب السياقات، هي نفس التصوّرات في المفهوم و لابد أن تعاد صياغتها للعمل في مخطط الخطاب الذي يستخدم(Nathalie blanc,2006 :p15)

و من أقدم التعريفات التي استعملها موسكو فتشي Moscovici 1961 فحسبه أن التصوّرات الاجتماعية هي " الأنظمة التي لديها منطق و لغة خاصة، و هيكل من الآثار التي تحملها على القيم أكثر من مفاهيم، هو نمط من الخطاب المقترح، لا تعتبرهم كآراء حول صور و لكن تعتبرها كنظرية علوم جماعية فريدة مخصصة للتفسير حسب الحقيقة " .

التصوّرات الاجتماعية هي أنشطة سوسيو معرفية التي تعيد صياغة المحيط حتى يكون ملائم. و يؤكد موسكو فتشي Moscovici على الدور الكبير للتواصل في مسار التصوّرات.

في كتابه الاستشاري حول الصحة و المرض يعتبر Herzlich 1969 من جهته " التركيز على مفهوم التصوّر هو دراسة أنماط من المعرفة و العمليات الرمزية في علاقتهم بالتصوّر "(Nathalie blanc,2006 :p16)

إذا التصوّر هو عمل رمزي، و هو مزيج من الفكر، نشاط الذي يقوم بالعودة إلى الشيء، التصوّرات حول الشيء يحدّد كذلك التصرفات التي يتبناها الأفراد حول هذا الشيء، في المقابل فإن الممارسات نفسها تقوم بتعديل التصوّر للشيء.

و حسب موسكو فتشي Moscovici دائما : تصوّر اجتماعي يحمل ثلاث أبعاد : الموقف l'attitude ، المعلومة l'information و مجال التصوّر le champ de la représentation

الموقف : يعرب عن تحديد وضع، التوّجه العام سلبي أو إيجابي بما يتعلّق بموضوع التصوّر .

المعلومة : تشير إلى كمية و إلى تنظيم المعارف حول موضوع التصوّر. يمكن أن تكون أكثر أو أقل عددا، متنوّعة دقيقة أو نمطية.

مجال التصوّر : تتكوّن محتويات التصوّر من عناصر معرفية ووجدانية في نفس الوقت، هو عبارة من مجموعة من المعلومات المنظمة و المهيكلة حول الشيء.

Doise 1986 تدافع عن رأيها الخاص حول التصوّرات الاجتماعية " أساسيا توفر المواقف تكمن في الاندماج في العلاقات الاجتماعية و تنظيم عمليات رمزية في تلك العلاقات" إذا التصوّرات هذه تابعة للمكانة التي يستغلها الفرد داخل الجماعة و المؤسسة و كذلك الوضعية التي تنجم هذه العلاقة "

إذا التصوّر يتطوّر في التكوين عن طريق التبادلات و تلعب أيضا دورا هاما في بنية و تماسك ديناميكية الجماعات يسمح كذلك التصوّر بتفسير العالم الذي يحيطه. فحسب تصوّراتهم يكون للأفراد من جهة أخد موقف و أخد وضعية اتجاه الشيء و من جهة أخرى تسمح لهم تبني سلوكيات متماسكة مع هذه التصوّرات.

إذا التصوّرات هي أساس العديد من سلوكياتنا لأنها أساس التفسيرات التي نتخذها عن المجتمع الذي يظهر فيه هذه السلوكيات و في نفس السبب فالتصوّرات الاجتماعية تفسّر كذلك تواصلنا شكل و محتوى الحوارات، التصورات إذا هي ليست مجرد معتقدات فهي تعرّف في جانب كبير النشاطات الاجتماعية للفرد بما أنها توضح مكانته الاجتماعية، تصرفاته، اتصالاته، طريقة معالجته للمعلومات ....

منذ الثمانينات، الأعمال و الكتب المخصصة لمفهوم التصوّر كانت واسعة الانتشار (Abric 1999 – - 2003 Floment et Rouquette – 1986 Doise – 1999 Bornadi et Roussian 2001 Secar – 1996،2001 Moliner – 1989 Jodelet – 1994 Guimelli ، فقد انتشر تيار واسع و فرض على علم النفس الاجتماعي و لكن و بشكل متناقض التعريفات الأخرى هي أكثر فأكثر موجزة و محدودة و من بين هذه التعريفات و حسب Moliner 1996 التي اقترحت وضع التصوّرات الاجتماعية مثل "وضع خاص لمعرفة الحقيقة، تسمح للأفراد بالتفكير و التواصل و تسمح للجماعات بضبط التفاعل المبكر. كذلك التعريف المقترح من قبل Roussian et Bournadi 2001 "التصوّر الاجتماعي هو منظمة من الآراء مكوّنة اجتماعيا، منسوب إلى شيء معيّن، ناتج عن مجموعة التواصل الاجتماعي تسمح بالتحكّم في البيئة و تتناسب حسب العوامل الرمزية الخاصة بالجماعات التي ينسب إليها(Nathalie blanc,2006 :p18) اعتبر Moscovici أن مصطلح التصوّر الجماعي يختلف جذريا عن التصوّر الفردي، فقد أعطى أهمية بالغة لنشّأة التصوّرات و انتقالها من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي فيقول " يجب الأخذ بعين الاعتبار التنوّع الأصلي سواء عند الفرد أو الجماعة بالتأكيد على حتمية الاتصال الذي يسمح بتجمع و تلاقي الأفراد و مشاعرنا بحيث أن كل ما هو فردي يمكن أن يصبح جماعي و العكس صحيح (خلايفية ،2012: 29).

يمكن القول أن المصدر الأساسي للتصوّر، هو ما تخلّفه الحياة اليومية عند الفرد و المحددة من خلال الآثار النفسية التي يتم اقتضاؤها من التفاعلات المختلفة و بالتالي أصبحت نسقا اجتماعيا تعكس العلاقات الاجتماعية. لذلك يظهر أن تصوّرات الفرد، نتاج لعملية التفاعل الاجتماعي و الاتصال: كونهما يساهمان في تنظيم السيرورات الرمزية، المتمثلة في لغة الصور، كون " التصوّرات لا تظهر إلا من خلال ديناميكية اجتماعية ناتجة عن علاقات اتصالية (ماريف، 2013 : 82)

أوضحت جودلات Jodelet، أن الجانب الاجتماعية يساعد بشكل كبير في إبراز التصوّر التي تعتبر عن الوضعية الاجتماعية و طبيعة الاتصال عن طريق اللغة و الأفعال الناتجة عن الأفراد ، فحسبها دائما فإن التصوّرات هي شكل من المعرفة الخاصة، و التفكير للحس المشترك الذي يكون مسجلا اجتماعيا و إنتاجها ووظيفتها (jodelet.d, p357-358)

و ترى Jodelet 1988 بأن مفهوم التصوّر الاجتماعي يعني شكل من أشكال المعرفة، نوع من التفكير الاجتماعي و الحس المشترك المسجّل اجتماعيا في الإنتاج و التفعيل (Nathalie blanc,2006 :p16)

و مفهوم التصوّرات عند جودلات Jodelet يكتسي بعدا اجتماعيا فهي " أنظمة تفسير و تسيير علاقاتنا مع العالم و مع الآخرين كما توجه و تنظم سلوكياتنا و اتصالاتنا الاجتماعية " و هي" ظواهر معرفية تعبّر عن الانتماء الاجتماعي للأفراد من خلال استدراجهم لممارسات و خبرات و نماذج سلوكية و فكرية.

مفهوم التصوّر الاجتماعية يسمح بفهم أفضل للأفراد و الجماعات من خلال تحليل الطريقة التي من خلالها يمثلون أنفسهم و الآخر و العالم، تحليلاتهم هذه تلعب دورا أساسيا في دراسة الحس المشترك و لكن أيضا دراسة العلاقات الاجتماعية بشكل عام.

يقترح كذلك Abric سنة 1976 نظرية **النواة المركزية**، حسب هذا النموذج يتم تنظيم تصوّر اجتماعي حول نواة مركزية و هو عنصر أساسي يحدد معنى و تنظيم التصوّر، هذه النواة هي متوافقة و متقاسمة بشكل جماعي، و تتميّز بالاتساق و الاستقرار الذي يسمح لها أن تقاوم التغيّرات.

عناصر أخرى تسمى " محيطية " لأنها أكثر تقلبا (غير مستقرة) و اقل تعبيرا في التصوّر و يتم تنظيم هذه العناصر حول النوا المركزية .

لدينا من جهة : النظام المركزي(le système central) هي نتيجة حتمية تاريخية، رمزية و اجتماعية التي تبني الأفكار المتعلّقة بالموضوع. من جهة أخرى لدينا: النظام المحيطي (le système périphérique) في التعامل مع الحالات الطارئة اليومية، و الذي يسمح إلى حد ما تكيّف التصوّر قي مختلف السياقات الاجتماعية. " صد الصدمات " (pare-choc) ليبيّن أن النظام المحيطي يمتص الصراعات بين التصوّر و الحقيقة. هناك تكيّف النظام المحيطي، تحت مبدأ الاقتصاد بما يتفق مع النواة المركزية.

وفقا ل Abric التصوّرات الاجتماعية لديها أربعة وظائف رئيسية:

- وظيفة معرفية : une fonction de savoir بفضل محتواها سوف تسمح بفهم و تفسير الواقع في نفس الوقت، هذه المعارف " الساذجة " تسمح بالتواصل و التفاعل الاجتماعي.

- وظيفة هوية : une fonction identitaire تستخدم التصوّرات الاجتماعية لتحديد الهوية الاجتماعية لكل فرد، و بالتالي الحفاظ على خصوصية الفئات الاجتماعية. هذه الوظيفة ستتدخل في عملية التنشئة الاجتماعية أو المقارنة الاجتماعية.

- وظيفة التوجيه : une fonction d'orientation التصوّرات الاجتماعية تسمح للفرد التوقع، و ليحدث الترقبات و لكن أيضا لإصلاح ما يمكن القيام به في سياق اجتماعي معيّن.

- وظيفة تبريرية : une fonction justificatrice يمكن لها أيضا أن تعمل بأثر رجعي و بالتالي تعمل على تبرير خياراتنا و مواقفنا. و تلعب هذه الوظيفة دورا حيويا في الحفاظ أو على تعزيز المواقف الاجتماعية.

ب- المقاربة المعرفية :

- مفهوم التصوّر في علم النفس المعرفي

حسب Fodor (1986) يوجد حالات ذهنية و تصوّرات عقلية متجسدة، بمعنى التجريد من كلّ أدى متعمّد، هذه الحالات الذهنية التي بإمكانها تفسير الاتجاهات الافتراضية (بمعنى أظن أن ..... ، أعرف أن ......، أؤمن أن ....)، التصوّرات الذهنية هي إلاّ رموز تعمل على بناء جملة التي تعتبر حساسة لأشكالها، لغة الفكر ليست سوى معالجة نحوية من التصوّرات الذهنية.

في نهاية المطاف، يرتبط مفهوم التصوّرات إلى إشكالية الحقيقة – المناسبة (vérité – adéquation): يوجد عالم قبل وجود أي فرق، الفرد يصف بشكل كاف هذا العالم عندما يتمكّن من تصوّر الخصائص الأساسية الواردة في جوهر المواضيع.

التصوّر إذا له خاصية أنه يكشف ما هو وارد في العالم طالما لا نتدخل في هذا المحتوى و أن يتحقق ذلك عن طريق معالجة قائمة على أساس قواعد محدّدة، هاتين النقطتين من التراث الكلاسيكي هي موجودة في فكرة " علاج حساب – تصوّري "[1] (Nathalie blanc,2006 :p139)

وضع التصوّر في علم النفس المعرفي :

الفكرة المقبولة في علم النفس المعرفي أنه إذا أبدى الكائن الحي سلوكيات مختلفة عند تفاعله مع البيئة، فهنا يعني أن لديه أفكار على هذه البيئة، وفقا لتصوّراتهم و معلوماتهم المستمدة من البيئة تنفّد سلوكيات غالبا ما تكون

[1] - traitement-computo-représentationnel

ملائمة. التصوّرات لهما وضعية وساطة بين العالم الخارجي و الفرد و التصوّر يهدف إلى إعادة إنتاج على مستوى آخر عن طريق بدائل تصوّرية، واقع سلوكي أو مفهوم غائب(Nathalie blanc,2006:p140).

الصور الفكرية و اللغة هم حتما البدائل التصوّرية التي تسمح لنا تصوّر الحقيقة . منتجات التصوّرات هي " تصورات لأشياء حقيقية (مثلا رسم عائلة) أو لأشياء معرفية (مثلا الحوار الذي نعطيه حول هذه العائلة)، هذه تصوّرات تتوافق إما مع المعرفة حول الموضوع المعرفي (بمعنى معرفة معلنة) أو معرفة على تطبيق هذه المعرفة (بمعنى معرفة إجرائية)، فيما يخص (تصوّرات النماذج) فهذا يعود إلى المعارف المخزونة في الذاكرة الدائمة. حسب Ehrlich 1976 هي عبارة عن البني الدلالية الدائمة.

يوصي كذلك Denis (1989) أن تعتبر " التصوّرات " تحت زاوية اتجاهاتهم، فمهما كان اعتبار السلوك فهو موجه نحو هدف و التصوّرات تنتمي إلى جزء من نشاط الإنسان يجب النظر إليها تحت هذه الزاوية.

علم النفس المعرفي جمع العديد من المعلومات الخاصة ب التصوّرات – النماذج، خاصة من خلال الأعمال المحققة في مجال الذاكرة الدلالية أو الذاكرة التخيّلية. و بتدقيق مصطلحات الذاكرة الدلالية يجب أن تستعمل في كلّ مرة مقارنة مع التصوّرات الذهنية الخيالية.

يعتبر جان بياجي Jean Piaget التصوّر عنصرا أساسيا في عملية النمو العقلي و تنشيط الذاكرة ، ابتداء من العلاقات الأولى للطفل مع العالم الخارجي، فالطفل يبني علاقاته مع العالم من خلال تصوّراته، لأجل تحقيق نوعا من الإشباع و الحركة (ماريف، 2013 : 84) فالتصوّر حسب جان بياجي Jean Piaget يعتبر ميكانيزما ذهنيا لاسترجاع صورة ذهنية من الماضي عن طريق رمز مهما كان (موضوع ، حادث ...)، و التصوّرات حسبه تبقى عملية مستقلة عن كل تأثير للمحيط. فالتصور حسب جان بياجي jean Piaget يختزل في معناه المباشر

من الصورة العقلية، حيث أن الفرد يستقبل صورة الأشياء و يدركها بعد ربطها بمواضيع كانت غائبة عنه، فيتمكن بذلك من تفسير ظواهر المحيط الخارجي ممّا يسهل عليه عملية الاتصال بالآخرين (خلايفية ،2012: 27)

يعتبر هنري فالون wallon أن التصوّر هو صيرورة بين الفرد و العالم، حيث نجد أن الشخصية خلال مرحلة النمو العقلي عند الطفل، تجد صورها في الانفعال الذي يمثل إحساسا و رغبة حركية، من جانب أهمية اللغة كما يعتبرها في هذه الحالة العلامة التي تعمل على تثبيت التصوّرات في الشعور و يؤكد هنري فالون wallon على دور و أهمية اللغة في ترسيخ المفاهيم التي تحفظ لنا التصوّر في الذهن و كذا في عملية استحضاره و من تم التعبير عنه، كما يميّز هذا المفهوم الصلة و الرابطة بين كل ما هو اجتماعي و ما هو فردي (الحاج شيخ،2013 : 44)

1. مفهوم الصورة الذهنية :

يعود الفضل في إعطاء هذه المكانة لمفهوم التصوّرات إلى الأعمال التي أقيمت في ميدان علم النفس المعرفي، فانطلاقا من التعريفات نستنتج أن التصوّر سياق معرفي ينظّم و ينتج الصورة الذهنية حيث أن الفكر البشري يحتفظ بآثار للحوادث الحسية التي تأتي إلى فكره، فعن طريق التجارب و اصطدامه بالمحيط و ظهور المثيرات يقوم باستحضار هذه الحوادث المخزونة في ذهنه فالصورة الذهنية تعتبر على مجموعة من الميكانيزمات التي من خلالها ببني الفرد التصوّرات الداخلية، تسجّلها في الذاكرة و تعطيها قيمة معرفية حقيقية ضمن السياقات اللاحقة .

و من جهة أخرى، يمكن التعبير عن الصور الذهنية على أنها تصوّر باطني و مركّب حول موضوع أو حادث تم إدراكه و تكوينه في مرحلة سابقة من طرف الفرد و منه فالصورة الذهنية هي ذلك المركب المنظم من الآثار الدائمة حضورها يكون عند تفاعله مع المحيط :المماثلة[2]، التمييز[3] و الحدس[4].

[2] - identification

[3] - discrimination

[4] - anticipation

و الصورة الذهنية يبدو أن أساسها تاريخي، لأن الإنسان حين يولد لا يكاد يعف شيئا تصوّريا بالمرة، و بمرور الوقت تتشكّل في عقله الصوّر تلقائيا بتجميعها المفردات و المعلومات التي يلتقطها بحواسه. المفردات التي تصل هي أوّلا التي تشكّل أرضية الصورة الذهنية و ملامحها العامة و تكتسب تواجدا يصعب زحزحتها، أما المفردات و المعلومات التالية (تاريخيا) تساهم في التطوّر التدريجي لتلك الصور الأوّلية عن الأشياء. و الذهن النشط تتطوّر لديه الصورة الذهنية باستمرار و كنتيجة لما يلتقط من معلومات و أخبار و ما يكتسب من خبرات. و لا فرق في الذاكرة بين المعلومات المتعلقة بالحقيقة و تلك المتعلقة بالوهم فكلها قابلة للتخزين و التشغيل و التفاعل الذهني و تشكيل التصوّرات و السلوكيات (هاني، 1999:ص 51).

ممّا سبق تبرز مسألة مدى الثقة في صحة تصوّرنا (موثوقة التصوّر) فكل منا يتصوّر الوجود بدرجة و نوعية علمه به أو بما يعرفه عنه أي بطريقته، أمّا الحقيقة المطلقة للوجود فلا يمكن علمها فلا يوجد تصوّر ذاتي صحيح للأشياء فهي لا تخلو من عدم اليقين، فقد يمكن أن نعرف بعض سلوكياتنا و ما نسميه خصائصنا، لكننا كثيرا ما نعجز من تفسير لماذا يحدث ذلك؟ و القضية الرئيسية لسيكولوجية التصوّر:كيف نتمكّن بمنظومة التصوّر أن نستخلص صورا موثوق فيها بخصوص ما يحيط بنا ثم ما يغيب عنا ،و عن الأمور الجوهرية التي تهمنا أو تعنينا، فكل تصوّراتنا هي مجرد نماذج متواضعة لحقائق الأشياء و بعض معالم الواقع (هاني، 1999:ص 51)

هناك تناقض بين مفهوم التصوّر الذهني لدى جان بياجي Jean Piaget و بين مختلف نظريات التحليل النفسي، بالنسبة ل جان بياجي Jean Piaget يركّز على مرحلة الذكاء التصوّري (أي بالارتكاز على صورة ذهنية و بنشاطات رمزية مثل اللعب أو اللغة التي تسمح باستحضار ذهني للشيء في غيابه)، في نهاية العام الثاني و ذلك بالاستعانة بسياقات المحكات المؤّجلة (Imitation Différée).

بالنسبة للمحللين النفسانيين مثل Winnicott يبدأ التصوّر الذهني (الذي يعّد شرط ضروري لتهيئة الفكر) مبكرا و لا يحتاج أن يكون مصطنعا (sophistiquée) أو مجهزا (élaborée) في أدق تفاصيله.

ت- المقاربة النفسية :

2. مفهوم التصوّر عند المحللين النفسانيين

استخدم مفهوم التصوّر في مجال نظرية التحليل النفسي من قبل سيغموند فرويد S. Freud المعبر عنه باللغة الألمانية worstellung و هي كلمة ألمانية للدالة على مفهوم التصوّر " و تعني به كائنا داخليا، يتمثّل محتواه كنتيجة للإدراك ، يأخذ شكل أثر ذكوري ، و يصبح تصوّرا عندما يستثمر " (ماريف، 2013: 19)

أخذ هذا المفهوم مكانة كبيرة و استخدم خاصة في مفهوم العمليات العقلية ، و يعارض سيغموند فرويد Freud ما بين التصوّر و ما بين العاطفة، إذ يلقي كل هذين العنصرين مصيرا مختلفا في العمليات العقلية بشكل منفصل (Laplanche J.et Pontalis J.B. 1996 :p414) .

يميّز Freud في مفهوم التصوّر معنيين، الأوّل تصوّر الشيء، و الثاني تصوّر الكلمة، حيث استعملها في نصوصه المتعلقة بما وراء النفسانية، لأجل التمييز بين نوعين من التصوّرات، البصرية منها أساسا (تشتق من الشيء)، و السمعية منا أساسا(تشتق من الكلمة). تصوّرات الشيء الذي يميّز النظام اللاشعوري له علاقة حالية مع الشيء في " الهلوسة البدائية " ستكون هناك حاجة إلى تصوّر شيء من قبل الطفل ما يعادل الشيء المنظور و يستثمر في غيابه. ارتباط تصوّر الشيء بتصوّر الكلمة يميّز نظام ما قبل الشعور- الشعور، يختلف عن نظام اللاشعوري الذي لا يتضمن إلا على تصوّر الشيء. يتم إدخال تصوّر الكلمة في التصميم الذي يربط التعبير اللفظي و الوعي. حسب Freud " يشمل التصوّر الواعي تصوّر الشيء بالإضافة إلى تصوّر الكلمة المطابقة، في حين أن التصوّر اللاشعوري هو تصوّر الشيء فقط " (Laplanche et Pontalis 1996 :p415)

يتكلّم سيغموند فرويد S. Freud عن " التصوّر اللاشعوري " بتسجيله الاحتياطي ، التصوّر يكون منقوش في " أنظمة الذاكرة " و تبرز فكرة تصوّر الشيء في مذهب سيغموند فرويد Freud . في مرحلة مبكرة جدا ،حيث تتضاعف الذاكرة في سلسلة مختلفة مترابطة و يشار إليها تحت مصطلح " آثار الذاكرة "، التي تحفظ مختلف أنظمة الذاكرة، و بالتالي يتم التصوّر على مستويين، الأوّل يتم فيه تمييز التصوّر بشكل قاطع عن آثار الذاكرة، يعيد توظيف و إحياء ذلك الأثر الذاكري، الذي لا يعدو كونه بحد ذاته سوى تسجيل للحدث، أما المستوى الثاني، فلا يجب اخذ تصوّر الشيء، و كأنه شبيه عقلي لمجمل الشيء، إذ يكون هذا التصوّر حاضرا في مختلف الأنظمة، أو في مركبات الترابطية، تبعا لهذا أو ذلك من أوجهه المختلفة .

و حسب ماريف منور في مذكرته فإن الجانب النفسي للتصوّر ينحصر في التصوّر الداخلي، أو بمعنى آخر التمثّل العقلي نجده مرتبط بتكوين رسومات إدراكية، أو مدركة و سلوكيات مكتسبة في مرحلة الطفولة، و هذا ما نجده في كتابات بياجي J. Piaget و أيضا في نظرية الجشطالت (Gestalt). إن الجانب الثقافي يتدخل بقوة، و هذا ما أشار إليه إدقارد مورين Edgard Morin، بمعنى التأثير الثقافي في حياة الفرد أثناء الطفولة على سن المراهقة، و ما يحتويه هذا الجانب من قيم اجتماعية و عادات و تقاليد، تعمل على تثبيت و ترسيخ كل الأفكار و التصوّرات، التي من خلالها يتكوّن فضاء من التصوّرات الشاملة للحياة الاجتماعية (بوسماحة، 2007: 42)

3. <u>المقاربة المعرفية لمفهوم التصوّر في علم النفس العيادي :</u>

يعرّف المعجم الكبير في علم النفس المخطط (Schéma) كتكوين نفسي مخزن في الذاكرة يحتوي على خصائص تفسّر كيان معرفي و مخططات علم مشتركة .

في الذاكرة لدينا العديد من المخططات المعرفية تحدد الخصائص العامة للمثير الملموس. المخطّط يكون شبيه " للتخيّل " و المعرّف من قبل Kant 1787 " كإعادة إنتاج – بمعنى إنشاء و تخزين أثر الذاكرة من تجربة ذاتية

– و كإنتاج – بمعنى تطوير التوقع بما يتعلّق بالمثير تسمح بأن يستبق النتائج المستقبلية – معنى حضور المثير (الحافز) يحدد الحاضر بحسب التجارب السابقة و الانتظارات المستقبلية للفرد .

في علم النفس العيادي، علم النفس المرضي تكون العلاجات المعرفية السلوكية (TCC) مرتبطة بمفهوم المخطط المعرفي في إشارة إلى نموذج من المعتقدات غير العقلانية ل Ellis 1962، ثم ل Beck 1967 ، المخطط يتكوّن من المعرفة نتيجة للتجارب السابقة للفرد.

إشارة إلى المستوى المعلن و الغير معلن للذاكرة تعرّف الأفكار كإنتاج نفسي يصل إلى الشعور لكن استنادا إلى التفعيل التلقائي للمخطط المعرفي اللاشعوري المخزّن في الذاكرة الدلالية حسب Cottraux et Blackburn 2001.(Nathalie blanc,2006 :p76) تتميّز إذا الحالة النفسية بظهور الأفكار الشعورية المضطربة أو أفكار تلقائية تستند على التفعيل التلقائي للعديد من المخططات المعرفية تحمل استدلالات تعسفية أو تشوهات معرفية خاصة بحادثة ما. حسب هذا النموذج المعرفي، هذه المخططات المعرفية تعمل حسب المشاعر المتجهة نحو المثير.

إذا المخطط المعرفي عرف إشارة إلى اضطرابات المزاج و كذلك إلى اضطرابات الشخصية، المخطط المعرفي يجد أصله في مسار التعلّم اللاإرادي المحقق من قبل الفرد عن طريق تفاعله مع المجتمع. عرّف كتصوّر نفسي مستقر، مخزّن في الذاكرة و يؤخذ شكل تكوين معرفي مرتبط بالمعلومات المتعلّقة بالذات و بالآخر و بتفسيراتنا للمستقبل تفعيل هذه المخططات تكون لها عدة نتائج : من جهة فهي توضح محتوى التفكير و من جهة أخرى تبقى في حالة كامنة كمخططات أخرى مخزنة في الذاكرة.

حسب نموذج Young1990 نقترح مخطط مبكّر غير منسجم، يعيد Youngتعريف المخطط المعرفي بمجموعة من المعلومات المنظمة و المستقرة ناتجة عن التجارب الماضية للفرد و المتفاعلة مع الحاضر و يدخل Youngالمعلومات حول المشاعر، الأفكار و الأحاسيس الجسدية المرتبطة بحادثة.

و بإضافة مصطلح " مبكّر " (précoce) يشير الباحث أن هذه المخططات الخاصة هي نتيجة للخبرات المتكررة أثناء الطفولة ممّا تؤدي إلى تطوير المعتقدات عن الذات و عن العالم الخارجي. إذا المخطط المبكّر هو تكوين معرفي عميق متعلّق بمواضيع التفكير (الأفكار) و التي تأثّر في الطريقة التي يفسّر فيها الفرد تجاربه في الحياة . أخيرا من خلال وصف " غير منسجم " هذه المخططات هي معرّفة كنموذج معرفي و عاطفي يدافع عن الذات حيث أن تفعيله يدفع المشاعر السلبية و تغزو من الخوف و الغضب.

من جهة المخططات تظهر مبكرة في حياة الفرد حيث أنها تسمح له بظهور رد فعل مناسب لظروف الحياة. في حين أن البيئة تنمو مع السن، فهذه المخططات تصبح تدريجيا غير مناسبة و أن تفعيلها الهائل لاحقا يدفع إلى إدراك غير دقيق الوضع. من جهة أخرى يمكن تقييم مستوى العجز المعرفي الناجم عن هذه المخططات حسب مستوى الخطورة.

أصل تطوّر المخططات المبكرة غير المنتجة : المقاربة التطوّرية الموصوفة من قبل Young et al 2005 تستأنف العديد من أفكار Beck : أن تكوين مخطط معرفي مبكر سيؤول إلى التفاعل بين المزاج العاطفي مع خصائص البيئة التي يعيش فيها الطفل ، بمعنى آخر أن البيئة سيكون لها نتائج مضرّة على نمو الطفل حسب مزاجه العاطفي الأساسي .

نموذج المخططات المبكرة غير منسجمة تضيف أن الطبيعة غير منسجمة لمخطط يكون له علاقة مع المتطلبات الأساسية غير المشبعة. في حين أن الطفل لم يتكلّم بعد فإن التجارب المبكرة تعتبر كضرر لا تلبي العديد من

رغباته فعندما يتكرّر عدم الرضا يكون للطفل تصوّر غير راضي عن البيئة التي يعيش فيها (أنظر الجدول 1)، هذا التصوّر يتم تصنيفه على أنه مخطط مبكر غير منسجم ، حيث أنها تميّزت بأنها غير مشروطة.

الجدول 1: تكوين المخططات المبكرة غير المنسجمة حسب التجارب المبكرة الخاصة(Young et al 2005) (Nathalie blanc,2006 :p76)

تجارب الحياة المبكّرة Expérience de vie précoce	الرغبات المفقودة Besoin manquant	المخطط غير منسجم Schéma inadapté
- الإحباط من الاحتياجات الأساسية - صدمات - إشباع الرغبات المفرطة - التعرف الانتقائي مع الأشخاص المهمين	- الاستقرار ، التفهّم ، الحب - سوء المعاملة - استقلالية / حدود - استيعاب للتصورات الوالدية الإيجابية	- الحرمان العاطفي ، التخلي - النقص / العار - الاعتمادية / عدم الكفاءة (العجز) - العدوان ، الإيذاء

مثلا اتجاه الوالدين العنيفين (هنا حادثة) : الطفل يمكن له أن يستعين بالعديد من الأفكار و التصوّرات الناتجة عن المواقف العدوانية للوالدين (رغبة مفقودة)، جل هذه المعلومات يكوّن مخطط معرفي من العدوانية، و في سن الرشد التفعيل الغير إرادي (تلقائي) لهذا المخطط يجبر الحالة على إظهار سلوكيات عدوانية غير منضبطة. تدفق هذا الطابع السلبي نقّر أن هذا المخطط غير المنسجم يحتوى على مكوّنات عائلية لهذا الفرد. يترتب على ذلك أنه

يبحث حماية نفسه من خلال البحث عن مواقف التي تناسبه و يعيد تكوين لا شعوريا الظروف القاسية (المواقف العنيفة) لطفولته.

برجوعنا إلى أعمال (Young 2005) يمكن ترتيب العديد من السلوكيات غير المنضبطة في قائمة من 18 مخطط مبكّر غير منسجم، هذه المخططات هي بدورها مقسمة على 5 مجالات من المخططات تنتمي إلى 5 فئات من الرغبات العاطفية غير مشبّعة (أنظر الجدول 2) .

الجدول 2 : ميادين مخططات المبكرة غير المنسجمة (Young et al 2005)

(Nathalie blanc,2006 :p85)

المجالات Les domaines	المخططات Les schémas	السلوكيات Les comportements
- الانفصال و الرفض	- الهجران / عدم الاستقرار - عدم الثقة / الاعتداء - الحرمان العاطفي - النقص لا/ العار عزلة اجتماعية	- الخوف من فقدان الروابط و الحماية من الأشخاص المقربين . - الخوف من أن يظلم - التأكد من غياب الحماية . العواطف الضرورية - الإحساس المفرط للمعتقدات – الشعور بالاختلاف عن الآخرين
- غياب الاستقلالية	- الاعتمادية / عدم الكفاءة - الخوف من الخطر أو من المرض	- الحاجة إلى الآخر في جميع المواقف - التخوّف من وقوع كارثة

	- الاندماج / شخصية مضمّرة - فشل	- التعلّق المفرط لشخص - الاعتقاد بأن يكون أقل شأنا من الآخرين
- غياب الحدود	- الحقوق الفردية المفرطة - الانضباط الذاتي الناقص	- الحصول على السلطة و السيطرة على الآخرين - عدم تقبل الإحباط
- الإحالة إلى الآخر	- استبعاد - إنكار الذات - البحث عن الاعتراف	- الطلب المفرط للآخر - تلبية احتياجات الآخر على حسابه الخاص - الرغبة المفرطة في موافقة الآخر
- يقظة عالية و كبت	- سلبية ، تشاؤم - المراقبة العاطفية الزائدة - المبادئ المتشددة - عقاب	- الخوف المفرط من ارتكاب الأخطاء - شخصية باردة و منعزلة - البحث عن الكمال ن النقد الذاتي - تعصب

ث- المقاربة الأنتروبولوجية :

الدراسات الانتروبولوجية تقر على أن العناصر المكوّنة للثقافة تعمل كلها على تكوين شخصية الفرد، فهي ناتجة عن تفاعلات الأفراد كونها تتم داخل المجتمع.حيث تظهر فعالية التصورات نتيجة الدينامكية الاجتماعية القائمة بين الفرد و المجتمع، يعرّفها إدوارد برنات تايلور E .B Taylor تعريفا انتروبولوجيا " هي هذا الكل المركب

الذي يشمل المعرفة و المعتقدات و الفن و الأخلاق و القانون و العادات، و كل القدرات و العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع (ماريف، 2013: 85)

في معجم العلوم الإنسانية " التصور الموضوع أو فكرة معيّنة يدل في معناه العام عملية استنساخ على شكل صورة ورمز أو إشارة مجردة، الخصوصية الأساسية للتصوّرات الاجتماعية و هي السماح بتوظيف على شكل شريط يبسط الأمور المعقدة إلى أجزاء أساسية يمكن لها أن تقوم مقام دليل لقراءة الواقع (مرحوم،2013 : 12)

4- **بعض المفاهيم المتداخلة مع التصوّر :**

التصوّر و الرأي : حسب Moscovici أن الرأي فكرة يبدي فيها الفرد موقفه من جهة، و من جهةّ أخرى تصوّر ذهني يحدد وضعيته حول مشكل معارض للمجتمع و تعبر عنه في استجابة لظاهرة لفظية قابلة للقياس . (هامل ،2012: 43)

و يتأثر التصوّر بالآراء الشخصية حسب موسكو فتشي Moscovici فعلى حد تعبيره هو عبارة عن مجموعة من الآراء يفهم من خلالها التصوّر و بهذا الرأي عبارة أداء تمكننا من الوصول إليه .

إذا يمكن القول أن التصوّر أشمل من الرأي كون الرأي خاص بالفرد و هو كذلك قابل للتغيير في حين التصوّر يتميّز بشيء من الثبات و يحمل الخاص الجماعية (عكسة،2015 :44)

التصوّر و الاتجاه : من خلال المعلومات التي يكتسبها الفرد حول موضوع معيّن تكون مخزونا من المعتقدات التي تعتمد على الموضوعية و على الأحكام و النمطية و يمكن لها أن تتغيّر و تتطوّر يكون الاتجاه استعدادا لاستجابة سلبا أو إيجابا لطبيعة الموضوع .

يعرف ألبرت Alport الاتجاه بأنه " حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي النفسي، تنظم من خلاله خبرة الشخص و تكون ذات تأثير توجيهي أو دينامي على استجابة الفرد لجميع الموضوعات و المواقف التي تستثير هذه الاستجابة " (عكسة،2015 :44)

والاتجاه عبارة عن الحالة الوجدانية للفرد التي تتكوّن بناءا على ما يوجد لديه من معتقدات أو تصوّرات فيما يتعلّق بموضوع ما أو لأشخاص معينين. يظهر استجابات أو سلوكيات تعبّر عن موقف و يتحدد من خلال هذه الاستجابات مدى رفضه أو قبوله لهذا الموضوع أو هؤلاء الأشخاص (الحاج شيخ،2013 : 47). يرى السيّد فرج شحاته(2004) أن الفرد لمقارنة نفسه بالآخرين مستمدا منهم تصوّراتهم و أفكارهم التي يعتقد – وجهة نظر – أنها صحيحة حول قضايا حياته بعينها تبني اتجاهات جديدة بشكل تلقائي (هامل ،2012 : 44)

يمكن القول أن التصوّر يمثل الدلالة العقلية لاكتشاف المحيط في حين أن الاتجاه يظهر من خلال الاستجابات التعبيرية (الإشارات ، الحركات ، الوضعيات ....)

التصوّر و الاعتقاد : المعتقد مجموعة من التصوّرات و المدركات و المعارف فهو تنظيم لتصوّرات الفرد و معارفه حول موضوع معيّن سواء كان أشخاص أو مواقف، و يكون ذلك تدريجيا حيث يبدأ من الرأي و ينتهي بالاتجاه (هامل ،2012 : 44)

يعرّف كير لينجر الاعتقاد بأنه " فرصة ثابتو أو اعتقاد متعلّق بالأنظمة الاجتماعية كأهداف الحياة ووسائل تحقيقها و أصناف السلوكيات الاجتماعية " و بهذا التصوّرات تشرح الاعتقادات و تفيدنا في فهمها و فهم سبل التكيّف مع المجتمع(عكسة،2015 :45)، كما أن الاعتقاد يخفي مفهوم التنظيم الاجتماعي الذي سعى موسكو فتشي Moscovici بقدر واسع إلى توضيحه و تمييزه عن الاعتقاد و ذلك بإظهار أنه يكون في المجال

المعرفي للتصوّر الاجتماعي و يساهم على تآلف الاعتقاد و هذا بإستخال معلومات جديدة انطلاقا من نماذج مكوّنة اجتماعيا فبفضله يستطيع الفرد أن ينسق وضعه مع مجتمعه (Moscovici S ,1992 :p 81)

التصوّر و الإدراك : الإدراك يكون سابقا لعملية التصوّر الذي يحدث بعد التعرّف على الموضوع.الإدراك هو عملية اختيار و تنظيم و تفسير المدخلات التي تأتي عن طريق الحواس(النظر، السمع، اللمس، التذوق و الشم) لتحديد معنى و ترتيب العالم من حولهم، و من خلال الإدراك يحاول الأفراد فهم بيئتهم و الأحداث و الأشخاص في تلك البيئة .

فالإدراك إذا هو استقبال الذهن لصور الأشياء المدركة كما يبدو لنا و كما تنقلها الحواس في حين أن التصوّر يعتبر الوسيط الذي يجمع بين النشاط الإدراكي و الفكري (عكسة،2015 :46)، يعرّف موسكو فتشي Moscovici الإدراك بأنه فعل بنائي، حيث يفسّر الفرد الأحاسيس التي يتلقاها و يضعها في علاقة مع بعضها البعض و يعطيها معنا خاص.

التصوّر و الصورة : يبيّن مسلم (2007) أن الصورة لا تنحصر في إعادة إنتاج الواقع، بل تثير موضوع التصوّر الفردي و الاجتماعي، و الصورة هي وصف لأشياء ثابتة في مقابل المحسوسات الكثيرة و بهذا تعبّر الصورة عن وجود غير محسوس (هامل ،2012 : 44)

يتضح الفرق بين الصورة و التصوّر الذي يكمن في ميكانيزم الانعكاس، فإذا كانت الصورة طبق الأصل لما هو موجود في الواقع فإن التصوّر قولبة لما هو موجود فعلا نتيجة الخصائص البنائية و الاجتماعية التي تعطي للتصور دلالة خاصة ، فالصورة انعكاس حقيقي للواقع كما هو موجود أمّا التصوّر فهو انعكاس داخلي لواقع خارجي و هو عملية بناء للواقع انطلاقا من المعطيات الخارجية (الحاج شيخ،2013 : 48).

التصوّر و النمطية : النمط هو مدركات مسبقة للعالم و هي فاعلة جدا في معرفة الواقع. و تجدر الإشارة إلى أهمية النمطية في السيرورات الاتصالية حيث تسمح للجماعة بأن تتعرّف على نفسها بالنسبة لجماعة أخرى .

التصوّر و الظن : الظن في رأي بعض المختصين في اللغة العربية أن لفظ الظن ورد بمعنى يفيد الشك و بمعنى يدل على شبه اليقين و ما بينهما من درجات ، و يمكن أن نفهم من ذلك أن معنى هذا اللفظ يتوقف على نوعية التصوّر و لذلك نقول أن الظن هو حالة تصوّر ذهني لمنظومة معلوماتية معينة و لذلك نحسب الظن فرع من التصوّر، أو هو حالة تصوّر للواقع أو للغالب (هاني عبد الرحمن، 1999:ص 71)

5- أبعاد التصوّرات

يتلقى الفرد مجموعة من المعلومات عن طريقة الحواس و مع العلاقات التي يقيمها مع الآخرين فتظل هذه المعلومات محفوظة في ذاكرته، فالفرد لا يمكن له أن يبني تصوّره عن موضوع معيّن بدون الرجوع إلى هذه المعلومات التي تلقاها، فهذه المعلومات تعبّر عن نظام معرفي يكتسبه الفرد تسمح له بالتكيّف مع المحيط الذي يعيش فيه. يمكن تحديد ثلاث أبعاد للتصوّر في سياقها النفسي و الاجتماعي و الثقافي الذي تظهر و تتطوّر فيه(هامل ،2012 : 46):

أ- البعد الأوّل : التصوّر هو بناء الواقع من طرف الفرد، و هو نشاط نفسي باعتباره يقوم على عدد كبير من الادراكات المتكررة في بناء جملة من المعلومات موضعها الواقع، فيبني الفرد تصوّراته من خلال الواقع و المعلومات التي يتلقاها و ذالك بالرجوع إلى ما اكتسبه من مجتمعه و هذا ما يسمح له بالتكيّف و التواصل و تحديد علاقاته داخل مجتمع.

ب- البعد الثاني : التصوّر نتاج ثقافي و تاريخي معبّر عنه اجتماعيا و تسجل التصوّرات في سياق تاريخي و تكون تابعة للوضعية الواقعية فتصبح التصوّرات كمنتج ظاهر تاريخيا، و تطوّر شبكة العلاقات الاجتماعية و

الإيديولوجية و مختلف الطبقات المكوّنة للمجتمع و كل ذلك في إطار زماني محدّد. كما قد تصبح التصوّرات كمنتج ثقافي معبّر عنه اجتماعيا من خلال التفاعلات و الممارسات الاجتماعية بين افرد و المحيط فكل طبقة اجتماعية نظام قيمي مرجعي خاص.

ت- البعد الثالث: التصوّرات كعلاقة اجتماعية للفرد مع عنصر من المحيط الثقافي، حيث أن التصوّر الذي يبديه الفرد يكون من خلال العلاقات الاجتماعية التي تمنحه مميزات خاصة و توجب عليه انتقاء بعض العناصر للموضوع الذي يتصوّره.

6- مميّزات التصوّرات :

أ- الميزة الفكرية الإدراكية : يعد التصوّر إعادة إحضار حسي للوعي و للشعور بالرغم من غياب المستحضر عن المجال الملموس و هذا ما يشير إلى أن التصوّر له ميزة إدراكية فيس نفس الوقت بالرغم إلى تناقض الموضوع بينهما باعتبار أن الجانب الفكري يتطلب حضور الموضوع و الفكري يتطلب غيابه. و هذا الصدد يشير موسكو فتشي Moscovici إلى أن " التصوّر يسمح بالعبور من الحلقة الحس الحركية إلى الحلقة المعرفية و من الشيء المدرك من بعد إلى التحسس بأبعاده و أشكاله (Moscovici, 1998 : p 368)

ب- الميزة المعنى الشكلي الدال : حسب موسكو فتشي Moscovici أن هيكل التصوّر يكون مزدوجا أي ذو وجهين كالورق ، الوجه الشكلي و الوجه الرمزي ، بالتالي يعد التصوّر شكل و معنى على أساس أنه لكلّ شكل معنى و لكل معنى شكل (Moscovici, 1998 : p 367)، و يعطي الفرد دلالة للموضوع و يفسّر بإعطاء معنى، و المعنى le sens هي الصفة الظاهرة في التصوّرات.

ميزة البناء الذهني : يعبّر التصوّر عملية التي من خلالها ترتبط بها المواضيع الموجودة في دائرة الفكر، فعملية البناء الذهني ركيزة التصوّر، فنجد عملية بناء و إعادة بناء و تركيب يقوم بها الفرد في فعل التصوّر. و التصوّر يبني الواقع

الاجتماعي و كلّ واقع هو تصوّر أي منسوب للفرد أو الجماعة، و هذا الواقع يعاد بناءه في نسق معرفي داخل نسق القيم و التاريخ و الإطار الاجتماعي و الإيديولوجي المحيط بالفرد و الجماعة (عكسة،2015 :47)

الميزة الاجتماعية :يتحدد التصوّر من خلال بنية المجتمع و العوامل الاجتماعية المختلفة التي يتطوّر فيها الفرد مثل نظام القيم و المعتقدات و الانتماء الجماعي و هنا التصوّرات تسهّل من عملية التواصل باعتبار أن التصوّر يتشكل وسط عملية علائقية.

ث- ميزة التخيّل :مفهوم الصورة لا تعني إعادة إنتاج بسيط للواقع لكن تعبر عن الوجهة التصوّرية للتصوّر، من خلال طابعه التخيلي يساعد التصوّر على فهم المفاهيم المجردة،أي يجسّد المفاهيم ماديا(عكسة،2015 :47)

7- السيرورات التي تساعد على تكوين التصوّرات :

بالنسبة ل موسكو فتشي Moscovici فإن التصوّرات الاجتماعية عبارة طريق لفهم الواقع، و وظيفة الأساسية للتصوّرات الاجتماعية هي تفسير الواقع المحيط بنا. هذه الوظيفة تصبح ممكنة من خلال سيرورتين أساسيتين و التي تحددان خصوصيات التصوّرات الاجتماعية و يتعلّق الأمر بالتوضيع و الإرساء أو الترسيخ .

أ- التوضيع : l’objectivation

عبارة عن سيرورة يتم من خلالها تجنيس مفهوم مجرد، بحيث يتم إدخال عليه سلسلة من التحولات ليصبح ملموس. و يعرف موسكو فتشي Moscovici التوضيع على أنه" الإزاحة التدريجية للمعاني الزائدة عن طريق تجسيدها،و هي كذلك الانتقال إلى المستوى الملاحظة التي لا هي مستنتجة و لا مرمزة(عكسة،2015 :47)

إن هذه السيرورة (التوضيع) تهتم ببناء المعارف المتعلّقة بهدف التصوّرات، و هي تعني تجسيد ما هو مجرد و تسمح سيرورة التوضيع للأشخاص بالتحكّم و دمج الظواهر أو المعارف المعقدة و تظم مراحل عديدة منها مرحلة البناء الانتقائي التي يتم من خلالها فصل مكوّنات الموضوع الجديد عن إطارها الأصلي و انتقائها و فرز المعلومات و الاحتفاظ بها، بما يوافق النظام القيمي للجماعة و مرحلة التخطيط البنائي حيث أن العناصر المنتقاة

في المرحلة السابقة تشكّل نواة شكلية و هي بنية تصوّرية تعيد إنتاج مفاهمية بطرق ملموسة و مرحلة أخرى هي مرحلة التطبيع حيث يمنح لهذه النواة الرمزية مبدأ البديهية و الوضوح الذي يجعلها غير قابلة للنقاش فتتطبع. في هذا المجال تتدخل ظاهرتين في العملية (مرحوم،2013 : 15)

ب- الاختيار عن طريق الإدراك الحسي : la sélection perceptive

و الذي يتميّز بوظيفة تصفية المعلومات المتواجدة و التي يقوم أساسا على حساب المعايير النمطية، فالمعلومات الملقاة هي المعلومات الموافقة لغير المجموعة .

ت- فصل السياق : la décontextualisation

يتم فصل المعلومات المختارة عن الصيغة الأوّلية بدون أخذ بعين الاعتبار السياق الذي تتواجد فيه و بالتالي يمكن لهذه المعلومة أن تأخذ مكانا في معنى إجمالي تكون موافقة لتطلعات المجوعة.

الترسيخ أو الإرساء : l’encrage

تعد هذه المرحلة مهمة في أي دراسات للتصورات ففيها يتحدد محتوى التصوّرات و دراسة ترسيخ التصوّرات يعني البحث عن معنى للتركيبة الخاصة بالمفاهيم التي تشكل محتواها .

وتعد مهمة الترسيخ أساسا هو تثبيت التصوّرات في السياق الفكري السائد، إذ أن البناء المعرفي للمواضيع يقوم دائما على المعتقدات و القيم السائدة لدى المجموعة خلال فترة زمنية معيّنة.

و يتم الترسيخ حسب ثلاث أنواع (عكسة،2015 :50)

4. تأثير المعتقدات أو القيم العامة، كالاعتقاد في عالم عادل أو في المساواة و الذي يمكنه تنظيم علاقتنا الرمزية مع الآخرين.

5. ترسيخ تصوّر اجتماعي بحيث يتصوّر الأفراد العلاقات بين الوضعيات أو الفئات الاجتماعية، مثل تصوّر الأفراد للعلاقات بين الفئات الجنسية.

6. ربط التصوّر بالانتماءات و بمواقف اجتماعية خاصة بالأفراد، مفترضين أن كلّ إدماج اجتماعي مشترك مع أفراد آخرين ينتج تبادلات و تجارب خاصة بالموضوع المتصوّر.

8- **أنواع التصوّرات :**

أ- التصوّرات الفردية :

يؤكد بياجي Piaget على أن التصوّرات الفردية ليست مجرد الجمع البسيط بين العناصر العضوية المنعزلة، و لكنها تشكّل وحدة متميّزة بخصائصها الكلية، أما Mélénec عرفتها بأنها استذخال للعالم الخارجي يتم عبر سيرورة دائمة من البناء، فالمحيط الفردي لا يلغي المنبهات الجماعية، فهي متعلّقة بالشخص و تكون مستمدة من الوضعية الاجتماعية التي يعشها في محيطه .(هامل ،2012 : 47)

ب- تصوّر الغير :

ينقسم تصوّر الغير إلى مستويين، مستوى داخلي و هو تفضيل الشخص لذاته عن موضوع التصوّر حيث أن الذات هي التي تحتّم على الفرد التحدث عن نفسه قبل الخوض في أي موضوع، أما المستوى الثاني و هو المستوى الموضوعي الخارجي، و هو ابتعاد الشخص عن ذاته في تخيّله للمواضيع بحيث لا يصبح الفرد محور الموضوع بل يشاركه في ذلك الجماعات أي يجرد الفرد ذاته من موضوع التصوّر.

ت- التصوّر الاجتماعي :

تعتبر Jodlet التصوّر الجماعي اجتماعيا لأنه مستمر التكوّن، وسط وحدة اجتماعية، حيث يتقاسم و يشترك و يتبادل أفرادها اتجاهات معيّنة من خلال دينامكية التفاعلات و التأثير المتبادل، دون أن يخل ذلك بالتوازن حسب شروط الإنتاج الاجتماعي .

خلاصة:

من خلال ما سبق ذكره نجد أهمية دراسة التصوّرات التي تشير إلى تلك النشاطات العقلية و المعرفية التي تحل محل غائب عن المجال البصري، و بالتالي قد تكون هذه التصوّرات إيجابية أو سلبية، فانطلاقا من المعلومات التي يتلقاها الفرد من حواسه و التي جمعها من تاريخه الشخصي و من خلال العلاقات التي يقيمها مع الآخرون ينتج التصوّر كنشاط عقلي و بناء للواقع عن طريق جهاز نفسي إنساني .

الفصل الثالث : المعاش، الروابط العائلية و الجنوح

تمهيد :

I/ مفاهيم العائلة و الأسرة

II/ الروابط العائلية

III/ معاش الجانح في العائلة

تمهيد :

تعد العائلة أو الأسرة هي المسئولة عن بناء نمط سلوك الطفل وقيمه وغرس الصفات والأخلاق الحميدة فيه وهناك عدة دراسات ترى أن الأسرة المفككة لها دور فعال في تكوين السلوك الإجرامي لدى الطفل وبعضها يرى خلاف ذلك وتعتبر الأسرة من أهم الجماعات الأولية بالنسبة لتربية الطفل وتوجيهه والاهتمام به، لذا فإن الأسرة تؤثر على تكوين شخصية الحدث، و رسم مستقبله فهي تعد بمثابة الخلية الأولى لأي مجتمع.

I/ مفاهيم العائلة و الأسرة:

1- تعريف العائلة:

لقد عرف في كتابات الباحثين لفظ العائلة و لفظ الأسرة، لكن يوجد اتفاق بينهم على أن مصطلح الأسرة أو العائلة يشملهما معا(بختي،2014: 54). و قد جاء في معاجم اللغة أن الأسرة هي عشيرة الرجل و أهل بيته الذين يتقوى بهم، أما لفظ العائلة فإنه يدل على من يضمهم بيت واحد، من الآباء و الأمهات.

أما عن لفظ الأسرة أو العائلة فلم يرد في القرآن الكريم، و إنما استعاض عنه بكلمة الأهل، فقد ورد لفظ الأهل في قوله تعالى [*و أمر أهلك بالصلاة*](سورة طه: الآية 132)، أب آمر أهل بيتك بالصلاة. و في قوله [*يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم نارا*] (سورة التحريم: الآية 06). و الملاحظ أن مفهوم العائلة في التعريف الإسلامي، يختلف عن مفهومه في المجتمعات غير العربية و الإسلامية، فهو في الغالب لا يدل على تحمل المسؤولية و الترابط و التفاعل القوي بين عناصرها(بختي،2014: 55).

2- خصوصية العائلة:

ليس لاصطلاح العائلة تعريفا واضحا متفق عليه بالرغم من أن العائلة هي من الوحدات الأساسية التي يتكوّن منها البناء الاجتماعي. و لكن من خصائص العائلة حسب عدة تعريفات لها تنظيم دائم نسبيا فهي وحدة بنائية

تتكوّن من رجل و امرأة تربطهما علاقة روحية متماسكة مع الأطفال و الأقارب تعتمد على أواصر الدم و المصاهرة و التبني و المصير المشترك، و يكون وجودهما قائم على الدوافع الغريزية و المصالح المتبادلة و الشعور المشترك الذي يتناسب مع أفرادها و منتسبيها.

3- الافتراضات العائلية:

العائلة هي منظومة صانعة للمعنى، فطوال مسار نموها تطور افتراضات منظمة حول عالمها الذاتي و العالم الذي تعيش فيه. و رغم الفروقات و التباينات بين أعضائها، فإن لب عضوية العائلة يقوم على القبول بطاقم ملزم من الافتراضات و الخيارات حول الأسرة ذاتها و علاقتها بالعالم الاجتماعي المحيط بها. ترى بعض العائلات العالم عموما أنه منتظم و موضع ثقة و قابل للتوقع و الضبط، و ترى ذاتها جديرة في التعامل معه و الاستمتاع بمعطياته. بينما ترى عائلات أخرى العالم بمثابة عالم مهدد غير مستقر و غير قابل للسيطرة و التوقع، بحيث تنغلق على نفسها و تتكاثف لحماية ذاتها ضد التهديد(حجازي،2005: 18)

4- مفهوم الأسرة :

المفهوم اللغوي للأسرة : " الأسرة " من الناحية اللغوية كما ورد في لسان العرب بمعنى : أسرة الرجل بمعنى عشيرته و رهطه الأدنون لأنه يتقى بهم. و الأسرة بمعنى عشيرة الرجل و أهله بيته.

و " الأسرة " في اللغة مشتقة من " الأسر ". و الأسر لغة يعني القيد. يقال أسر أسرا و أسارا قيده ، و أسره

عشيرته فأن " الأسر " و القيد هنا يفهم منه العبء الملقى على الإنسان أي " المسؤولية ". لذلك فإن المفهوم اللغوي للأسرة ينبئ عن المسؤولية.

مصطلح الأسرة اختلف فيه الباحثون في مجال العلوم الاجتماعية و النفسية في تعريفه إلاّ أن هناك شبه اتفاق على مصطلح العائلة أو الأسرة، حيث يتضمن كلّ منهما الزوج و الزوجة و الأطفال (الكندري، 1992: 23)

تعتبر الأسرة مجموعة أشخاص الذين تربطهم رابطة دموية يعيشون تحت سقف منزلي واحد يتكوّن خاصة من الأب و الأم و الأبناء، فهي تتحدّد بعنصرين الأوّل هو الرابطة الدموية و الثاني سقف واحد، فالبيت لا يقوم إلا بزوجين أب و أم، و ابن يمثّل العلاقة بينهما.

فهي كمؤسسة لا يمكنها القيام دون موازنة بين الحب و السلطة و بين التضامن و التكافل و المنافسة و لا يمكنها ممارسة ذلك إلى بوجود والدين و ابن ومنزل، فالأب لا بد أن يجسّد السلطة و الأم لا بد أن تجسّد الحنان و الإخوة يجسّدون المنافسة الموضوعية، و المنزل يجسّد مكانا للتضامن و التكافل.

و عن لزرق خديجة من مذكرتها " التنشئة الاجتماعية الوالدية و جنوح الأحداث"يعرفها Bourdieu من الناحية الاجتماعية " كمجموعة من الأفراد المتصلة المترابطة فيما بينها بالقران أو أكثر خصوصية بالتبني (قرابة) و يعيشون تحت سقف واحد (المعاشة) .(Bourdieu,1993 :p32)

تتغير طبيعة الأسرة بتغيير المجتمعات، فهناك أسر متكوّنة من أب، أم و أطفال و التي تسمى الأسرة النووية و هناك أسر تتكوّن من أب، أم، أطفال بالإضافة إلى الأجداد، الأعمام و العمات و غيرها و هذه تسمى بالأسرة الممتدة، و هذا ما جاء في دراسات Lévi-Strauss و عديد من الدراسات الأنتروبلوجية.

تعتبر الأسرة مصدر إشباع الحاجات الأولية للطفل منذ صغره، فهي بمثابة مجتمع مبسّط يسعي إلى تطوير العاطفي للطفل و السعي إلى بلوغ النضج، و الذي يتمثل في نمو الفرد في علاقته مع المجتمع.حسب " Murray" يكون الفرد ناضجا على العموم، عندما يستطيع أن يتماها(دون أن يفقد هوّيته الخاصة) مع جماعة فرعية: شعب، سلالة، جماعة سياسية، إيديولوجية، دين أو أقليات مضطهدة(Winnicott d.,1999 ; p91).

و يتفق علماء النفس و الاجتماع على أن الأسرة هي البيئة القاعدية التي تتبلور فيها شخصية الأفراد و ذلك من خلال التنشئة الاجتماعية التي يقدمها الوالدين و بتأثير التفاعلات بينهم و بين أبنائهم.

و يعرّف " بوجاردوس " Bogardus الأسرة بأنها جماعة اجتماعية صغير تتكوّن عادة من الأب و الأم وواحد أو أكثر من الأطفال، يتبادلون الحب و يتقاسمون المسؤولية، و تقوم بتربية الأطفال حتى تمكّنهم من القيام بتوجيههم وضبطهم، ليصبحوا أشخاصا يتصرفون بطريقة اجتماعية .

كذلك يعرف "ستيفن" Stephens الأسرة بأنها تقوم على ترتيبات اجتماعية قائمة على الزواج و عقد الزواج متضمنة حقوق وواجبات الأبوة مع إقامة مشتركة للزوجين و أولادهم و التزامات اقتصادية متبادلة بين الزوجين و تعد الأسرة نظام اجتماعية و هي من أهم الجماعات التي يتكوّن منها المجتمع خاصة، و قد اجتمعت تجارب العلماء على أهمية الأسرة في رسم شخصية أطفال الغد(الكندري، 1992: 24)

5- خصائص الأسرة :

للأسرة عدّة خصائص تتبلور أهميتها في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد و من أبرز خصائصها:

أ- مصدر لإشباع الحاجة للأمن و الطمأنينة و العلاقات الوجدانية :أساس نجاح لعملية التنشئة الأسرية و الصحة النفسية للطفل هي العلاقات الوجدانية، و ترجّح أهمية الروابط المتكوّنة و العلاقات في السنوات الأولى و تأسس الروابط و العلاقات الاجتماعية نحو الآخرين و المواقف الاجتماعية بشكل عام، و تصبح مصدر للرضا و الأمن الطمأنينة إذ يصل الطفل إلى إشباع معظم حاجاته من خلالها، فهي المظهر الأول للاستقرار و الاتصال و الاستمرار .

ب- مصدر لنموذج قوة و توحد: يعد الوالدان بالنسبة للطفل نموذجا للقدوة و الاقتداء في السلوك بالنسبة لأبنائهم النمذجة و الاقتداء عملية أساسية في تنشئة الطفل، فالطفل يميل إلى التقليد و الإقتداء بالآخرين و التوّحد مع الأشخاص الذي من تربطهم بهم روابط وجدانية دافئة ووثيقة.

و التوّحد بإحدى الوالدين (الابن بالوالد و البنت بالأم مثلا) يعد مصدر للأمن النفسي و الرضا و الاستقرار فالتقرّب الجيّد للابن بوالديه و استقرار الروابط تهيّئ الأبناء على التعلّم و تهيّئهم للتجارب و القدرة على التحكّم بالذات و مواجهة المستقبل و تصديه للعوائق لأن الأسرة بالنسبة للطفل تصبح الإطار الأساسي لعلاقته بالناس.

ت- مصدر للخبرات و ناقلة للقيم و المعايير الثقافية و الاجتماعية: تهدف الجماعة على الاحتفاظ على عاداتها و معاييرها و سلوكياتها و قيمها لنقلها إلى أعضاء الصغار و الناشئين فيمثلونها بسلوكياتهم و أفكارهم و بتعاملهم مع الآخرين و من ثمّ نقلها آخرين من ناشئة المجتمع و هي أساس بقائها و استمرارها و تماسكها و توازنها.

و تعد الأسرة أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية تعمل على غرس القيم و المعايير الاجتماعية في نفوس الأبناء فهي إطار للتفاعل و شبكة الاتصال يضع الفرد من خلالها معاييره و توقعاته و في محيطها يتعلم الطفل ثقافة مجتمعه.

من التعريفات السابقة للأسرة يمكننا استنتاج الخصائص التالية للأسرة(الكندري، 1992: 25)

أ- الأسرة جماعة اجتماعية دائمة تتكون من أشخاص لهم رابطة تاريخية و تربطهم ببعض صلة الزواج و الدم و التبني (أو الوالدين و الأبناء) .

ب- أن أفراد الأسرة عادة يقيمون في مسكن واحد.

ت- الأسرة هي المؤسسة الأولى التي تقوم بوظيفة التنشئة الاجتماعية للطفل الذي يتعلم من الأسرة كثيرا من العمليات الخاصة بحياته ن مثل المهارات الخاصة بالأكل و اللبس و النوم.

ث- للأسرة نظام اقتصادي خاص من حيث الاستهلاك و إنتاج الأفراد، لتأمين وسائل المعيشة للمستقبل القريب لأفراد الأسرة.

ج- الأسرة هي المؤسسة والخلية الاجتماعية الأولى في بناء المجتمع و هي الحجر الأساس في استقرار الحياة الاجتماعية الذي يستند عليه الكيان الاجتماعي.

ح- الأسرة وحدة للتفاعل الاجتماعي المتبادل بين أفراد الأسرة الذين يقومون بتأدية الأدوار و الواجبات المتبادلة بين عناصر الأسرة، بهدف إشباع الحاجات الاجتماعية و النفسية و الاقتصادية لأفرادها.

خ- الأسرة بوصفها نظاما للتفاعل الاجتماعي تؤثر وتتأثر بالمعايير و القيم و العادات الاجتماعية و الثقافية داخل المجتمع ،و بالتالي يشترك أعضاء العائلة في ثقافة واحدة .

6- المسألة الأسرية :

و هي ما تتصل بعضوية الفرد في الأسرة. و هذه العضوية تجعل الفرد يعتقد أن دراسة الأسرة أمر سهل و بسيط و من المحتمل أيضا أن يتصوّر أي نسق أسري آخر. لا يتفق مع وضع أسرته، و لا بد و أن يكون غريبا وشاذا. تحتاج المسألة الأسرية إلى دراسة عميقة حتى يمكن فهمها بصورة أدق، هذا ما يجب أن يختبر من الملاحظات الفردية الخاصة بالخبرات الأسرية وفق النمط الذي ننتمي إليه، حتى ندرك كيف يتشابه الأفراد أو يختلفون مع المجتمعات الأخرى، بل أيضا الاختلاف مع الأنماط الأسرية الأخرى القائمة في المجتمع، حيث يتبين أنه المجتمع الواحد تتباين أنماط الأسر المختلفة، من حيث التكوين البنائي و الأيديولوجي و الأدوار الزوجية، و أسلوب الحياة و الاختلافات الثقافية (سيّد منصور، 2000: 16)

7- التربية الأسرية :

اعتبر " Dühring " عام 1990 أن " التربية الأسرية على أنها مجموعة من الممارسات الاجتماعية المستخدمة من قبل الوالدين الموّجهة مباشرة نحو الأبناء، في كنف الجماعات الأسرية، و بمساعدة المتدخلين

الاجتماعيين بالنسبة للوالدين (التكوين الوالدي) و للأبناء (تدخل تربوي مساعد أو استخلاف لجماعة أسرية" (Boutin G. ,et Durning P.,1999 :p 7)

كما عرّف weary عام 1974 التربية الأسرية على أنها " مساعدة يجلبها مربي أو مجموعة من المربيين للتطوّر المنسجم لمتربي في وسط ما و الذي يوافق تكيّفه. تقصد التربية ازدهار شخصية الطفل بغية تكيّفه المستقبلي للمجتمع الكلي " (Malewska-Peyre H. et Tap ,1993,pp 9-10)

8- الأساليب التربوية :

توصّلت " Baumring " أن للأسلوب الوالدي تأثير على تطوّر قدرات الطفل المعرفية و الاجتماعية و السلوكية ما تدفعه إلى نمو الاستقلالية بشتى أنواعها، كما ناقشت Baumring المكانة التي تأخذها السلطة في تربية الطفل مركزة على أهمية تغييرها و تنويعها تماشيا مع عمر الطفل و حساسيته، فهي تتطوّر من مرحلة السيطرة على الطفل أثناء صغره ثم تأخذ شكلا آخرا مغايرا أثناء مرحلة المراهقة التي تتصف بالتبادل في الآراء بين المراهق و والده (Born M. ,2006 :pp 95-96)

أما Durkheim فقد فصّل بين الحرية و السلطة فيقول " الحرية بنت السلطة المفهومة جيدا ، أن يكون حرا ليس فعل كل ما يحلوا له، و لكن أن يكون سيّد نفسه، و هي معرفة التصرّف بعقل والقيام بواجبه " (Malewska-Peyre H. et Tap ,1993 :p50)

و ميّزت كذلك Baumring سنة 1966 بين ثلاث أنواع من الأساليب التربوية الوالدية:

- الأسلوب المتسامح: حيث يتمثل الوالد على انه غير عقابي، مراعيا رأي الطفل قراراته و هو قليل المطالب على مستوى المسؤولية و الأعمال المنزلية، يسمح للطفل بتنظيم نشاطاته كما يرغب مستعملا العقل و ليس الهيمنة لدفع الطفل لإتمام أعماله.

بالإضافة أن هذا الأسلوب مملوء بالإرادة الجيّدة لتشجيع الطفل في فردانيته ن لكنه لا يمارس إلا القليل من القيود النفسية أو السلوكية .

- الأسلوب المتسلّط: يوصف الوالد بأنه الوالد المراقب و المقيّم لسلوكيات الطفل وفقا لمعيار سلوكي، و يفضّل الطاعة على أنها فضيلة و يعزز المقادير العقابية، يغرس في الطفل قيما كاحترام السلطة و لا يشجّع المحادثة مع الطفل و يبقي الطفل في مكانه بحد استقلاليته.

يتميّز الوالد في هذا النوع من الأسلوب بقلة تشجيع الطفل على الاستقلالية و تأكيد الذات ممارسا قيوده على المستوى السلوكي و النفسي .

- الأسلوب الديمقراطي: يتميز الولد بإرشاد أفعال الطفل بطريقة عقلانية و يشجعه على الحديث كما يفضّل الوالد السمات التعبيرية و النشطة كالاستقلالية و الامتثال.

كما يعترف الوالد في هذا الأسلوب بحقوق الطفل و أن له خصوصيات و يضع له معايير خاصة بتصرفاته المستقبلية و يستعمل الوالد العقل على الهيمنة للوصول إلى أهدافه.

9- دور الأب في الأسرة :

إن الدور يتلخص في تلك السلوكيات و الأفعال و المواقف الشعورية، القصدية الملموسة، القابلة للتبادل و النسبية (Daillaire Y. ,2006). كما يمكن تعريف الدور على أنه السلوك الذي يقوم به الفرد من المكان الذي يحتله و يؤدي إلى فعل، و هو يخضع لضوابط و انتظارات تحكمه يمليها المجتمع، و ذلك بحسب المكانة الاجتماعية التي يمتاز بها الفرد و الوظيفة التي يؤديها داخل المجموعة. إذن مصطلح الدور الخاص بالأب يشير إلى مجموع السلوكيات التي ينتظرها المجتمع من هذا الأخير اعتبارا من المكانة التي يحتلها (Le Camus 2011) بعبارة أخرى، يمثل الدور مجموعة سلوكيات التي يتصف بها الأب إلى جانب طفله ن كما يمكن للأب أن يقوم بالمهام المنزلية أو أخذ الطفل إلى المدرسة .....

الأبوية هذا المصطلح يفترض وجود الطفل من جهة و من جهة أخرى يتكئ على وظيفة نفسية و بيولوجية هاتين الوظيفتين تهدفان إلى تأمين الراحة النفسية للطفل .

الأب هو ذلك الشخص الذي يستجيب لحاجات الطفل الاجتماعية، الحاجة إلى بناء الهوية تعد أهم الحاجات إذ أنها (الهوية) تسمح للفرد بان يسجل وجوده في هذا العالم، و لا يحصل الطفل عليها إلا بفعل اكتساب لاسم يسمح للآخر بالتعرف عليه فالأب يبقى أولا ناقل للنسب الاسمي (Badinter E , 1980). إذن الرابطة الأساسية بين الأب و الطفل تتمثل في " الاسم " (عمار ع ، 2017)

حاليا عدة أبحاث تتطرق للعلاقة أب – طفل و يمكننا هنا الإشارة إلى le Camus الذي خصص جانبا هاما في حياته البحثية في هذا المجال .

من المؤكد أن الأب يوقع حضوره في تكوين شخصية و التنشئة الاجتماعية للطفل ، ليساعده في النمو هو مرافقة الطفل في اتجاهه نحو استقلاليته. نحن نمثل الأب باعتباره الفاعل في التنمية الشاملة للطفل: يمكن وصف مساهمته بأنها متعددة الأبعاد، أن يعين الأب بأنه شريك، هو إشارة أننا نحكم عليه أنه جدير بالثقة و هو قادر على تحمل المسؤوليات التربوية المتنوعة (Le Camus.2011 :p179)

يرى Le Camus أن الأب الشريك و المتميز في تأدية مهامه و الذي يولي لكل أمر اهتمامه، هذا الاقتراب يعطي نوع من الحضور، المواظبة، الشعور بروح المسؤولية و الوعي بتقديم وظيفة و دور الأب هو ما يعني أيضا تعهده للقيام بالأعمال الملموسة اليومية أثناء عنايته بأطفاله و على كيفية التدخل المباشر على الصعيدين الجسدي و النفسي. فبالنسبة ل Le Camus لا يكفي أن يكون الأب شريكا أو متميزا في تأدية المهام و فسح المجال أكثر للأطفال للنمو، و إنما عليه أن يكون بعيدا و قريبا في نفس الوقت و محاولة تكييف مواقفه لصالح الطفل .

لهذا فإن حضور الأب يأخذ أهمية كبيرة كما يعتقد ذلك عدة أجيال من الباحثين، ففي حالة أن الأب يكون حاضرا منذ البداية فإنه يتمكن من الاستثمار في مختلف النشاطات التي تعكس عمل الوظيفة الأبوية، هذه الديناميكية لا تكون خاضعة بالضرورة إلى رغبة الأم، هذه الأخيرة ليس لها أن تسمح للأب بان يكون أبا و هو بدوره لا يحتاج إلى ترخيصها لمباشرة مهامه التربوية و الأبوية و بالتالي فإن الأبوين هما الأشخاص المعنيين بأبوتهما المشتركة و المنفردة، فالأبوان يقومان بهذا الدور بالاشتراك معا عن طريق اللغة و بالإرادة المتبادلة.

كما يرى Le Camus 2011 أن مصطلح الوظيفة يشير إلى المساهمة الوالدية التي ترجع إلى حاجات الطفل و المتمثلة في الحب و القانون، وظيفة الأب تتلخص في مجموعة العوامل التي تعمل على الحفاظ على البناء النفسي للطفل، من هنا يظهر بأن وظيفة الأب لها أهمية كبيرة في النمو النفسي و الوجداني للطفل.

- الأب و السلطة :

السلطة الحقيقية لأحد الوالدين، السلطة التحررية، هي مستوحاة من الاهتمام بمصلحة الطفل و تصل فاعليتها الكاملة عندما تكون قائمة على المودة(المحبة، العاطفة) الوالدية. فالسلطة لا تصدر فقط من الإجبار[5] (القانون هو القانون، هو على الجميع و يجب علينا احترام ذلك)، لكنها تصدر كذلك من الانفتاح[6] (" لديك الحق في .. ") و التحفيز كذلك (يمكنك أن تفعل هذا ..) (Le Camus ,2011,p 205)

التعريف الحالي للسلطة الوالدية (هي وظيفة مشتركة الأب و الأم) و تتمثل في حماية الطفل و ضمان تربيته و سماح نموه . وراء هذا فالتغذية النفسية المتمثلة في الحب و القانون على الأولياء ضمان وجود حضور الذي يساعد

[5] - l’obligation

[6] - l’ouverture

الطفل في أن يتكون ما يسمى الاتساق و الموثوقية[7] هذان الخاصيتان عند الطفل من الإجراءات الوالدية تسمح من تلبية حاجة الطفل إلى القدرة على تنبؤ.(Le Camus ,2011,p 63)

يشير Le Camus 2004 إلى أن وظائف الأم و الأب متتابعة و أساسية بنفس الدرجة و غير تبادلية فيما بينها، و حتى أنه يعتبر أن قصور السلطة الأبوية يظهر أكثر ضررا على الطفل من قصور حب الأم .

الأب يجسد القانون و يسن القوانين، يقوم بوضع قواعد الحياة و يفرض الحدود على الطفل، و إذا اقتضى الأمر يعاقب، هذا الدور للمرشد المؤقت يساهم كما يسميه التحليل النفسي في تكوين " الأنا الأعلى ". فالأب يسمح للطفل من استدخال الممنوعات[8] و أن يصبح شيء فشيء مستقلا ، بمعنى مسئول على أفعاله و أن يرتقي تدريجيا نحو القيم الحضارية (Le Camus ,2011,p 38)

السلطة الحقيقية لا تقوم على قدرة فرض الممنوعات و العقاب فقط و إنما تكون مبنية على الإرادة الحازمة من أجل إسناد نمو الطفل و السماح له بتبني واعي لمسؤوليته بدون أن بنفي ذلك وجود أوقات من الأزمات.

داخل الأسرة يلعب الأب دور مهم في إنشاء الحدود للطفل (من الجنسين) و كذلك في اكتساب الشعور بالقواعد. فالسلطة التي يمارسها بانسجام (تآلف Harmonie) مع الأم تظهر اليوم أقل صلابة و أقل آمرة (دكتاتورية) Impérative كما كانت من قبل و التي كانت تعتبر دائما مهمة. فالأب الحالي هو أقل اهتماما من السابق في الحصول على طفل متحفظ (رزين) Réserver، مهذب و طيع، لكن ليكون بلا شك أكثر ميلا لدفع الطفل إلى احترام الآخرين و المشاركة في العمل و الصراحة، و القدرة على التحمل (الصبر) و قوة الشخصية، و بفضله يتمكن الأطفال (الأولاد أو البنات) من الميل أن يكونوا أكثر حزما ليصبحوا أكثر تماسكا و أقل بكاء Pleurnicheur (Le Camus ,2011,p 197)

[7] - coherence et fiabilité

[8] - les interdits

يفتح الوالد الطفل إلى العالم الخارجي، من اجل البدء عالم الأقران، يكون الأب أكثر مضى ضروري كمدرب و كدليل الأب كمرسل و منظم. نحن نعتبر الأب الحالي كمنشط للنمو: فهو يحفز، يشجع، و يسمح للطفل سواء كان ولد أو بنت في اكتساب الشعور بالنفس، يجرؤ و يتحقق تدريجيا كرجل أو كامرأة، أن تكون أب، هو أن ترغب في مساعدة الطفل في التعبير عن الأفضل ما في نفسه.

- الأب في منظور J. Lacan

يعتبر (Lacan 2001) العائلة ناقلة للثقافة، بحيث أن دورها الأساسي يتلخص في إيصال المعطيات الثقافية التي تميز المجتمع من جيل أول هو جيل الآباء إلى جيل ثان هو جيل الأبناء، و هي بذلك تؤمن"الاستمرارية النفسية".

الأب بالنسبة ل Lacan هو وظيفة و " إسم الأب " هو الذي يؤدي الوظيفة الرمزية للأب و ليس جينات الأب.(Lacan 1966).فاسم الأب يمثل وجه القانون. مصطلح اسم-الأب يعد مصطلحا أساسيا بالنسبة ل Lacan في مقاربته و دراسته للأب، حيث بداخل اسم الأب يمكننا التعرف على الركيزة للوظيفة الرمزية .

كما يؤكد على ذلك Lacan يجب الإشارة إلى أن [لا] الأب هي مهمة جدا. هذه [لا] موجهة للطفل تسمح للأب بأن يقوم بوظيفته الأساسية في فرض الحدود على الطفل.

الآباء المستجيبين المتفاعلين مع متطلبات و حاجات، تسمح بربط علاقات تعلّق حب قوية و مبكرة مع الابن تساهم في تنشئتهم المثالية حيث يصبح الأب بالنسبة للابن النموذج الأمثل الذي يقتدي به، فهذه العلاقة السوية

بين الأب و الابن ضرورية في بناء شخصية الطفل و التي تبدأ بالتفاعل بين الطرفين منذ الطفولة الأولى وصولا إلى مرحلة المراهقة.

فغياب الأب هو غياب للنموذج و السلطة و انحراف لعملية التماهي و التقمص التي تعد مرحلة أساسية للوصول إلى الاستقلالية فيتماها الطفل بصورة الأم تفاديا للقلق الذي يشعر به الطفل في غياب الأب. و يشير " هنري آي" Henri Ey أن عملية التماهي تكون مربوطة بالصورة المجودة و الدائمة، و تشوّهها عند احد الوالدين يسبب انفصالا أو حرمانا أو تشوّها في العلاقة يدفع المراهق للبحث عنها في أماكن أخرى غالبا ما تكون منحرفة فأغلبية الجانحين قد تربوا في بيوت محطمة بالانفصال أو الهجر أو موت أحد الوالدين أو كلاهما أو عدم وجودها أصلا مما يؤدي به للعيش في قلق و صراع دائم، خوف من التعرّض للحرمان و الإحباط فينشأ عنده حقد و كره. التغيير الانفعالي و النفسي و الاجتماعي ينتج عن العلاقة و تأثير بين الأب و الابن و تشمل الوحدة الأسرية قد يكون هذا التأثير غير مباشر عن طريق العلاقة بين الأب و الأم هذه العلاقة تنعكس بشكل واضح على العلاقة بين الأم و ابنها فوجود الأب الدائم بجانب ابنه يساهم في تشكيل السلوك السوي و الاستقرار النفسي له و اكتساب الاندماج الجيّد و التفاعل مع الآخر، كما يجنبهم الكثير من المشاكل السلوكية و الانحراف و يحقق عملية التنشئة الاجتماعية الفعّالة و يجنّبهم الصعوبات في المواقف الشخصية و تساعدهم على تكوين علاقات جديدة ،فالتفاعل الموجود بين الأب والأم في رعاية الابن و إحساس الابن بذلك، يحقق صحة نفسية و جسمية سعادة للأبناء و للأسرة ككل.

من خلال المكان و المكانة التي سيحتلها الأب داخل العائلة و تصرفاته كأب سيكون التأثير على البناء النفسي للطفل، إذن الأب يلعب الدور الأبوي إلى جانب الطفل و كذا الوظيفة الأبوية، و المرجع الأبوي لا بدّ عليه أن يقوم بالوظيفة الأبوية و هي الفعل الناتج عن بناء نفسي (Marty F ., 2003) هذا البناء النفسي الذي يتم من خلال إدراك الطفل للمرجع الأبوي. الوظيفة تمثّل الفعل الذي إذ تمّ بطريقة صحيحة سوف يؤدي إلى

النضج لدى الطفل و في حال لم يتم ذلك، بمعنى لو يقوم الأب بوظيفته أو قام بها بشكل جزئي فهذا سيؤدي إلى غياب النضج عند الطفل.

10- دور الأم في الأسرة :

الأم مصدر الحماية بالنسبة للابن و هي كذلك مصدر الغذاء و النظافة و الحب والأمن النفسي و الراحة النفسية فمن خلال العلاقة الحيوية أم-طفل ينمو الطفل في جميع النواحي النفسية و الانفعالية و العقلية و الاجتماعية و المعرفية و اللغوية خصوصا في المراحل الأولى من النمو.

تكوين رابطة التعلّق Attachement بين الأم و الطفل يصدر عن الطفل علامات الرضا و الانبساط ممّا يؤثر في استجابات الحنان و العطف التي تظهرها الأم.

و تشير " مرجريت ريبل Margaritte Ribble " أن الكثير من الصفات في شخصية الطفل تتوقف على الارتباط الوجداني بالأم، فهي بمثابة الشحنة الوجدانية التي تنمو بالتدريج من خلال الإشباع المتكرر التي يستمدها الطفل من الأم .

علاقة الأم بطفلها هي علاقة تبادلية تكسب الطرفان الرضا من خلال هذه العلاقة و دفئ هذه العلاقة هو أساس للصحة النفسية للابن أما غيابها و كما أثبتت الدراسات يؤدي تدريجيا إلى لمستوى نمو الطفل كانخفاض الذكاء و التحصيل الدراسي عنه و ظهور الكثير من المشكلات السلوكية و عدم قدرته على ربط و إقامة علاقات سوية مع الآخرين .

الفرد خلال نموه لا يمكنه التطور بشكل صحيح إلا إذا توفرت مكونين أساسين هما الحب (العاطفة، الحنان، الاهتمام، الحماية العاطفية) و القانون (السلطة، الإطار و الحدود). فالطفل في كل مراحل عمره يحتاج إلى

هذين الشكلين من الطاقة الحيوية جنبا إلى جنب (وقت المودة[9] و وقت السلطة[10]). فلا يجب الاعتقاد أيضا أن كل الوالدين هو مصمم من أجل تقديم شكل واحد فقط (العاطفة و السلطة) فنفس الوالد (الأب أو الأم) قادر على توليد بدوره الحب و القانون (Le Camus ,2011 :p 64)

11- العلاقة بين الوالدين و تأثيرها على النمو النفسي للأبناء :

تماسك الأسرة يعود إلى السعادة الزوجية و إلى نشأة العلاقة بين الزوج و الزوجة في بيت مستقر و هادئ متّسم بالحب و الاستقرار ممّا يخلق جوا يساعد على نمو الطفل بشخصية متزنة و سوية كما أن العلاقات السوية بين الوالدين يكون مصدر لإشباع حاجة الطفل للأمن النفسي و توافقه الاجتماعي.

أما الجو الأسري و العلاقات الزوجية المليئة بالخلافات و الجو الأسري المتوتر و الذي يعيشه الطفل يؤدي إلى ظهور أنماط سلوكية مضطربة و غير سوية كالأنانية والخوف و العدوانية و عدم الاتزان الانفعالي.

الخلافات اليومية بين الوالدين يظهر للطفل صراعا نفسيا و قلقا يهدد إشباعه لحاجاته من الحب و الأمن، فشعور الطفل بانعدام الحب و التعاطف بين الوالدين يثير شعوره بالتوتر و الخوف و قد يظهر سلوكيات غير طبيعية و قد تكون معادية للمجتمع كالعنف و العدوان ما يؤثر سلبا على صحته النفسية. كما أثبتت الدراسات عن وجود علاقة ارتباطية بين التوتر الذي يشيع في جو الأسرة نتيجة خلاف الوالدين و أنماط السلوك بين الأطفال مثل أبحاث " تيرمان " بان أحسن وصفة للزواج السعيد هي الاتزان الانفعالي للزوجين و أن العامل الأساسي فيه هو مدى سعادة الوالدين كل منهما.

[9] - le temps de l’affectivité

[10] - le temps de l’autorité

التوازن في الأدوار لكل من الأب و الأم و التعاون المسمر في تعزيز الروابط الأسرية هو تصرّف إيجابي حتى لا يشعر الطفل بتدني قيمته و انعكاسها على سلوكياته و تصرفاته مع أبويه و إخوته.

II / الروابط العائلية:

1- تعريف الروابط :

تاريخيا و استقصائيا، كلمة الرابط تعني ما يخدم التعلّق و لكن كذلك ما يوحّد عاطفيا العلاقة بين شخصين، يأخذ بعين الاعتبار الحاجة التي تعمل على التوحيد و كذلك وظيفة الارتباط (François M. 2002 :p10)

يشير الرابط إلى حركة كوضعية و تعريفه يقودنا إلى الاعتقاد في ممارسة الربط و نصل بسرعة إلى الارتباط و بالتالي فإنه يظهر على شكل تجربة الحياة، تجربة العيش.

الرابط يقع بين عنصرين معا، طرفين على الأقل يجمع الفرد بالآخر بطريقة منفردة و المصطلح يدل على أن العلاقة بينهما تميّزهم عن الآخرين، لكن يقتضي أن لا تكون ملتحمة، منصهرة، مترابطة، أن تكون مترابط هو أن تكون في نفس الوقت متعلّق مقيّد (أو تحت تأثير)، و في الوقت نفسه تكون قوة في هذه العلاقة (عهد)، أن لا يكون لوحده اتجاه الآخر: مسألة الرابطة يترك الباب مفتوحا أمام مسألة معرفة ما هو (موضوع/هدف) الذي يربط الآخر في هذه العملية.

من ناحية القرابة أو الروابط الأسرية فإن " بيرجس " Burgess و " لوك " Locke يعرّفان الأسرة في كتابهما " The Family " بأنها جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج و الدم أو التبني، و يعيشون معيشة واحدة، و يتآلفون كل من الآخر في حدود أدوار الزوج و الزوجة، الأب و الأم، الأخ و الأخت و يشكلّون ثقافة مشتركة.

غير أن هذا التعريف الذي قدمه " بيرجس "و " لوك " لا يعد تعريفا كافيا للأسرة لأن الروابط الأسرية التي أشارا إليها قد تتطلب في بعض المجتمعات اعترافا اجتماعيا بحيث لا يقتصر فيها على مجرد إنجاب الطفل في الأسرة.

و على العموم، فإن من أهم الانتقادات التي توجه إلى تعريف " بيرجيس و "رلوك " أنهما أغفلا الاختلافات الجوهرية التي تظهر حول طبيعة بناء الأسرة و اهتمامها(سيّد منصور، 2000: 19)

2- الروابط العائلية :

داخل العائلة أو الأسرة نجد عدة مستويات معبّرة التي يهتم بها المختصون و المحللون النفسانيون و نجد ثلاث أنواع من الروابط داخل الجماعة الأسرية (منقولة من المداخلة التي ألقاها المحلل النفساني Bernard Chouvier من جامعة ليون 2 Lyon في محاضرته بعنوان : souffrance dans le lien familialيوم الاثنين 03 مارس 2014 بجامعة المحمدية بالدار البيضاء . المغرب)

- المستوى الأوّل هو رابطة الزوجين(Lien De Couple) و هو أن الرجل و المرأة يتعرفون على بعضهم البعض و يتحابون و يقررون ُنشاء أسرة بمعنى يصبحون أولياء، إذا هذا النوع من الرابطة هو رابطة الزوجين
- المستوى الثاني من الرابطة: فبما أن الزوجين قررا تكوين أسرة، فسوف يكون يتحولون إلى أولياء و سوف يكون لديهم العديد من الوقت حتى يصبح هذا الزوج والدين. فكما أن الأطفال يحولون الراشدين إلى أولياء فإنه كذلك الأولياء يهتمون بالأبناء و هنا نحصل على رابطة مزدوجة ما نسميها رابطة عمودية بين الزوجين و الأطفال، فالرابطة العمودية تصف الوالدين من جهة و من جهة أخرى النسب(ابن فلان ، بنت فلان) و هو عنصر جد مهم من أجل الفهم النفسي خاصة عندما يكون هناك خلل في المجموعة الأسرية فالمفاهيم الأساسية هي التي تهاجم و تضطرب عند الفرد الذي لا يجد اعتراف والدي و الذي لا يجد نفسه مقارنة مع بيئته .

- المستوى الثالث من الروابط هو رابطة الأخوة () (Lien De Fratrie الأخوة و الأخوات) بمعنى رابطة أفقية التي تجري بين الأخوة (الأكبر ، الأوسط ، الصغير ...)، فحسب عدد الأطفال يكون هناك تكوين لرابطة الأخوة (تضامن أسري).

حسب فرويد Freud الروابط العائلية تعرّف على أنها روابط حب التي تحمل نزوات ليبيدية التي تسجّل عندنا جميعا (حب بين رجل و امرأة فيكوّنون أسرة ثم حب بين الأولياء اتجاه أبناءهم ثم حب بين الإخوة بعضهم البعض)، هذه الرابطة الأولية، رابطة استثمار الآخر في الربط العاطفي و الحب هي ضرورية .

أما بلوبي Bowlby فتكلّم عن رابطة التعلّق (Le Lien D’attachement) فيعرّفه على أنه رابطة حيوية (Un Lien Vital)

نظرية التعلق وضعت سنة 1958 من قبل " بلوبي Bowlby " يصف آليات إقامة الروابط بين الصغير و أمه هذه النظرية مستوحاة من أعمال السلوكيين حول الأثر، سلوك فطري ممّا يتيح للصغير التعايش مج الجسم المتحرك الأوّل الذي يراه و الذي عادة ما تكون الأم.

قيمة التكيّف مع هذا السلوك هو واضح بما يسمح للصغير بتعزيز التقارب مع البالغين، أو أن يكون محمي، معرفة خصائص الأفراد، و لكن أيضا اندماجه مع الفئة الاجتماعية، و تعلّم القواعد.

يستند التعلّق على آليات مماثلة للأثر: الخصائص الفطرية للرضيع تمكّنه من تعزيز البحث عن الكبار، ملاحظات المحللين النفسانيين مثل " سبيدز Spitz " تظهر الآثار المدمّرة على نمو الطفل عندما يكون هناك عدم القدرة على إنشاء أو الحفاظ على التعلّق الآمن.

و قد أكدت الدراسات اللاحقة على ضرورة إقامة التنوّع النوعي الذي يمكن أن يوجد في التعلّق، التنوعات لها صلة لخصائص طرائق استجابة الكبار نبيّن مدى تأثير نوعية الارتباط على العديد من الجوانب التنموية، و تلت أعمال Main الذي ألقى الضوء عل ظواهر معينة للانتقال عبر الأجيال، و أصبحت نظرية التعلّق مرجعا في علم النفس النمو . (Anne B. et Bernadette c. 2002 :p)

3- العوامل التي تؤثر على وجود الروابط العائلية :

اظهر Ainsworth العلاقة الموجودة بين حساسية الأم لإشارات طفلها منذ الأشهر الأولى و إلى نوعية التعلّق (محمي أو لا)، خلال نهاية السنة الأولى من الحياة " تأثير علاقة أم-طفل على نمذجة سلوك البكاء يبدو انه يعكس إلى حد كبير نوعية التعلّق أي كلما أجابت الأم إلى إشارات طفلها وخاصة إلى إشارات الحزن كالبكاء. إجابة الراشد لا تطمئن الطفل فحسب ولكن تعلّمه أيضا انه عندما يطلب نجيبه ، و انه يكتسب الثقة في الشخص الذي يسانده . (Anne B. et Bernadette C. , 2002 :p46)

أعمال M. Main 1998 أظهرت مجموعة من التبعات بين روايات الأولياء حول تعلّقهم الشخصي و نوعية الرابط الذي يمكن أن يكوّنه أطفالهم : هذه التبعات لها إسهامات كبيرة على علم النفس المرضي للنمو.

استخلص Main أربع حالات نفسية حول التعلّق:

أ- محمي-مستقّل: عندما يروي الفرد مهما كان تاريخه (على الأقل إيجابي) بطريقة متعاونة و متماسكة.

ب- منفصل: عندما يلقي الفرد حوار غير متمسك، هذه القابلية عادة ما تكون قصيرة حيث تظهر الأفراد عدم قدرتهم في التذكّر.

ت- قلق: عندما يظهر الفرد في غضب سلبي، مرتبك أو خائف في كلامه: هذه المقابلات عادة ما تكون طويلة غير صحيحة.

ث- دون حل و غير منتظم : يمتاز الحوار غير منطقي مع اضطرابات في التفكير .

الصلة الدالة بين نوعية الرابطة التي يكوّنها الرضع مع مختلف شركاءهم الراشدين (خاصة مع الأب و الأم) تشكّل للعديد من الناس الدليل البارز للدور الذي تلعبه خصوصيات الرضيع في نوعية التعلّق .

العديد من العلماء بحثوا عن العلاقة بين نفسية الرضيع و نوعية التعلّق و النتائج جاءت متناقضة فالبعض أشهر بالعلاقة بين النفسية الصعبة (المضطربة) و التعلّق غير الآمن و بين النفسية السهلة و التعلّق الآمن.

العديد من المؤلفين يؤكدون على الطبيعة التفاعلية لتكوي التعلّق. المزاج يوجّه التعبير العاطفي للتعلّق لكن هذا الأخير يتكوّن حسب الإجابات المناسبة التي يتلقاها الطفل، كذلك نوعية التربية للأولياء تؤخذ بعين الاعتبار و أظهر كل من Calkin et Fox 1992 أن الأطفال ذوي المزاج " الصعب " يكنهم إقامة تعلّق آمن مع أولياء يحترمون نشاطهم و استقلاليتهم .

يشر Cyrulinik 2001 انه منذ الأسابيع الأخيرة من الحمل تتكوّن الاتجاهات المزاجية عن طريق الفضاء الحسي و العاطفي الذي يوفره الآباء أثناء الحمل.فحسبه فإن المزاج مثل التعلّق يربط ما هو بيولوجي و التاريخ الأبوي. يأخذ الطفل دلالة لتاريخ أبويه و يواصل في نسج مزاجه و تكوي تعلّقه وفقا للرسالة الشعرية و اللاشعورية التي يبعثونها إليه .

4- مفهوم العلاقات الأسرية :

يمكن إبراز دور الأسرة من حيث طبيعة العلاقات الموجودة بين أفرادها و المتمثلة في التماسك و الترابط أو التفكك و التفرق و التسامح أو الرفض .و الكراهية و التسلطية و التواد أو التعاونية. إضافة إلى الأدوار الاجتماعية للأسرة في تشكيل و بناء شخصيات أفرادها، حيث إن لذلك أثر في سلوك الأفراد في المجتمع الأكبر.

تعد العلاقات الأسرية شبكة من العلاقات الاجتماعية بين أعضاء الأسرة الواحدة، و كلما كانت العلاقات جيدة في مسارها الطبيعي ساد جو الأسرة الوفاء و الترابط و التماسك بين أعضائها، أما العكس فيسود في الأسرة جو من التنافر و التناحر و عدم الرغبة في تحمل المسؤولية من قبل الآباء و الأبناء(سيّد منصور، 2000: 26)

و يمكن ذكر المسارات المتعددة للعلاقات داخل الأسرة:

أ- علاقات الزوج و الزوجة: المتمثلة في الحقوق الزوجية، و المسؤولية المشتركة نحو الأبناء في العناية بهم و تنشئتهم و حقوق وواجبات كل منهما.

ب- علاقة الأب و الابن: التي تقوم على مسؤولية الأب نحو الابن ، في تنشئته و تربيته و تعليمه ، و من جهة الابن واجبه في الطاعة و الاحترام و التقدير و عند كبره واجبه في المساهمة في الحياة اليومية الأسرية من الناحية الاجتماعية و الاقتصادية.

ت- علاقة الأم و الابنة: مماثلة لعلاقة الأب بالابن، تتعلق بالشؤون المنزلية و المساعدات التي تتوقع الأم أن تقوم الابنة حين تكبر.

ث- علاقة الأب و الابنة: متمثلة في مسؤولية الأب تجاه حماية الابنة و مساعدتها قبل و حتى بعد الزواج

ج- العلاقة بين الأم و الابن: يشير إلى الدور الذي تقوم به الأم في تنشئة الابن و التصادق الابن بأمه في فترة الحياة المبكرة، كذلك الدور الذي يلعبه الابن في حياة الأم و مسؤوليته نحوها، حتى تقدمها في السن و خاصة عند رحيل الأب.

ح- العلاقات بين الإخوة الذكور: المتمثلة في التعاون بين الإخوة و المسؤوليات الخاصة بالأخ الأكبر.

خ- العلاقة بين الأخوات الإناث: خاصة مسؤولية الأخت الكبرى التي تقف موقف الأم اتجاه الأخوات.

د- العلاقة بين الأخ الأكبر و الأخت: يطرأ على هذه العلاقة نوع من التحفظ في سلوك أحدهما نحو الآخر و يرتبط ذلك بتفاصيل المركز الاجتماعي لكل منهما و ما يشعر به الأخ من مسؤولية نحو الأخت.

5- **النسق الأسري :**

يعتمد تعريف النسق أو النظام الأسري على فكرة الكل لا يمكن الإلمام به إلاّ من خلال دراسة علاقة أجزاء هذه الأسرة بعضها ببعض. ففهم سلوك الأسرة فهما واضحا متكاملا لا يكون من خلال دراسة كل فرد على حدة، و على أي حال فإن أي تكوين يتضمن أجزاء مرتبطة مع بعضها البعض بعلاقات أو تفاعل يمكن أن نطلق عليه " نسق ". فالنسق الأسري هو ارتباط أفراد هذه الأسرة بعضها ببعض و يكون بينهم تفاعل. فالنسق الأسري يتمثل من أفراد الأسرة " أي أجزاء هذا النسق " يمكن التعرّف و ملاحظة شخصية و ميول كل منهم و استعداداته و قدراته، و من هنا غير صحيح أن نقول أننا بذلك تعرفنا على سلوك الأسرة، الكلي أو العام.

و يشير " بيردوستل " Birdwhistell إلى أنه لا ينبغي أن يفهم الاتصال الإنساني بوصفه نموذجا بسيطا للفعل و رد الفعل و إنما كنسق يجب فهمه على المستوى التفاعلي. و تعتبر دراسة الاتصال الذي يحدث بين أي جزئين أو فردين من أفراد الأسرة كنسق أمر مضلل لتجاهل الحالة الكلية للنسق(سيّد منصور، 2000: 31)

لكل نسق حدود يحصر داخلها و تظم هذه الحدود العلاقات و والأحداث المتضمنة في النسق و التي تختلف عن تلك العلاقات و الأحداث القائمة خارج حدوده.كما يتميّز كل نسق بخاصية الحفاظ على التوازن الحيوي بمعنى الحفاظ على سلوك النسق الأسري و الاحتفاظ بالاستقرار مستعملا الوسيلة المسماة التغذية الراجعة (المرتدة) و تسمى الآلية التنظيمية التي يتمكن نظام الأسرة من خلالها المحافظة على الاتزان في ضوء تحقيق أهدافها أو بعضها.

قواعد النسق الأسري : تفاعل أفراد الأسرة منتظم و محكوم بقواعد، فكل فرد يعرف ما هو مسموح و ما هو غير مسموح في إطار أسرته، و ما هو متوقع منه، يتعلم أفراد الأسرة هذه القواعد من خلال الإرشادات و التوجيهات

التي تقوم بها الأسرة في معاملتها اليومية، و بعضها تكون لغوية على شكل تعليمات و نصائح. تساهم هذه القواعد في الحفاظ على نظام الأسرة و استقرارها .

6- التوافق الأسري :

يؤكد " شافير " Ahafier أن حياة الفرد سلسلة من عمليات التوافق المستمر، حيث يضطر الفرد باستمرار إلى تعديل سلوكه و انتقاء الاستجابة الملائمة للموقف .

و قد استخدم علماء النفس مصطلحي: التوافق و التكيّف، فالتوافق هو قدرة الفرد على أن يغيّر من البيئة لكي يتلاءم معها، أمّا التكيّف فإنه مجموعة ردود الفعل التي تدل على تعديل الفرد سلوكه أو تصرفاته أو بناءه النفسي ليجيب على شروط أو تغييرات محيطه حوله.

و هدف النظام الأسري هو تحقيق التوافق الزوجي و الانسجام الشخصي، بحيث يكون كل واحد منهما منفعلا بالآخر و منجذبا إليه، ويرى علماء النفس أن المشكلات النفسية التي يتعرض لها الزوجان في مرتحل حياتهما تتطلب نوعا من التوافق النفسي، ليستعينا به على مواجهة بعض الظروف الاقتصادية و الاجتماعية للأسرة. إذن الأصل في التوافق الزواجي هو أن يتحقّق لكل من الزوجين الاستقرار الأسري. و الشعور بالرضا و السرور و الرحمة بينهما (الكندري، 1992: 182)

7- العوامل التي تؤدي إلى التوافق الأسري :

يرتبط التوافق في الحياة الزوجية بالعلاقات الوثيقة المتبادلة بين الزوجين، و أن يشارك الطرفان بالتفاهم في أمور الحياة فيما بينهم . و من العوامل التي تؤدي إلى التوافق و التكيّف الأسري إشباع الحاجات الأساسية لأفراد الأسرة و فيما يلي مجموعة من تلك العوامل (الكندري، 1992: 184)

أ- وجود أهداف مشتركة للأسرة و إرتبطها بأخلاقيات المجتمع و قيمه الاجتماعية السليمة .

ب- تفاهم و اتفاق بين الوالدين حول علاقتهما مع الأبناء و الاهتمام بتوفير الرعاية والاهتمام له، دون التفرقة بينهم.

ت- مشاركة الأبناء للأسرة في إدراك احتياجاتها و العمل على مقابلتها.

ث- الاكتفاء و الاستقرار الاقتصادي.

ج- التجارب الناجحة في مواجهة الصعوبات التي تعترض الأسرة.

ح- قيام الأسرة بمسؤولياتها و تحقيق إشباع العلاقات الأسرية.

8- تفكك الروابط العائلية و عملية التنشئة الاجتماعية للطفل :

يتجدر تصوّر الطفل من خلال إنشاء علاقات عاطفية قوية و ثابتة، و خاصة أثناء السنوات الأولى من الحياة حيث أن الظروف السوسيو اقتصادية، التنقل الجغرافي و كذا بعض الأمور المتعلّقة بالعصرنة، يضع العديد من الأطفال في مواقف تفكك الروابط العائلة .

فيما يخص وضعيات التفكك بالتحديد ،يجب التفريق بين الأطفال المحرومين منذ الولادة موجهين للتبني أو منسيين في أماكن غير معقولة، لأن الأولياء لا يعرفون أو لا يريدون التكفّل بهم و كذلك بين الأطفال أين التفكك يأتي متأخرا، أطفال يتامى منقطعين غير إراديا من أوليائهم بسبب وضعيات دراماتيكية مثل الحوادث، الحروب .... و يوجد بينهم أطفال شوارع يتكفلّون بأنفسهم بدون وجود دعم من الوسط العائلي .

غير أن كلّ هذه الوضعيات تشير إلى الضعف في الروابط العائلية بالإضافة إلى فشل في التكوين الاجتماعي الذي لا يسمح في توفير للطفل حماية عائلية أو حماية المجتمع(J.Serrano ,V .Serra,2003,103-110)

9- السياق الاجتماعي الأسري و نمو الطفل :

لكن، هذه الروابط هي ضرورية لضمان نموهم المنسجم، في حين أن غيابهم لا يمكن التنبؤ بهم، لكن حتى نحصر جيّدا تأثير التفكك الأسري يجب التطرق إلى ثلاث أمور أساسية هي :

- الأطفال أو المراهقين المهجورين أن في تفكك الروابط " يخسرون " جذورهم العائلية، بالإضافة إلى معالمهم النفس اجتماعية (الرمزية) الضرورية لنموهم.
- هؤلاء الأطفال، هم في خطر تطوير الروابط العلائقية و المعالم الرمزية المختلفة.
- التعلّق و المعالم النفس اجتماعية هما مفاهيم المترابطة و المتشابكة في النمو النفسي الاجتماعي لكل فرد.

يتطرق المختصون النفسانيون إلى العديد من الأطفال حيث أن طلب التدخل الخاص يكون بسبب الأعراض النفسية المرضية خاصة المتعلّقة باضطرابات التمدرس و الاضطرابات السلوكية، هذه الشكاوى هي في أغلب الحالات لها علاقة مع حياتهم اليومية و تمس نسيج وجودهم، تعلّقهم، حياتهم العائلية. في الواقع أن الأطفال الذين يفشلون في الاندماج بشكل صحيح في بنية الأسرة أو في المدرسة أو غيرها من المؤسسات غالبا ما يأتون من أسر منفصلة جزئيا أو غير ملائمة.

هي شكاوى حسب ما يعتقد تكشف عن قصور أو غياب التكوين بنية أسرية مرضية، قادرة على دعم الطفل في نموه الفردي و الجماعي. التقرير السنوي للمدافعين عن الأطفال في العالم، يشير مثلا أن المعانات تكون نتيجة عن التفكك الأسري بسبب انفجار عائلتهم، أو التفريق عن الذين يحبهم، عن أوليائهم سبب فقدان المعالم، شعورهم بالتمزق الذي يتوقف على عدم رؤية الواحد أو الآخر.

و بالتالي كيف نفهم هذه الوضعية دون الرجوع إلى السياق الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي الحالي ؟ فإننا لا نشك أن هذه الأمور تؤثر على جودة الروابط العاطفية الضرورية للطفل، و التي بدورها أصبحت شاهدا عن عنف

آلام الوالدين. و بالتالي نضيف التحركات الجغرافية، المتطلبات المهنية التي تثقل على الأولياء، ارتفاع العدوانية، البطالة التي تظهر غياب العدالة بالإضافة إلى متطلبات السوسيو اقتصادية التي تزيد من إضعاف التناسق الاجتماعي: هذه العوامل تضعف الطفل .

كل هذا يرجع إلى الإشارة إلى السياق الاجتماعي و الثقافي في عملية إضعاف الطابع الإنساني للطفل. فالطفل لا يتكوّن إلاّ من خلال التعرّف على الآخرين، الآخرين الذين هم الأقرب إليه: العائلة " الطبيعية " أو " البديلة ". لأن الفرد هو بحاجة إلى الانتماء إلى جماعة التي تتقبله بدون شروط. المجموعة الأسرية، الأقران، المدرسة، العمل ...الخ. فهو بحاجة إلى أن يعيش حياته و أن يبرهن نوع من الاستقلالية الذاتية، هو بحاجة كذلك إلى الشعور بالاعتراف و الاحتفاظ على الأحاسيس التي تشير إلى وجوده. بالإضافة إلى حاجته إلى مشاركة الآخر أوقاته و ممتلكاته المادية " تناقض العلاقات العاطفية التي يمر بها الطفل تجعل ارتياحه لكل هذه الاحتياجات محفوف بالمخاطر. يبدو أن مكانة الطفل داخل الأسرة يعتمد إلى حد كبير على القيم الرمزية لمجتمع معيّن أكثر من الروابط البيولوجية " .

10- ضعف الرابط الاجتماعي

الدراسات التي أقيمت حول الرقابة الاجتماعية وجدت نتائج في نظرية الرابطة الاجتماعية المقترحة من قبل Hirchi 1969 هذه النظرية تقترح تصنيف الروابط التي تعلّق الفرد مع بيئته الاجتماعية، و التي تمنعه من القيام بأفعال غير لائقة، فكلما كانت الروابط التي تجمع الفرد ببيئته متينة كلما نقصت احتمالات تعرّض الفرد إلى الجنوح .

كذلك يعتبر Hirchi أن المعايير و القوانين يولدون التوافق الاجتماعي، إذا الانحراف هو اختراق لهذه القوانين و الجريمة هي نتيجة عدم التزام الفرد بالامتثال للمعايير، و التوافق الاجتماعي، فحسبه فإن الرقابة تظهر من خلال الروابط الاجتماعية داخليا و خارجيا (المراقبة الذاتية) .

أصدر Hirchi أربعة مكوّنات للرابط الاجتماعي :

أ- التعلّق l'attachement :

مفهوم التعلق يرجع للروابط الشخصية بين الفرد، و من جهة مع الأشخاص التقليديين (الأولياء، المعلمين، الأقران ....) و من جهة أخرى مع المؤسسات التقليدية(مثل: المنزل، الرياضة ....)، ما هو مهم هنا هو حساسية التعامل مع الآخرين.

الامتثال للمعايير (الحديثة ، التوافق الاجتماعي) يلبي تطلعات و رغبات الأعضاء الآخرين في المجتمع .(Michel B.,2006 :p 61) ، إذا الامتثال هو إظهار بعض الحساسية اتجاه الآخرين وقد ألقى " دوركايم " في ضوء هذا البعد من الربط : " نحن طبيعيين إلى حد ما إذا كنا اجتماعيين)، ينشئ هذا الربط خلال الطفولة الأولى عن طريق العلاقة مع الأولياء، الطفل يحترم القواعد التي يحترمها أولياءه و يتعلّق بهم. فالخوف من فقدان الحب الذي يربطه بأوليائه يجعل الطفل يراقب و يحترم المعايير المفروضة و بعد ذلك هذا الربط يتّسع إلى العلاقة مع الأقران و مع العالم الاجتماعي.

يجب أن يدرس التعلّق في جانبين لفهم قوة " التنشئة الاجتماعية " الجانب النوعي (قوّة التعلّق يتناسب مباشرة مع أهمية اتفاق الفرد مع الآخرين المهمين بالنسبة إليه) و الجانب الكمي (عدد الأشخاص و المؤسسات التقليدية التي يتعلّق بها الفرد).

ب- الالتزام l'engagement :

الالتزام هو المكوّن العلائقي، المعرفي للربط، و إدراك الفرد لمصالحه الخاصة أنه يخشى الانتقال إلى الانحراف، القدرة على تنبئ النتائج السلبية الناتجة عن السلوك الإنحرافي بمثابة كبح المحاولة، الالتزام يشبه عملية حساب من قبل الممثل الاجتماعي لمزايا و عيوب سلوكه، الالتزام يغطي إذا مختلف أشكال المصالح التي يمكن أن يأتي بها الفرد في

العديد من النشاطات التقليدية (المدرسة ، النزهة ، المهنة ....) و التي يخشى عنها في احتمال الانتقال إلى السلوك الانحرافي .

ت- الاستثمار l'investissement :

يمثل الاستثمار في المظهر " الكمي " للالتزام، فيعني إذا كمية الوقت و الطاقة المستثمرة في تحقيق الأهداف التقليدية. ينتج عن هذا الاستثمار في الأهداف التقليدية معاش إيجابي و مجدي بالنسبة للفرد. فاحتمال الانتقال إلى السلوك الإنحرافي يكون إذا ضعيف إذا استثمر الفرد الكثير من طاقاته في النشاطات التقليدية.

ث- المعتقدات les croyances :

تتمثّل في انضمام الفرد إلى قيم المجتمع و قوة الائتمان التي يمنحها هذا الفرد للقواعد و المعايير و شدة الاعتقاد بقيم المجتمع تتوقّف تماما على الشخص بالأفراد و المؤسسات.

عن طريق هذه الروابط الأربعة " يرتبط " الفرد مع المجتمع و عندما تضعف هذه الروابط يكون احتمال كبير في ظهور السلوك الإنحرافي، الفرد يكون حر في القيام بالأفعال الإنحرافية لأن هذه الروابط قد تحطمت. يظهر السلوك الإنحرافي عند انكسار الربط بين الفرد و المجتمع. هذا التعلّق و الربط الاجتماعي يتكوّن تدريجيا عن طريق العملية الاجتماعية. فهم أولا الأولياء الذين يحاولون غرس لدى أبنائهم القيم التي يتبنونها، و بعدها المجتمع بأكمله الذي يمارس الضغط على الفرد لكي يندمج مع المعايير .

III/ معاش الجانح في العائلة:

1- تأثير العائلة على سلوك الفرد :

من بين العوامل التي يمكنها تفسير ظهور السلوكيات السلبية أو المنحرفة في فترة المراهقة و كذلك خلال استمرارها في فترة الرشد تحمل الأسرة مكانة كبيرة. فبعض علماء النفس يدعون أن كل هذه المشاكل تجد تفسيرها داخل الخلية الأسرية التي لم تتمكن من التوجيه و التربية السليمة.

العديد من الباحثين تمكنوا من تحديد الخصائص الأسرية التي ترتبط بالسلوك المنحرف و التي تساهم في ظهور عوامل الخطر كذلك.

كلاسيكيا نجد ثلاثة طرق كبيرة معروفة في الدخول في الانحراف: التفكك الأسري – الحرمان التربوي و التشرب للجنوح. و الحقيقة أن كل الدراسات التي أقيمت على عينات من المنحرفين المعاقبين (المحكمة، السجن...) تبيّن أن عدد العائلات المحطمة سواء بسبب الطلاق، الموت أو الغياب الطويل لأحد الوالدين هو جدّ مرتفع مقارنة مع غير المنحرفين. عوامل عدة تأهل هذه الملاحظة باعتبار أن سن الطفل أثناء الفراق، طول وشدة فترات الخلافات الزوجية يكون لها أثر متغيّر من فرد لآخر، إضافة إلى غياب الأب و أسبابه الذي يكون مضرا على مستقبل التوافق الاجتماعي للأحداث. و في الأخير تشرب الجنوح في الأسر لا يمكن تجاهله كعامل يؤدي إلى انحراف الأطفال. في الحقيقة يوجد انتقال مباشر للعادات و المعايير و السلوكيات التي تصنع الانحراف قد تكون مقصودة أو لا من قبل الوالدين، فآليات التعلّم و المطابقة هي واسعة الاستعمال داخل الأسر بالإضافة إلى عائلات المنحرفين (Pouptois J.et Desmet h.,2000,p 199)

Les Glueck (1950) وضعوا أهم الخصائص العائلية و السلوكيات التربوية التي تكون مسببة أكثر للانحراف هي: غياب اليقظة، عدم المساواة، غياب الانتباه، الإهمال، غياب المعايير التربوية، الرفض، فشل التعلّق على العموم نستنتج من هذا وجود فراغ تربوي .

هذه العادات التربوية المعيقة للتكيّف الاجتماعي غالبا ما تكون نتاج أو متزامنة أكثر مع عدم التكيّف الاجتماعي للأسرة مع الكحول، الجريمة، غياب الأب ... الخ . Loeber et Stouthaner-Loeber (1986) من خلال تحليل جامع قاموا بمقارنة نتائج مختلف الدراسات التي تحمل معلومات حول هذا التسيير و اقترحوا أربع نماذج للعلاقة بين العوامل الأسرية و الانحراف :

أ- نموذج الإهمال le paradigme de la négligence: انحراف الأطفال ناتج عن غياب المشاركة و المراقبة كما أن غياب الكفاءة الوالدية يوّلد أساسا نقص في التحكم في الذات الذي يترجم إلى عدوانية و التعصب إلى الإحباط، بالإضافة إلى صعوبات تطوير وجهات نظر زمنية و إلى نقص معرفي (Born 1975).

ب- نموذج الصراع le paradigme du conflit : الانحراف ناتج عن الجو المتصارع السائد بين الوالدين و بين الأبناء و الوالدين. هذه الصراعات تغذي عدم رضا الشباب، و تدفعهم إلى الهروب و البحث الخاص لإطار أسري و عن مكانة اجتماعية، و تدفعهم إلى حل مشاكلهم بالانتقال إلى الأعمال الانحرافية .

ت- نموذج السلوكيات و العادات المنحرفة le p. des conduites et des attitudes déviantes : ينقل الأولياء لأبنائهم عاداتهم السلوكية و يعلّمونهم الانحراف سواء من خلال إشراكهم في الأعمال غير مشروعة منذ صغرهم، أو بسبب إدراكهم من خلال تماثلهم أن السلوكيات المنحرفة هي مناسبة و مكيّفة.

ث- نموذج التفكّك le paradigme du rupture : الانحراف هو نتاج تفكّك زواج الوالدين بسبب الموت، الطلاق، الفراق، فشل مهني،سجن .. الخ. فالجرح يظهر من خلال الضياع يولّد البحث عن إثبات الهوية خارج الخلية العائلية و تنشئة اجتماعية غير مناسبة.

من خلال تحليل Laub et Sampson الثانوي للبيانات التي تم جمعها من قبل les Glueck، أكدوا نظريتهم أن ضعف الرقابة الاجتماعية الرسمية و غير الرسمية داخل الأسرة يمنع نشاط ارتباط الطفل بالمجتمع و يفك الارتباط بالمؤسسات الاجتماعية و الهياكل الأساسية في الاندماج الاجتماعي مع كبار.

نوعية العلاقات بين الأولياء و الأبناء تمثل الأساس الذي يسمح من تجنب الإهمال الصعب أو سوء المعاملة، لكن هذه الأرضية الايجابية هي غير كافية للحماية من الانحراف، فيجب على الأولياء من جهة أخرى أن يتسموا بكفاءات تربوية التي لا تضمن لأبنائهم نمو عادي في المجال الجسمي و الفكري فحسب، بل تضمن كذلك اندماج اجتماعي سوي(Pouptois J.et Desmet h.,2000,p 199)

يرى Hirschi et Gottfredson 1994 أن هناك عدة شروط لتحقيق هذا الهدف: على الأولياء الانتباه لأفعال و حركات الأطفال و أن الأفعال الخاطئة يجب الاعتراف بها كما هي من قبلهم و في الأخير العقوبات تكون عادلة لهذه الأفعال. نحن هنا في منظور نقل للمعايير السلوكية للمجتمع عن طريق رقابة داخلية للعائلة التي سوف تستدخل تدريجيا من قبل الأطفال (Pouptois J.et Desmet h.,2000,p 203)

الجهد التربوي نحو التوافق الاجتماعي يستند بوضوح على الضرورة القديمة للإنسان من أجل الامتثال و الخضوع . مع ذلك يظهر الطفل أكثر أو أقل تقبلا لهذا التأثير، إذا اتضح بدون جدال أن هناك ظاهرة التكيّف المتبادل بينه و بين الوالدين. العديد من الدراسات دلّت أن المراهق المنحرف البعيد عن الممارسات التربوية للوالدين وُصف بأنه كان صعب أثناء الطفولة.

الأخذ بعين الاعتبار لهذه النتائج فبرامج الحماية الحالية المعتمدة في الولايات المتحدة الأمريكية و كندا : (Coie 1998، McCord et Tremblay 1992، Tremblay et Craig 1997) تتّجه إلى الأطفال الذين وصفوا بالصعاب و العدوانيين أثناء طفولتهم الأولى، تقترح على عائلات تأطير مبكّر و دائم

الذي يهدف إلى تصحيح الأخطاء التربوية و حل الاضطرابات السلوكية و إلى الوقاية من ترصيع الصعوبات المعرفية التي من شأنها أن تعيق التمدرس و كذلك الاندماج الاجتماعي .

2- الأسباب العائلية للانحراف :

يعد الانسجام العائلي و خلو الجو الأسري من الاضطرابات السلوكية و الانفعالية عاملا مساعدا على نمو الطفل نموا سليما، كما أن التفاعل الإيجابي بين الآباء و الأولاد يسهم في ظهور السلوك السوي.

- الصراعات و الخلافات الزوجية :

تلعب الصراعات و الخلافات المتكررة التي تحدث بين الزوجين في إطار حياتهما اليومية دورا كبيرا في تكوين شخصية الطفل غير السوية، فالطفل يكون له الشعور الدائم بانعدام الأمن و الطمأنينة حيث تحصل تلك المشاعر السلبية نتيجة الخوف الطريقة التي يتعامل بها الأبوين فالجو الأسري المضطرب يؤدي بالطفل إلى التطبّع على التمرّد و اكتساب السلوك العدواني و قد يصل إلى الانسحاب أو التشرد و الهروب رغبة في التخلص من ذلك الجو المتوتر و غير المناسب ما يؤدي به الدخول في عالم التشرّد و الانحراف.

- القسوة في معاملة الأبناء :

من الطرق التي تؤدي إلى السلوك الاجتماعي غير المرغوب فيه، هي إساءة معاملة الطفل، حيث أن بعض الآباء يمارسون العنف مع الأطفال، و قد أشارت الدراسات إلى أن قيام الوالدين بممارسة العقاب النفسي و الجسدي الشديد على الأولاد، و استعمال أسلوب القسوة معهم سيؤدي بهم إلى الميل إلى أن يصيروا في كبرهم عدوانيين.

كذلك قسوة المعاملة مع الحدث يمكن أن يولد لديه الرغبة في الانتقام، أو يمكن أن تولد لديه ردود فعل مادية كالسرقة، فالمنزل يجب أن يكفل المأوى الصالح للطفل، ويغذي طفولته بالطمأنينة، ويبعد عنه عوامل القلق والاضطراب المبكر، ويمكنه من الحصول على المستوى الصحي اللازم ويهيئ له الكيان و يدربه على مواجهة المعايير المتعارف عليها لسلوك .

- التصدع الأسري :

تعد الأسرة المتصدعة أرضية خصبة و صالحة لإنتاج الحدث الجانح، باعتبار أن الوالدان هما أكثر الناس تأثيرا في توجيه سلوك الطفل و هذا ما هو معترف عليه من قبل المختصين التربويين و النفسانيين و علماء الإجرام الذين قاموا بدراسات مكثفة لمعرفة إمكانية وجود علاقة بين جنوح الأحداث و البنية العائلية عند تصدعها.

التصدع الأسري يحدث اضطرابات عاطفية ونفسية جد معقدة، والتصدع لا يعني الطلاق فقط بل هو يتعدى ذلك، فتصدع العلاقات الأسرية يشمل النزاع بين الزوجين والأبناء، الطلاق، التفريق بين الأبناء...الخ من التعاملات التي تكسر روابط المودة والأمن والحب في البيت.

و قد أظهرت الدراسات التي قام بها مختصون في التربية و علم النفس و علم الإجرام، وجود علاقة بين جنوح الأحداث و تصدع الأسرة بسبب الطلاق أو وفاة أحد الوالدين أو كلاهما. و قال Gluecks في دراسة له " إن أهم القوى التي تحدّد فيما إذا ما كان الطفل ينحرف أم لا هي الجو العائلي. ففي البيت، و في نوع علاقة الآباء و الأطفال توجد أسباب انحراف أو استواء سلوك الطفل". فإذا لم تتمكّن الأسرة في توفير احتياجات الولد المتمثلة في الحب و العطف و الأمن و التقبل فمن المحتمل أن يؤثر ذلك على سلوكه مستقبلا (بختي،2014: 71)

كتبت (مريم و وطرز Mariam van waters) و هي باحثة اجتماعية عن الدور الذي تلعبه الأسرة المهدمة في جنوح الأحداث، فقالت " إن المنزل يجب أن يكفل المأوى الصالح للطفل، و يغذي طفولته بالطمأنينة و يبعد عنه عوامل القلق و الاضطراب المبكر، و يمكّنه من الحصول على المستوى الصحي اللازم لدرء مخاطر الأمراض، و يهيئ له الكيان الاجتماعي، و يدرّبه على مواجهة المعايير المتعارف عليها لسلوك الجماعة، كما يدرّبه على التجاوب مع المواقف الإنسانية التي تبرز العواطف الكبيرة، كالحب و الخوف و الغضب، و يغذي فيه فنّ الحياة في مجتمع صغير – و هو الأسرة – تكون فيه العلاقات الإنسانية بسيطة و رحيمة. وأخيرا فإن للبيت رسالته الكبرى في فطام الحدث، ليس من بطن أمه في هذه المرة، و إنما الاعتماد على الآخرين، بأن يتحرّر من الالتصاق

بقوة الرحمة و البساطة التي يجدها داخل البيت حتى لا يفقد الشباب روح النضال و العمل و الخدمة في مجال العلاقات الإنسانية في الخارج .

و من الأحسن أن نقول بأنه ليس كل أسرة محطمة تنتج أطفالا يسلكون سلوكا مضادا للمجتمع. بل ينبغي القول " إن البيوت المتصدعة تعتبر من الأسباب الأولية التي تساعد على خلق و إيجاد أحداث لديهم اضطرابات سلوكية و انفعالية، و من ثم يكون سلوكهم مضادا للمجتمع ".

- التربية المنزلية الخاطئة :

إن جهل الوالدين للأساليب التربوية الصحيحة كالإهمال أو المعاملة بالقسوة و اللين المبالغ فيه بحيث تصل إلى درجة الإهمال، و الرقابة الشديدة لتصل إلى تقييد حرية الطفل الزائد على الحد، سيدفع بالطفل إلى الجنوح أو قد يدفعه إلى الهروب من حضن العائلة، و يفتح الباب أمام الأبناء ليتصرّفوا حسب هوامهم دون الالتزام بأي قانون أو عرف اجتماعي و الانضمام إلى زمرة الجانحين و المجرمين، فيجدون عالما آخرا و متنفسا يتنفسون عن مكبوتاتهم و من ثمّ لا يتورع عن ارتكاب أي فعل إجرامي، تزينه لهم نفسهم و نوازعهم و غرائزهم.

و لعل تقصير الآباء و الأمهات في تربية أبنائهم و إهمالهم في مرحلة الصغر و عدم مراقبة تصرفاتهم الخاطئة اتجاه يجعل أبنائهم يقعون في منزلق الانحراف في المستقبل فنمط تعامل الأهل مع الأبناء له أثر كبير في دفع مراحل النمو الأخلاقي عند الأبناء أو إحباطه، فعندما تكون تربية الوالدين قائمة على العطف والتفاهم والتشجيع فإنها سوف تؤدي إلى دفع النمو الأخلاقي قدما.

يمكن أن يكون الوالدان مصدر أمان وعطف وثقة بالنسبة للحدث، كما يمكن أن يكونا سببا لخيب أمله وكبته وذلك من خلال أسلوب المعاملة التربوية التي يتلقاها الحدث سواء كان ذلك عقابا أم ثوابا. كما أن التفاوت في المعاملة داخل الأسرة يمكن أن يولد لدى بعض الأحداث الرغبة في التفشي والانتقام وخاصة إذا اتبعت هذا الشعور عوامل أخرى قد تؤدي بالحدث إلى الانحراف، فمواقف الوالدين من الأبناء لها أهمية خاصة إذ يجب ألا

تثير معاملتهم الضغينة في نفوس الصغار، كما يجب ألا تتسم بعدم العدالة و يجب التأكيد على أهمية حاجات الطفل للحب والأمان وتأكيد الذات، فعدم إشباعها قد تنفجر بصورة أو بأخرى بشكل عدواني ضد المجتمع، كما أن التكيّف داخل الأسرة يتوقف عليه التكيّف مع المجتمع المدرسي والمهني في المستقبل.

و المؤكّد أن مراقبة الأولاد مراقبة مناسبة و معتدلة، ستحمي الأبناء من الجنوح. فقد وجد (واست فرانقتون Westfarrington) في دراسة له أن الأطفال غير المراقبين من طرف أوليائهم هم أكثر عرضة للجنوح من الأطفال الذين كانت رقابة آبائهم عليهم حسنة أو معتدلة (مانع ،1997: 54)

لقد استخلص من طرق تأديب الأطفال المستعملة في الجزائر من طرف الآباء، أن العقوبة الجسدية كانت لها علاقة شديدة بجنوح الأحداث (مانع، 1997: 51) إذ ظهر أن القسوة في المعاملة جعلت الولد ذا شخصية ناقمة متمردة قاسية و تبين أنه يميل في التنفيس عن مشاعره المخبوءة داخل نفسه إلى إيذاء الغير أو تخريب ممتلكاتهم .

- المستوى الأخلاقي و الديني للأسرة :

ما يؤكد عليه أن الدين هو وقاية للإنسان من مختلف السلوكيات المنحرفة، فالتربية على المبادئ الدينية السليمة للأحداث يساعد على إحجام الحدث عن انتهاج السلوك الإجرامي، نظرا لما يتضمنه الدين من مبادئ سامية تحض على الخير و تنهي عن الشر.

و يؤكد المربون المسلمون على أن مصدر أخلاق الولد و منبع سلوكه هو الأسرة، و أن الأب و الأم هما المسئولان عن تربية أولادهما و صلاحهم مرتبط بصلاحهما.

أما علماء التربية و علم النفس فيؤكدون أنه منذ سن الرابعة، يشرع الطفل تعلّم بعض المعايير الاجتماعية، و يبدأ في التدرب على السلوك الاجتماعي، كما يؤخذ ضميره في النمو، بالإضافة إلى فهم ما هو مباح و ما هو غير مباح من أنواع السلوك. بعبارة أخرى فإن الأسرة هي من توفر الحاجات الأساسية للأولاد كالطعام و الدواء و

الكساء و تحميهم من القلق المبكر و تصون صحتهم و توفر لهم الاحترام الاجتماعي و كذا تعليمهم السلوك الاجتماعي المقبول و ذلك بغرس العادات و القيم الإيجابية و نفوسهم الغضة، كاحترام الآخرين و التعاون معهم و الانتماء إل المجتمع و التضحية في سبيله، فالأسرة هي المسئولة الأولى عن تكوين السلوك السوي لدى أولادهم عن تنشئتهم و هي السبب في ظهور السلوك المنحرف و ذلك عندما تقصر في تعليمهم كيفية التصرف في المواقف الاجتماعية المختلفة على أساس سليم و كيفية التوافق مع أفراد المجتمع الذي يعيشون فيه حسب السلوك الاجتماعي الذي قررته الجماعة (بختي، 2014: 58)

إن انهيار الجانب الأخلاقي داخل الأسرة من العوامل المباشرة و التي تؤثر بصفة مباشرة إلى ظهور الانحراف و ذلك من خلال انعدام القيم و غياب المثل العليا داخل الأسرة فيصبح الانحراف و الجريمة و سوء الخلق أمرا مألوفا لا يكون مصدر إزعاج أو قلق لا يرون فيه حرجا .

ففي ظل ضعف الوازع الديني و الخلقي و فشل الأسرة و المجتمع في تنشئة أفراده منذ الطفولة على القيم الحميدة في غياب المبادئ و التعاليم الدينية و مثله العليا و تقاليده الصالحة التي تهدف إلى الحفاظ على مصالحه و أمن أفراده تكون النتيجة من ذلك الجنوح و الانحراف و ارتكاب الجريمة وغيرها من السلوكيات المضادة للمجتمع.

3- مدى تأثير التكوين النفسي على انحراف الأحداث

- التأثير النفسي للأسرة في حياة الطفل :

تعد السنوات الأولى من الطفولة الأساس الذي تبنى عليه شخصية الفرد في المستقبل و حدد تصرفاته و نمط سلوكه و اهتماماته العقلية و اتجاهاتها الانفعالية. فإذا لم يتم تدريب الطفل و تعليمه و تربيته على الوجه السليم المتزن كان سوء التوافق و سوء الصحة النفسية و السلوك المعادي للمجتمع تظهر في أشكالها المختلفة في تصرفات الحدث، فتنشئة الطفل نفسيا ورعايته في المرحلة الأولى من حياته لها اثر بالغ في تاريخه السلوكي فيما بعد.

يمتص الحدث ما لدى الوالدين من قيم و اتجاهات و أساليب سلوكية، فيسلك كما يسلكون و يكون سلوكه المنحرف تحقيقا لقيم منحرفة يقرها الوسط المنحرف الذي ترعرع فيه، فإذا نعم الحدث بجو المحبة و العطف و التعاون داخل الأسرة فلن يكون هنالك من مبرر لكي يسير في طريق الإجرام. و من الملاحظ من خلال دراسة أسر المنحرفين أن عملية اكتساب العادات الاجتماعية و تطوّر نضوج شخصية الحدث قد تتأثر نتيجة العلاقات السيئة بين الوالدين أو بين الوالدين و أطفالهم (جعفر،1996 : 52)

- مدى تأثير الحرمان على تكوين نفسية الحدث :

عدم إشباع الرغبات عند الأحداث أو الفشل في إشباع هذه الرغبات تدفعهم أحيانا إلى تحقيق هذا الإشباع بمختلف الوسائل، كاللجوء إلى العصابات و الانتقام حيث يجدون في هذا السبيل متنفسا لكبتهم و هروبا من خيبة أملهم.

حرمان الحدث من إشباع رغباته وحاجاته سواء في المنزل أو المدرسة قد تدفعه إلى تصرفات تتسم بالشذوذ و الانحراف كوسيلة لحل مشكلة الكبت التي يعانيها، و كلّما ازداد الشعور بالحرمان كلما تعرضت ذات الفرد للاضطراب و امتلأت نفسه بمشاعر القلق و التوتر.

فانحراف الأحداث يبدأ حيث لا يتحقق إشباع رغباتهم الملحة و حاجاتهم الضرورية كحاجاتهم للأمن و العاطفة و الحرية، أو من حيث تتكوّن لديهم شخصية ضعيفة غير قادرة على حل الصراعات و الصعوبات التي تواجهها في المجتمع و من ثم يلجئون لتحقيق رغباتهم لأساليب قد تكون غير مألوفة لدى الجماعة.

4- التصدع الأسري

التصدع المادي للأسرة : يقصد بالتصدع المادي للأسرة غياب أحد الوالدين عنها أو كلاهما لأي سبب من الأسباب و ما يترتب من نتائج على تربية الحدث و توجيهه، فالأسرة المتصدعة عاجزة عن قيام بمسؤولية تربية الأطفال و إشباع حاجاتهم و رغباتهم فيترتب عن ظهور نتائج ضارة في سن المراهقة أو البلوغ. معظم الدراسات

أكدت أن الأحداث المنحرفين الذين أتوا من أسر متصدعة بلغت نسبهم من 30 إلى 50 بالمائة من مجموع الأحداث المنحرفين إما من والدي مطلقون أو مفصولون قد توفي أحدهم. و مجمل الدراسات التي أقيمت تبيّن أن التصدع الأسرة له تأثير كبير على شخصية الحدث و تحديد سلوكه وتصرفاته في المستقبل(جعفر،1996: 62)

التصدع المعنوي للأسرة : يقصد بالتصدع المعنوي للأسرة الخلل و الاضطراب الذي يسود العلاقات بين أفراد الأسرة و سوء التفاهم الحاصل بين الوالدين، و انعكاساتهم على شخصية الأولاد و جهل الوالدين بأساليب التربية السليمة، و تمنع الخلافات العائلية التطوّر الطبيعي لشخصية الحدث فلقد أثبتت دراسات عديدة أن من 70 إلى 90 بالمائة من الأحداث المنحرفين أتوا من بيوت شابها التناقض و عدم الانسجام و الاضطراب بين علاقات أفرادها (جعفر،1996: 62)

يتأثر الطفل بأسرته أكثر ممّا يتأثر بأية بيئة أخرى و لهذا فإن الأولاد الذين ينتمون إلى أسر سليمة في مناطق فقيرة متخلفة لم تزد نسبة الجانحين بينهم عن الأولاد المنتمين لأسر سليمة في مناطق ذات مستوى اقتصادي أفضل.

يشير كل من Le Blanc و Ouimet أن العلاقة الزوجية (العلاقات الحميمية بين الوالدين ، التفكك ....الخ) لا تتعلّق مباشرة مع السلوك المنحرف، لكنها تحدد نوع العلاقات بين الطفل و أولياءه و أهمية النماذج المنحرفة. أما G. Heuyer لاحظ أن " القلق هو أساس كل سلوك منحرف من الأحداث و كل اضطراب في السلوك " (Wallenstein et Kelly , 1985, p 36)

جهل الوالدين بأساليب التربية السليمة : كما يمكن أن يكون الوالدين مصدر أمان و عطف و ثقة بالنسبة للحدث، فإنه يمكن أن يكون أيضا سببا لخيبة أمله و كبته و ذلك من خلال أسلوب المعاملة التربوية التي يتلقاها الحدث سواء كان ذلك ثوابا أو عقابا. و قد رأى "برت " من خلال أبحاثه أن معاملة الحدث بحزم زائد يمكن أن يولد لديه الرغبة في الانتقام، أو يمكن أن يولد لديه ردود فعل مادية كالسرقة، و من ناحية أخرى فإن التساهل الزائد في المعاملة ينمي لديه شخصية ضعيفة غير قادرة على تنمية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين .

من جهة أخرى فأن التفاوت في المعاملة داخل الأسرة يمكن أن يولد لدى بعض الأحداث الرغبة في التشفي و الانتقام و خاصة إذا غدت هذا الشعور عوامل أخرى قد تؤدي بالحدث إلى الانحراف.

إن لمواقف الوالدين من الأبناء لها أهمية خاصة إذ يجب ألا تثير معاملتهم الغيرة في نفوس الصغار كما يجب ألا تتسم بعدم العدالة، كما يجب التأكيد على أهمية حاجات الطفل للحب و الأمان و تأكيد الذات، فعدم إشباعها قد تنفجر بصورة أو أخرى على شكل أعمال عدوانية ضد المجتمع .

البيئة العائلية كعامل من عوامل الانحراف عند الأحداث : للبيئة العائلية أهمية كبيرة في رعاية الأحداث باعتبار أن الأسرة هي الخلية الأولى و الأساسية التي ينمو فيها الحدث، و في ظلها و من خلال السنين الأول من طفولته تتحدد و تتكون شخصيته، فالحدث قد يتربى في كنف أسرة يسودها الفساد و الاضطراب بين أفرادها سواء في علاقتهم بعضهم البعض أو مع الآخرين و في كلتا الحالتين يتأثر الحدث بجو الأسرة و بتقاليدها و عاداتها و سلوكها .

تمثل الأسرة المجتمع الصغير بالنسبة للحدث و من خلاله ينطلق إلى المجتمع الكبير حاملا معه ما كسبه من المجتمع الأول، كما يرى " شولمان Shulman فإن الأسرة في المجتمع الحديث تلعب دورا كبيرا في تنشئة الأحداث و رعايتهم و حمايتهم من مخاطر الانحراف، كما تعمل الأسرة أيضا على تدريب الأحداث و تنمية العلاقات الاجتماعية لديهم ونقل القيم الروحية و الأخلاقية إليهم. فهي تلعب الدور الأساسي و الرئيسي في توجيه الأحداث و تحديد تصرفاتهم و تكوين شخصيتهم، و نتيجة للتأثيرات الحضارية المختلفة فقد ضعفت العلاقات المعنوية و المادية التي كانت تسود الأسرة و أصبحت هذه الأخيرة معرة للتصدع و الانهيار أكثر من السابق، و بذلك يمكن أن يتعرض الأبناء لعدم كفاية الرعاية اللازمة لتنشئتهم فيقعون فريسة للانحراف و السلوك الإجرامي.

أثر غياب الوالدين في سلوك الحدث: يحدث تصدع العائلة في حالة وفاة أحد الوالدين أو كلاهما، إذ لا يخفى ما لوجود الوالد و عطفه و توجيهه من أهمية في حياة الولد. ففي دراسة قام بها " كولر Coller " بأنجليترا لحالة 121فتاة جانحة، تتراوح أعمارهم بين السادسة عشر و السابعة عشرة، و قارنهن بمجموعة غير جانحة من نفس الطبقة الاجتماعية فوجد أن 5.61 بالمائة منهن تعرضن إلى فقدان أحد الوالدين و أن 32 بالمائة تعرضن إلى فراق الوالدين لمدة طويلة و أن 80 بالمائة منهن تعرضن إلى الحرمان بسبب الطلاق أو الافتراق. كما تبيّن أن هجر بعض الأمهات ببيوتهن أصبح الأولاد بسببه أكثر تشتتا و جنوحا(بختي ،2014: 124)

أما بالنسبة للطلاق فقد أثبتت البحوث في أقطار مختلفة أنه يعد أكثر انتشارا في أوساط عائلات الجانحين، و ذلك لتأثيره السيئ في نفسية الأولاد و في علاقتهم مع والديهم و غيرهم، و في تربيتهم أيضا. يرى الطفل إلى الطلاق كمصدر للحزن، القلق و الخوف من المستقبل أثناء انهيار العلاقة الزوجية و أثناء الأشهر اللاحقة، يمكن للطفل أن يعبّر عن معاناته بطرق مختلفة حسب سنه، حسب الخلفية الأسرية و حسب قدرات والديه في تسيير الوضعية الجديدة ماديا و عاطفيا. فالطفل خلال نموه يمكن أن يظهر رفضه للوضعية الأسرية الجديدة عن طريق سلوكيات مضطربة (عدوانية ، كبت ...) أو عن طريق تكيّف دراسي ضعيف. يمكن أن يرفض والديه الذي يعتبرهم سبب هذه الوضعية و عكس ذلك يمكنه الاستثمار في رفقاءه و يبدي عدم الاهتمام بأوليائه (Wallenstein et Kelly , 1985, p 13) .

الفصل الرابع : الجنوح

تمهيد

1- **مفهوم الجنوح**

2- **مفهوم الحدث**

3- **الأحداث المذنبون**

4- **مفهوم جنوح الأحداث**

5- **النظريات المفسرة للجنوح**

6- **العوامل المؤدية إلى الجنوح**

تمهيـــد:

يعد الانحراف صورة من صور الاضطرابات السلوكية تتميّز بالتعبير عن الصراعات النفسية و الخبرات المؤلمة و الأزمات النفسية و عدم إشباع الحاجات و القلق و الحرمان العاطفي تجعل الجانح يقوم بسلوكيات مناهضة للمجتمع و الاستجابة لعدم التوافق بطرق عدوانية. و بما أن الدراسة الحالية تقوم على دراسة خصوصية و شخصية الجانح فكان لا بد لي أن أخصّص فصل أوضح فيه ماهية هذه الظاهرة بداية من إعطاء أهم تعريفات الجنوح و أهم النظريات و العوامل المفسرة لهذه الظاهرة.

1- **مفهوم الجنوح** :

هنالك بعض الصعوبة في تحديد هذا المفهوم فالجنوح يتصل بشكل أو بآخر بمفهوم الجريمة وبمفاهيم تعني الجريمة من مفاهيم السلوك الإجرامي ويظهر أن إيجاد تعريف شامل لمفهوم الجنوح مازال يتعذر تحقيقه وذلك لارتباطه بقضايا علمية واسعة يشارك فيها رجال القانون إلى جانب الأحداث بأرضية علماء النفس والاجتماع والخبراء الاجتماعيين وأطباء النفس والعقل وغير هؤلاء من المفاهيم القانونية التي أبرزها الفقه الجنائي للتعامل مع فئة الأحداث الذين يرتكبون أفعالا مخالفه للقانون.

ويشير الجنوح la délinquance في معناه الحرفي إلى "التخلي عن واجب أو ارتكاب خطأ، ولا يعني بالضرورة ارتكاب جريمة، ولكن الاصطلاح كثيرا ما يستخدم كمرادف للجريمة وخصوصا بالنسبة للجرائم غير الخطيرة أوالتهم التي يرتكبها صغار السن.

ويعني الجنوح أيضا "سلوكا أو مجموعة من التصرفات، هذا السلوك يمكن أن يكون من تأثير مجموعة من الاضطرابات أو عدم التوازن الاجتماعي، أو ضغوط اقتصادية أو صراع مع الحضارة المدنية، كما يمكن أن يكون الجنوح بسبب اضطراب نفسي أو مرض عصبي.

كذلك يعني الجنوح "خروج الحدث عن الطريق السوي، وإقدامه على ممارسة أحد أنماط السلوك غير الاجتماعي والإجرامي الذي يتعارض مع المعايير الاجتماعية والقانونية المعمول بها دون بلوغ السن القانونية التي تتيح محاكمته ومساءلته.

إن مشكلة جنوح الأحداث تعد من أكبر المشاكل التي تعاني منها المجتمعات المعاصرة . و تعود جذور المشكلة إلى ضعف التربية في البيت و المدرسة و البيئة، و انصراف الآباء و الأمهات عن رعاية الأبناء رعاية كافية.

أ- مفهوم الجنوح في اللغة : عرّف علماء اللغة الجنوح ، فقالوا : جنح يجنح إلى الشيء جنوحا أي مال إليه .و جنح الطائر جنوحا : كسر من جناحيه ووقع إلى الأرض . و جنحت السفينة : انتهت إلى الماء القليل فلزقت بالأرض فلم تستطع السير و جنح الرجل : إذا قيل على الشيء بعمله بيديه. و الجناح هو الميل إلى الإثم. و سمي الإثم المائل بالإنسان عن الحق جانحا. و يأتي الميل و العدوان في اللغة عن السلوك السوي بمعنى الانحراف.

و يستخلص من تعريف علماء اللغة للجنوح أن معناه الميل عن جادة الصواب، و الانحراف عن الخير و الحق و العمل المباح بإرادة من الشخص نحو ما يضره، و عدم قهر نفسه عن الميل إلى ما لا يحل و ما لا يجوز من السلوك الجانح.

و قد اصطلحت معظم التشريعات العربية على استعمال كلمة الجنوح بمعنى الانحراف عن السلوك الاجتماعي السوي، و الميل إلى العدوان و التمرد، و عدم ضبط الانفعالات، و تعاطي المسكرات و المخدرات و الإدمان عليها، و غير ذلك من السلوك الإجرامي.

و الجنوح لغة أيضا هو الميل إلى الإثم أو الميل عن الحق و من ثم سمي كلّ إثم جنوحا، و لقد و رد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى " و لا جناح عليهم " أي لا إثم عليهم.

أ- مفهوم الجنوح في الشريعة : إن القارئ لآيات القرآن الكريم و الأحاديث النبوية لا يعثر فيهما على لفظ الجنوح الدال على الانحراف ، و إنما يجد كلمة الجانح (بضم الجيم) ، في مثل قوله تعالى " إن الصفا و المروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بينهما و من نطوّع خيرا فإن الله شاكرا عليم " . أي لا إثم عليه ، و أصله من جنح أي مال عن القصد. و قال علماء التفسير إن الجناح هو الإثم و العصيان لأن الإثم يميل بفاعله عن طريق الخير. كما قالوا إن أصل الجناح من الجنوح و هو الميل، و منه الجوانح لاعوجاجها.

و يستفاد ما ذكره المفسرون بشأن الجنوح أنه مشكلة اجتماعية تتسم بسوء معاملة الآخرين، و أنه عصيان و اعوجاج في السلوك يخلو من التواضع و الرحمة و طاعة القوانين و الأوامر.

ب- مفهوم الجنوح في علم النفس : يعرف علماء النفس الجنوح بأنه السلوك المضاد لعادات و أعراف و قوانين المجتمع . و يصفونه بأن السلوك الشاذ الناتج عن اضطرابات نفسية متمثلة في الصراع و الإحباط و التوتر و القلق و الحرمان العاطفي و انعدام الأمن و الجوع الانفعالي . و الخبرات المؤلمة و الأزمات النفسية و عدم إشباع الحاجات و النمو المضطرب، و الضعف العقلي و الخلقي، و تأخر النضج النفسي، و عدم الدوافع و تنظيمها و التحكم فيها (زهران، 1993: 436)

و يعرف بأنه انحراف و هو صورة من صور من الاضطرابات السلوكية، تتميّز بالتعبير عن الصراعات النفسية بسلوك مناهض المجتمع و الاستجابة لعدم التوافق بطرق عدوانية.

و يعتبر عالم النفس (أنجرش) الجنوح بأنه ذلك الفعل البسيط الذي يقوم فيه الأطفال أو المراهقون بانتهاك القاعدة الأخلاقية أو القانونية. كما يطلق لفظ الجنوح على الأخطاء البسيطة التي يرتكبها الأحداث الصغار ضد

القانون أو ضد النظام الاجتماعي السائد في المجتمع. و يعرفه (سيريل بيرت cyrilburt) بأنه : (إفراط في التعبير عن قوة الغرائز و شدة إنفعلاتها لدى بعض الأفراد .....(و هو) حالة تتوفر في الحدث كلما أظهر ميولا مضادة للمجتمع لدرجة خطيرة تجعله ، أو يمكن أن تجعله موضوعا لإجراء رسمي) و يعرف (أوجست إيكهورن augustaichhorn) الجنوح بقوله : (إنه انحراف عن العمليات النفسية السوية).

و لم يغب عن بال الباحثين ما للبيئة من أثر في سلوك الفرد. ذلك أن البيئة تؤثر في قيم و معايير الحدث الاجتماعية و في سلوكه و تصرفاته. فأسلوب التربية الخاطئ، و قلة الضبط و التوجيه. و القسوة و الإفراط في العقاب، و سوء سلوك الوالدين، و مصاحبة رفاق السوء و غير ذلك، تعد أسبابا بيئية مؤثرة في جنوح الحدث (زهران ، 1993 : 436/435) و قد بدا لبعض الباحثين تقسيم الجانحين إلى ثلاث طوائف:

1- الطائفة الأولى : هي طائفة الأحداث المضطربين نفسيا، و هم المصابون بالاضطرابات الانفعالية و اضطراب العادات و الانحرافات الجنسية و المصابون بآفة الجنوح و بمرض الإدمان ...

2- الطائفة الثانية : هي طائفة الأحداث المرضى بعاهات عقلية، التي تعود إلى عوامل وراثية أو بيئية و تحدث قبل أو أثناء أو بعد الولادة ، و يتم القضاء عليها أولا : (بختي ، 2014 : 09)

أ- بالقيام بإجراءات وقائية تتلخص في توعية المواطنين بخصوص الضعف العقلي، و فحص الحامل دوريا، ووقايتها أثناء الحمل مما يضر بعقل الجنين، ثم وقايته في طفولته المبكرة.

ب- العمل على معالجة المصابين بهذه الأمراض طبيا، و رعايتهم صحيا و خاصة عندما يكون الضعف العقلي مصحوبا بأمراض جسمية.

1- الطائفة الثالثة : هي طائفة الأحداث العاديين و يراد بهم الأحداث الأصحاء عقليا الذين استساغوا ممارسة الجريمة و لا يترددون في ارتكابها، رغم إحساسهم بالخطيئة و إدراكهم لسوء فعلهم.

و يتم علاج هؤلاء برعاية نموهم الاجتماعية، بقصد تحقيق توافقهم الاجتماعية و تنشئتهم تنشئة اجتماعية سليمة و تنمية ميولهم و تهذيب أخلاقهم و تدريبهم على السلوك الاجتماعي السوي و العمل المتواصل على تصحيح سلوكهم الخاطئ المضاد للمجتمع.

ت- مفهوم الجنوح في القانون : نجد أن (بول تابان Paul Tappan) يصف الجنوح من الناحية القانونية ، بأنه أي فعل أو نوع من السلوك أو موقف يمكن أن يعرض أمره على المحكمة ، و يصدر فيه حكم قضائي (منير العصرة، 1974 : 30). و هذا التعريف ينظر إلى الجنوح بنفس النظرة التي ينظر بها إلى الجريمة ، لأن الجانح لو يترك دون أن يعرض على المحكمة فإنه أن يتوقف عن ممارسة السلوك المضر بمصلحة المجتمع و المهدد لسلامته و كيانه.

كما يدل الجنوح من الناحية القانونية بأنه كل فعل يعاقب عليه القانون الجنائي، و قد وصفه الباحثون بأنه كل سلوك يخرق القانون و يرتكبه الأطفال و المراهقون الذين لم يبلغوا سنا معينة و يستحق نوعا من العقاب، كما عرفوه أيضا بأنه السلوك غير المتوافق الذي يقترفه الحدث و هو موقف مضاد للمجتمع و يتعارض مع المواقف المألوفة للجماعة و انعكاس التوافق الاجتماعي الذي يرجع إلى أسباب ذاتية.

و ينظر بعض المتخصصين إلى جنوح الأحداث على أنه نوع من اضطراب السلوك و عرض من أعراض عدم التكيف، نتيجة عدم إشباع الحدث حاجاته على الوجه الصحيح.

و عندما يرتكب الأحداث أخطاء ضد القانون فإن محاكمتهم تجري في محاكمة خاصة، ثم يوضعون في مراكز إعادة التربية لإصلاحهم و تقويم اعوجاجهم و إعادة تأهيلهم و علاج مشكلاتهم الأسرية و الجسمية و النفسية و العقلية.

و يصف رجال القانون إلى فئتين : مجموعة من الصغار من الأطفال و المراهقين و الاندفاعيين أو غير الناضجين ممن يرتكبون أفعالا جانحة للمرة الأولى و يستجيبون للإجراءات التصحيحية ثم تلك الفئة من الانتكاسيين المعاودين للجريمة و الذين لا سبيل إلى إصلاحهم و الذين يخفقون في الاستجابة إلى الجهود العلاجية الكثيرة السابقة .

ث- الجنوح في المفهوم الاجتماعي: ينظر الاجتماعيون إلى الجنوح على أنه خروج على العرف و الآداب العامة أو أوضاع المجتمع، و يراه العالمان (جلوك و جلوك) بأنه سوء تكيف الأحداث مع النظام الاجتماعي الذي يعيشون فيه قبل أن يبلغوا سن السادسة عشرة (السحدان،1997: 29)

و من الوجهة الاجتماعية أيضا أن كل خروج على ما هو مألوف من السلوك الاجتماعي دون أن يبلغ حد الإخلال بالأمن الاجتماعي بصورة ملحوظة أو خطرة تهدد الاستقرار الداخلي للمجتمع و يعرّفه غباري بأنه انتهاك للتوقعات و المعايير الاجتماعية.

و الملاحظ أن المختصين في العلوم الاجتماعية لا يلقون اللوم في الجنوح على الحدث الجانح و لا يؤيدون القانونيين في معاقبة الحدث، و يعود ذلك إلى أنهم يرون أن تشكل سلوك الجانح يعود إلى أسباب و عوامل بيولوجية نفسية و بيئية و اجتماعية ، خارجة عن الإرادة الفردية.

لهذا فهم يرون أن صغير السن يخضع في مواقفه و سلوكياته لمؤثرات داخلية أو خارجية تدفعه و تحرك سلوكه و توجه خطاه نحو الهدف المنشود. كما يتوقف السلوك على عوامل ذاتية تتصل بالشخص، و عوامل بيئية خارجية تتصل بالمحيط الذي يتفاعل الفرد مع عناصره كالأشياء و الأفكار و عادات المجتمع و تقاليده و البيئة التي يتحرك فيها كالأشخاص الذين يحتك بهم.

و يؤثر الدافع في السلوك و يوجه نحو تحقيق هدف معين إذا كان قويا، أما إذا كان ضعيفا فإن سطوته لا تظهر في السلوك و بالتالي لا يتحقق الهدف المنشود.

التعريف الذي يشمل الوجهة القانونية و الاجتماعية للجناح: تعريف محمد غباري " بأنه سلوك غير البالغين الذين يقومون بخرق معايير قانونية معينة أو معايير اجتماعية بصفة متكررة، تستلزم اتخاذ إجراءات قانونية تجاه مرتكب هذه الأفعال سواء كان فردا أو جماعة .

يمكن القول أن الجنوح هو مفهوم سلوكي و قانوني لا يمكن حصر تعريفه من خلال السلوك الذي يبديه الطفل أو المراهق حيث الطفل أو المراهق لا يمكن اعتباره جانحا إلا إذا جرى التعامل معه من خلال المسئولين عن القانون أو النظام القضائي، و تستخدم اليوم تعريفات مختلفة كثيرة للجنوح كما تتباين بشكل هائل الإحصاءات المتعلقة بالسلوك الجانح و ذلك اعتمادا على المصادر و الطرق المستخدمة في جمع المعطيات.

2- مفهوم الحدث :

تشير كلمة الحدث إلى صغير السن الذي لم يتم صاحبه نضجه النفسي و العقلي و الاجتماعي،و لم يكتمل نموه و إدراكه. و مصطلح(الأحداث يشمل الفئات العمرية التي لم تبلغ سن الثامنة عشرة)(بختي،2014: 13)

ويمثل الحد الأعلى للسن عاملاً حاسماً، ودونه يمنح الشخص صفة "الحدث" الذي تطبق عليه في ضوئها تدابير خاصة والحدث هو أي شخص صغير السن – ذكراً كان أم أنثى – دون سن معينة،وتختلف المجتمعات عند تحديد هذه السن .ففي إنجلترا – مثلا - تحددت سن الحداثة بثمان سنوات، رفعت بعدها إلى عشر وبنهاية السبعينيات أصبحت أربعة عشر سنة، وأخيرا أصبح الحدث من يقع في فئة عمري14-17 سنة(غريب، 1999)

كما يعرف الحدث بأنه "الإنسان في دور التكوين الاجتماعي، وقبل أن يكتمل له النضج والإدراك الصحيحان، وحتى يبلغ الحدث مرتبة النضج والإدراك لا بد من أن تمر فترة من عمره يتمرس فيها على كيفية الاندماج في المجتمع، ويتسلح فيها بالخبرة والتجارب...".

و يعرف الحدث الجانح بأنه "الشخص الذي تحت سن 18 سنة، ويرتكب فعلا لو ارتكبه شخص كبير اعتبر جريمة" (علي مانع، 1996).

والأحداث الجانحون هم: "الذين يرتكبون في سن صغيرة أفعالا كان يمكن أن تضعهم تحت طائلة العقاب والقانون لو قاموا بها وهم أكبر سناً" .

أ- الحدث في المفهوم اللغوي

جاء في كتب اللغة أن الحدث هو الشاب أو الفتى الذي جاوز حد الصغر. وقد عرّف الحدث بأنه الفتى من الناس الشاب القوي. و جمعه أحداث حيث تشير كلمة الحدث في اللغة العربية إلى " صغير السن " و هو مفرد أحداث و يعرف أيضا الحدث :اليافع دون سن نهاية التعليم الإجباري .و يصد هذا الوصف على الذكر و الأنثى. أما عمر هؤلاء فينحصر بين سن الطفولة و سن التمييز،أي قبل إكمال الإدراك(بختي ،2014 : 14)

ب- الحدث في المفهوم الشرعي :

الجانح هو الآثم المذنب. و قد قسم المربون المسلمون المراحل العمرية التي يمر بها الحدث إلى المرحلتين التاليتين : (بختي ،2014 : 14)

3- مرحلة التمييز :

و هي الطفولة المتأخرة، أو ما بين السادسة و العاشرة من العمر، و تمتاز بأن الطفل فيها يزداد نموا من الناحية الجسمية و العقلية و النفسية أكثر من المرحلتين السابقتين و هي مرحلة الرضاعة و مرحلة الحضانة.

ففي هذه المرحلة يستطيع الحدث أن يتعلم أشياء كثيرة، و يقوم ببعض الواجبات و يتحمل بعض المسؤوليات، و يخرج إلى المجتمع و يتصل بالأنداد و الأتراب و يبني صداقات و تكون عنده روح الميل إلى السلوك.

و الجدير بالذكر أن الحدث في الفترة الممتدة بين سن السابعة حتى سن البلوغ ، يكون فيها قليل الإدراك و لا يتحمل أية مسؤولية جنائية، و لكنه يتحمل مسؤولية تأديبية، و لا يقع تحت طائلة العقوبات التعزيزية إلا ما كان تأديب.

4- مرحلة البلوغ و الشباب :

ذكر العلماء أن المدى الزمني لمرحلة البلوغ يختلف تبعا لاختلاف جنس الحدث، كما يختلف أيضا باختلاف العوامل الوراثية. فيقول علماء الشريعة إن الحد الأدنى من توقع حدوث البلوغ بالنسبة للذكر يكون بعد استكمال سن التاسعة، و أما بالنسبة للأنثى فقالوا إن حدوثه يكون في أول الأم التاسع (بختي ، 2014 : 15)

أما علماء المالكية فقالوا إن حد سن بلوغ الغلام (بالسن و هو ثماني عشرة سنة على المشهور). أما الجارية (فإن البلوغ يكون بالاحتلام أو السن و هو سبع عشرة سنة أو ثمانية عشرة سنة).

و يكون عقل الحدث في هذه المرحلة من عمره أكثر نضجا عما كان عليه من قبل، لهذا يجب أن يعتمد على تربيته و توجيهه على الوعي العقلي لا مجرد العادة و التقليد و المحاكاة كما كان في المرحلة السابقة، لأنه يملك القدرة على إدراك عواقب الفعل الحسن و الفعل السيئ.

ت- الحدث في مفهوم علم النفس :

تبدأ في مرحلة تكوين الجنين في رحم الأم و تنتهي هذه المرحلة بالبلوغ الحسي الذي تختلف مظاهره في الذكر عنه في الأنثى .

و معنى ذلك أن تحديد الحدث في علم النفس يختلف من حالة لأخرى ، رغم تماثل أفراد كل منهما من حيث السن، و ذلك تبعا لظهور علامات البلوغ الجنسي و يترتب ذلك أن الشخص الذي يبلغ سن العشرين من عمره يظل حدثا إذا لم تظهر عليه.

في حين يعتبر الشخص بالغا و ليس حدثا في مفهوم علم النفس و لو يجتاز العاشرة من العمر ما دامت علامات البلوغ الجنسي قد ظهرت لديه و بذلك يمكن تقسيم مراحل حياة الفرد إلى ثلاث مراحل رئيسية الأولى هي: مرحلة التكوين الذاتي ، أي مرحلة التركيز على الذات ، المرحلة الثانية هي مرحلة التركيز على الغير أما المرحلة الثالثة هي مرحلة النضج النفسي و فيها تتكامل الشخصية و القدرات النفسية لدى الحدث الذي يكون في هذه الحالة ، قادرا على التفاعل الإيجابي مع المجتمع .

ث- الحدث في مفهوم علم الاجتماع :

اختلف علماء الاجتماع في الفترة التي تبدأ و تنتهي عندها مرحلة الطفولة أو الحداثة أو بمعنى أخر اختلفوا في تحديد بداية المرحلة التالية التي تعقب مرحلة الطفولة، و هي مرحلة النضج الاجتماعي، و هناك من حدد نهاية المرحلة التالية التي تعقب مرحلة الطفولة، و هي مرحلة النضوج الاجتماعي، و هناك من حدد نهاية مرحلة الطفولة بتمام الثامنة عشر في حين رأي آخرون أن مفهوم الحدث يظل ملاصقا للطفل منذ مواده حتى طور البلوغ بينما يذهب فريق ثالث إلى أن مرحلة الحداثة تبدأ من الميلاد و حتى سن الرشد، و تحديد هذه المرحلة يختلف من خلال ثقافة لأخر، فقد تنتهي ي البلوغ أو الزواج أو يصطلح على سن محدد لها.

ج- الحدث في المفهوم النفسي و الاجتماعي :

الحدث هو "الصغير منذ ولادته حتى يتم نضجه الاجتماعي والنفسي وتتكامل لديه عناصر الرشد" و يرى علماء النفس و الاجتماع أن الحدث هو الصغير الذي لم يكتمل إدراكه و قدرته على تكييف سلوكه و تصرفاته حسب

ظروف الواقع و متطلبات المجتمع. و هو يقولون إن مرحلة الحداثة التي يمر بها الولد تنقسم إلى الأقسام التالية:(بختي ، 2014: 17) .

1- مرحلة الطفولة الأولى: و تمتد من الميلاد إلى نهاية السنة الثانية، و فيها يتطوّر النمو الاجتماعي و القدرة على الاندماج في الجماعة التي ينتمي إليها.

2- مرحلة الطفولة الثانية: و تبدأ من العام الثالث و تنتهي في العام السادس، حيث نلاحظ نمو عقلي بمظاهره اللغوية و الإدراكية و نمو في أعضاء و أجهزة الجسم المختلفة.

3- مرحلة الطفولة الثالثة: و تستمر من العام السابع إلى العام التاسع، و تتجه حياة الطفل الانفعالية بعد عامه السادس نحو الهدوء النسبي، و تتكوّن لديه بعض العادات و العواطف و الاتجاهات و ينمو ذكاؤه فيصبح قادرا على التحليل و الفهم و التفكير السليم و التكيّف مع المواقف المتجددة.

4- مرحلة الطفولة المتأخرة: و تبدأ من التاسعة و حتى سن الثانية عشرة، نجد نمو الطفل الاجتماعي و اللغوي الذي يساعد على نمو مقومات الحياة الاجتماعية، كما ينمو في هذه المرحلة إدراكه للعلاقات و يزداد تركيز انتباهه و سعة ذاكرته.

5- مرحلة المراهقة: هذه المرحلة التي تبدأ من سن الثانية عشرة و تستمر حتى سن الرابعة عشرة يكتمل فيها النضج الجسمي و العقلي و الانفعالي و الاجتماعي، و تتميّز هذه المرحلة بظهور مشكلات في جميع أوجه التكوين النفسي.

6- مرحلة البلوغ: و تبدأ من العام الرابع عشر و تنتهي عند سن الواحدة و العشرين. و تتميز بمظاهر جسمية و عقلية و انفعالية و اجتماعية. كما تتميّز بوصول نمو الحدث فيها إلى أقصاه. و تحدث فيها تغيرات جوهرية عضوية و نفسية .

و يلاحظ المتخصصون أن أخلاق الكثير من الأطفال تفسد في سن مبكرة بسبب تأثير المحيط. لهذا يقتضي الإسراع في إصلاح سلوك الحدث و رعايته و حمايته من الانحراف، و تدريبه على السلوك السوي.

ح- الحدث في المفهوم القانوني :

نجد الحدث في التعريف القانوني يعتبر من خلال الفترة الزمنية التي يمر بها الإنسان، وهي الفترة التي تقع بين سن التمييز وسن الرشد الجنائي الذي يثبت أمام السلطة القضائية المختصة بالجرائم أو التعرض للانحراف.

و يعتبر الحدث المنحرف هو الذي تظهر لديه ميول و رغبات مضادة للمجتمع بشكل خطير تعرضه للملاحقة و الإجراءات الرسمية (جعفر ،1996 : 16). أو كما وصفه جيمس بلانت James Plant بأنه الصغير الذي يستجيب لعدم التوافق بدرجة خطيرة و متزايدة و بوسائل عدوانية.

3- الأحداث المذنبون :

قسم الباحثون الأدوار التي يمر بها المجرمون الأحداث إلى ثلاث أنواع بحسب السن (بختي،2014 :20):

أ- الدور الأوّل: يشمل الأحداث الذين لم يبلغوا السن السابعة من العمر، و فيه يكون الطفل صغيرا جدا لا يملك القدرة على فهم العمل الجنائي و عواقبه، و لهذا فلا تقام دعوى على مجرم لم يبلغ سن السابعة.

ب- الدور الثاني: يخص الأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة و الخامسة عشر سنة و في هذه الفترة من العمر يكون الطفل قد نما، و صار يفهم بأن الفعل الذي يقوم به محظور، لكن ليس في إمكانه أن يزن مقدار الجرم الذي أرتكبه و لهذا تم الإجماع على تخفيف العقوبة المنصوص عليها في القانون المسلطة على أولئك المذنبين

ت- الدور الثالث : يشمل الأحداث البالغين سن الخامسة عشرة و السابعة عشرة ، و يرى كثير من المشرعين في هذا الدور و جوب تخفيف العقوبات المتناهية في الشدة مراعاة لسن الجاني ، و يعود هذا إلى اعتبار أن أولئك الجناة و إن كانوا لا يجهلون القانون ، أو نتائج أفعالهم المستوجبة للعقاب فإنهم مع ذلك لم يبلغوا بعد تمام الرشد

و لم يصلوا إلى السن التي تمكنهم من محاسبة أنفسهم . لهذا يعتبر صغر السن في هذا الدور عذرا مخففا في بعض الجنات .

4- مفهوم جنوح الأحداث :

حسب الباحثين لو و سوزيني (loo & Susini ,1976) يوجد إبهام و غموض و عدم التمييز بين مفهومي الانحراف و الجنوح، فالجنوح هو مصطلح يضم كل السلوكيات التي تخترق العادات، التقاليد و النظم الاجتماعية و الأخلاقية التي يسيرها المجتمع و هو يختلف من ثقافة إلى أخرى و من مجتمع إلى آخر (كركوش،2011 :15).

و من ثم الجناح يعد صورة من صور الانحراف، سواء أكان هذا الانحراف يقع تحت طائلة القانون أم لا، و تعد خارجة على القانون، و الجناح يشمل أنواعا من الانحرافات لا تعد من الناحية القانونية جرائم و إن كان المجتمع يعدها مضايقات لا يرضى عنها أو يحبذها.

و يشير مفهوم انحراف الأحداث إلى الجرائم التي يرتكبها الأطفال و المراهقون الذين لم يبلغوا سنا معيّنا، و تختلف هذه السن تبعا لاختلاف المجتمعات و لكن أغلب الأحوال تقل أو تتراوح هذه السن ما بين 16 أو 18 سنة.

و يرى البعض أن انحراف الأحداث هو لون من اضطراب السلوك يرجع إلى اضطراب في النمو النفسي نتيجة عوامل مختلفة تكون قد عاقت هذا النمو و تؤدي إلى نقص في بعض نواحي الشخصية(كركوش،2011 : 14) فالجنوح من نظرة علم النفس هو سلوك لا اجتماعي أو مضاد للمجتمع يقوم على عدم التوافق أو الصراع النفسي بين الفرد و نفسه و بين الفرد و الجماعة بشرط أن يكون الصراع و السلوك الاجتماعي سمة و اتجاها نفسيا و اجتماعيا تقوم عليه شخصية الحدث المنحرف . و تستند إليه في التفاعل مع أغلب مواقف حياته و أحداثها و إلاّ كان هذا السلوك حدثا سطحيا عارضا يزول بزوال أسبابه الناشئة عن عوامل اقتصادية أو صحية أو حضارية أو ثقافية .

و من ثم، يمكننا نستنتج أن انحراف الحدث هو موقف اجتماعي يخضع فيه صغير السن إلى عامل أو أكثر من العوامل ذات القوة السلبية مما يؤدي به إلى السلوك غير المتوافق أو يحتمل أن يؤدي إليه فقد جاء في معجم العلوم الاجتماعية تعريف لمفهوم جنوح الأحداث بأنه قانون يعني أنماطا من السلوك يحرمها قانون العقوبات، و يفترض القانون قيام مستوى معيّن من مسؤولية الحدث عن سلوكه و أفعاله في سن معيّن.

إذا جنوح الأحداث هو ظاهرة تشمل الشخصية ككل في تفاعلها مع البيئات المحيطة بها من اجتماعية و اقتصادية و سياسية و قوانين و عادات (السدحان ،1994: 31)

و عموما، فإنه يغلب الاتفاق لدى من تناول ظاهرة انحراف الأحداث على أن هذا المفهوم يتضمن كل خروج عن السلوك الاجتماعي المتفق عليه في السياق الاجتماعي.

5- **النظريات المفسرة للجنوح :**

تعددت وجهات النظر و الآراء في تفسير سلوك الانحراف فنجد عدة نظريات التي تفسر هذه الظاهرة حسب الزاوية التي ينظر إليها أصحاب تلك الآراء إلى ظاهرة الانحراف و هذا ما يبيّن أن علم نفس الانحراف (الإجرام) هو مجال واسع.

الجنوح هي قضية قانونية لكن هي أيضا متعلقة بالفرد و بالمجتمع: الضحايا، المنحرفين، المتدخلين القانونية و الاجتماعيين هم معنيين كذلك (Michel Born,2006:10) . علم الإجرام يجد عناصر هامة في النظريات و الدراسات النفسية. لهذا أتطرق إلى أهم النظريات المفسرة لسلوك الانحراف محاولا تحليل السلوك الإنحرافي حسب نظر كل نظرية.

- النظرية البيولوجية :

أسس هذه المدرسة الوضعية الطبيب الإيطالي " سيزار لومروزو" ، و كانت بمثابة رد فعل ضد المدرسة الكلاسيكية التي ادعت أن الناس متميّزون بالعقلانية و متمتعون بالإرادة الحرة و أن هذه الحرية هي أساس الأفعال الإنسانية (كركوش، 2011: 61) فلقد قام " لومبروزو " في هذا الإطار بوضع نظرية عن المجرم بالفطرة وفكرة الارتداد (العود) التي بناها على أساس أن المجرم ما هو إلا نمط أو نوع معين من أنواع البشر يتميز بملامح عضوية خاصة وسميات خاصة هي نفسها عن الإنسان الأول أو المخلوقات البدائية.

يعتبر باحثوا هذه الاتجاه أن التكوين البيولوجي للفرد هو بمثابة المحدد الرئيسي للسلوك، فيستعملون مصطلحات كالتركيب الجسماني، بنية الملامح الخاصة...الخ، لتفسير السلوك الانحرافي .

قام " لومبروزو " بوصف المجرم بالولادة و اعتبر جريمته و خصائص تركيبه الجسمانية مجرد مظاهر للرجعي ، فالمجرم حسبه ينشأ بحتمية بيولوجية و أن سلوكه المضاد للمجتمع ينتقل إليه عن طريق الوراثة من أسلافه . ويوضح عايد الوريكات (2004) أن المجرم عند لمبروزو يتصف بالتخلف أو الإرتداد في سلم التطور أي أنه أقرب إلى التوحش و البدائية و له صفات : إنحدار الجبهة و كبر حجم الأنف و الشعر الخفيف الأجعد.

وهذا يختصر بالقول أن الجريمة كما يراها لمبروزو: هي استعداد حيواني موروث يدفع الإنسان إلى ارتكاب الإجرام بحتمية بيولوجية طاغية لا تترك للظروف الاجتماعية والبيئية الحسنة التي يعيشها الشخص أي مجال لتعديل مسيرته الحتمية نحو ارتكاب الجريمة رغم جهود السلطات. المختصة لعلاجها والقضاء على أسباب الوقاية منها.

وجهة نظر هوتون :

من الباحثين المؤيدين للمفهوم العضوي للسلوك العضوي للسلوك الإجرامي، حيث قام الباحث بسلسلة من الدراسات العلمية المقارنة مستخدما 668 من المجرمين فكشف أم المجرمون يتميّزون بإنحطاطية بيولوجية جسمية ترجع إلى عامل الوراثة ، و في عام 1339 نشر هوتن (Hooton) تقريرا عن 17000 شخصا من

السجناء و المواطنين الأحرار حيث توصل إلى أ نماذج المجرمين تميل إلى أن تكون مختلفة في مقاييسها الجسمانية عن غير المجرمين ، و أنه بالنظر إلى المجرمين كمجموعة وجد أنهم متفسخون أخلاقيا و عقليا و مورفولوجي و وراثيا إذا قورنوا بالمدنيين (كركوش ،2011: 62)

وجهة نظر شيلدون :

إعتمد ويليام شيلدون (Sheldon h. William) عالم النفس الأمريكي و الطبيب في تصنيف نماذج الجسم على معيار السيطرة النسبية للجهاز الهضمي و الهيكل العظمي و الجهاز العصبي. و قام بتحليل مفصل لمجموعة من البيانات الفيزيائية و البيولوجية جمعت 200 حالة من الأحداث الجانحين و توصل من ذلك إلى أنه على الرغم من الاعتلال البدني لا ينتج بالضرورة جانحين،فإنه يمثل الخلفية التكوينية أو الخلقية الأكثر ملائمة للجنوح.

كما قسّم شيلدون تكوين جسم الإنسان إلى أربعة أنواع ووجد أن الجسم العضلي هو أقرب الأنواع صلة بالسلوك الإجرامي كما وجد في دراسته أن الأحداث المنحرفين يتميّزون ببنية عضلية متينة كذلك يميلون إلى العدوانية و سمات مزاجية مختلفة عن الأطفال غير الجانحين.

ما يمكن أن نستنتجه من مضمون هذه النظرية أن العلماء البيولوجيين اجتهدوا في البحث عن العلاقة بين الحتمية البيولوجية و السلوك الإجرامي و الإنحرافي، فدرسوا الوراثة و شجرة العائلة و اهتموا بدراسات التوائم و دراسات التبني إضافة إلى نظرية الكروموزومات التي ظهرت في الستينات و التي حاولت ربط النقص البيولوجي عند الفرد بالجريمة و هي في مجملها سعت إلى تبيان فكرة أن المجرمين يختلفون عن غير المجرمين من حيث الصفات الجسمية و التكوين الحيوي و الوراثة، غير أنها لم تعتمد على المنهج العلمي السليم ، و هو الأمر الذي جعل نتائجها غير قابلة للتعميم (كركوش ، 2011: 64) .

- نظرية التحليلية النفسية :

ربطت هذه النظرية بين مكونات الشخصية و الانحراف، إذ اعتقدت أن السلوك الإنساني يسير على مجموعة من العمليات اللاشعورية، أي حالة من الصراع اللاشعوري المستمر. إضافة إلى أهمية مرحلة الطفولة المبكرة من حيث إشباع الحاجات الأساسية .

وفي إطار هذه النظرية التي يعززها مجموعة من الباحثين على رأسهم عالم النفس النمساويFreud ،حيث يرى أن الجانح يرتكب أفعاله المضادة للمجتمع بحثا عن العقاب و هو يفعل ذلك لأنه مدفوع بمشاعر ذنب شديدة ناتجة عن أنا أعلى مفرط في قسوته . كما يطالب بالعقاب بشكل دوري لكي يهدأ أو يعود بسبب نشأة هذا الأنا الأعلى العنيف إلى فشل حل عقدة أوديب، حيث يظل الطفل متعلقا بأمه و مشحونا بالنوايا العدوانية اتجاه الأب.

و في إطار هذه النظرية، فإن ظاهرة الانحرافات الاجتماعية في البشر، تكون نتيجة صراع مستمر في نفوس بعض الأشخاص نتائج عن حالات مرضية نفسية والتي تتمثل في الاختلالات الغريزية والعواطف المنحرفة والأمراض النفسية والتخلف النفسي .فيرى Freud أن "شخصية الفرد تتأثر إلى حد كبير بالعوامل النفسية التي تتكون خلال مرحلة الطفولة، إذ تبقى رواسب هذه المرحلة عالقة بشخصية الفرد وتصبح دافعا لا شعوريا لسلوكه وتصرفاته، فالجريمة تعبير عن طاقة غريزية لم تجد لها مخرجا اجتماعيا، فأدت إلى سلوك لا يتفق والأوضاع التي يسمح بها المجتمع.

أي أن السلوك الإجرامي أو بمعنى آخر الخروج عن القانون، هو في الحقيقة رد فعل انفعالي من الفرد كنتيجة لدوافع فطرية عامة، ورغبات عنيفة خاصة تحتاج إلى الإشباع، بل أنها تلح على الفرد إشباعها .و هذا حسب ثلاثة عناصر وهي:

1- الدوافع ومدى قوته

2- الوسائل الميسرة لإشباعه سواء كانت عادية أو شاذة

3- الحالة الانفعالية ومدى شدتها.

وبهذا يظهر الشذوذ الناجم عن عدم القدرة في التحكم بالضغط الحادث من هذا التوتر النفسي .

و يضيف مصطفى حجازي أن وجهة نظر ميلاني كلاين (M. Klein) ارتبطت بفكرة أن الجانح مدفوع بأنا أعلى عنيف و همجي ، و عبّرت عن رأيها هذا في مقال لها عام 1934 و ظهرت في كتابها " محاولات في التحليل النفسي " لكنها تختلف مع فرويد حول نشأة هذا الأنا الأعلى الهمجي حيث رأت أن الأنا الأعلى سابق لعقدة أوديب ، و يتكوّن من السنة الأولى من الحياة و هي ترجعه إلى العلاقة الأولية من خلال تجربة الرضاعة . معنى ذلك أن العلاقة بالموضوع في بدايتها الأولى هي المحور الأساسي في تكوين السلوك الإنحرافي، و بالرغم من ذلك قد لا يكون السلوك الجانح مدفوعا دائما بأنا أعل بحيث يمكن أن يكون هناك سببا آخر يدفعه لهذا السلوك الإنحرافي .

أما لاغاش (Lagache) فيرى أن شخصية الجانح يمكن معرفتها من خلال دراسة اضطرابات التماهي و الإدماج الاجتماعي ، كما يأخذ اضطراب التماهي طابع الفشل في إقامة علاقات أولية إيجابية مع الأم في البداية ثم مع المحيط الأسري بعد ذلك ، و هذا الاضطراب هو المسئول عن بعض السمات التي يوصف بها سلوك المجرم (انعدام اعتبار الآخرين).

يبدو في تصور التحليل النفسي و كأنه يتحدث عن جانح نموذجي في حين أن المنحرفين هم فئات متعددة لكل منها نوعية من حيث النشأة و الصيرورة ، فدراسات التحليل النفسي للانحراف فيها إهمال للجانب الاجتماعي أو بصفة عامة الدور الذي يلعبه الجانح على مستوى ديناميكية البيئة الاجتماعية (كركوش ، 2011: 66)

المنظور العيادي (الإكلينيكي): فحسب النظرية العيادي ، يعني قبل كل شيء أخد الفرد في عملياته الداخلية ، هذه النظرية تعتمد على دراسة الحالة لإظهار الفرضيات العامة، هذه المنهج الذي يدمج العوامل الأسرية تسمح من التحقق من معرفة المكوّنات المحتملة لشخصية المنحرفين.

كما يشرح كتاب " nouvelles approches de criminologie clinique" (Otten Hof et Favart 1991:15,) وجهة نظر العيادي حيث يضع الفرد في مركز النقاشات ، فمصطلح عيادة " يعني الاختبار المباشر للفرد و بأكثر شمولية ،" كل تقنيات التحقيق و معرفة الحالة الفردية ".

علم النفس الإجرام العيادي إذا ، يعتمد أساسا في البداية على التحليل الفردي (المنفرد) مركزا على الملاحظة ، التشخيص و العلاج الفردي للمجرم و الجانح.

هذه دراسات الحالة حاليا تدعمت نظرا لتطوّر البحوث الإحصائية الطولية، فطرق لبحث التي تنتمي إلى هذه النظرية تركّز على الفرد الذي يعّد وحدة لجمع و تحليل المعطيات ، فالمعلومات التي يتم جمعها تتضمن السمات الفردية . و إذا كانت الطرق الإحصائية مستعملة دائما فهذا لا يمنع القول أنه يوجد دائما فرص لإيجاد وحدة الفرد هي مجموع السمات المعرّفة و المترابطة للحصول على نظرة كاملة ممكنة على الفرد و تسعى النظرية العيادية على وضع عدة وجهات خطر مكملة .

- تاريخ جماعة الولادة (أو الجيل): تحليل الروابط التي توحّد الأشخاص من نفس الجيل.
- التاريخ الأسري، مابين الأجيال (من الأجداد إلى الأولاد).
- دراسة التاريخ الفردي (تاريخ الحياة) : دراسة تاريخ الفرد مع معرفة مشاريعه المستقبلية .

المنظور العيادي يدرس إذا الفرد في تفرده و لكنه لا يتوقف على الملاحظة البسيطة. كذلك اختلاف وجهات النظر تسمح بفهم الفرد و الحصول على نظرة نفس اجتماعية بدمجها في تحليل العائلة ، نظام رد فعل اجتماعي ، النظام القانوني و القمعي .

الجنوح يرتبط بالظروف البشرية و الحياة في المجتمع و منظور التحليل النفسي كرّس في تحليله و في شرحه مجموعة معتبرة من الكتب و المقالات، فكما يعرف الجميع أنه منظور يهتم بالفكر و البحث الذي يرتكز على قاعدات معرفة خاصة.

التحليل النفسي يحمل نظرة أصلية و مثيرة جدا من أجل فهم ظاهرة الانحراف و التي تسمح لنا بمعرفة أن " كل فعل إنساني ، بالإضافة إلى الجنوح ، يوجد شيء مخفي و ديناميات الشخصية تحوّلت إلى وضعية بسيطة وراء أدلة هادفة قابلة للقياس "(Michel Born,2006:14)

- <u>**النظرية الإجتماعية**</u> : حسب المنظور الاجتماعي و النفسي الاجتماعي ، فإن أفعال الجنوح هي أفعال اجتماعية ، بمعنى أنها متعلقة بعلاقات بين الأفراد ، و في مجمل السلوكيات الاجتماعية هناك سلوكيات محايدة neutre ، و هناك سلوكيات اجتماعية إيجابية prosociaux و هناك سلوكيات معادية للمجتمع asociaux و التي قد تخلق خسائر بدون التعمّد في ذلك ، و هناك سلوكيات معادية للمجتمع antisociale و التي تكون الغاية منها الرغبة في إيذاء الآخرين.

لا يمكننا فهم سلوك ما و أن نعالج الجنوح بدون الرجوع إلى المجتمع الذي يعيش فيه الفرد ، فمن خلال المجتمع قوانينه و عاداته و قواعده يمكن تعريف الجنوح و الانحراف، فمخطط المسطّر من قبل kutchinsky (robert,1937) هو جد مهم من خلال مكوّناته ، فهو لا يعتبر أن الجنوح تابعا للانحراف لكنه يشكّل هامش التقاطع معه .

المنظور النفسي اجتماعي psychosociale يقوم على أن كل عمل إجرامي أي مضاد للمجتمع يتطوّر في المكان و الزمان، فالفعل المدان في مجتمع ليس حتما مدان في مجتمع آخر. تقييم انحراف السلوك يختلف حسب المجموعة الاجتماعية، الدين، الثقافة، الأخلاقية أو القبلية (Michel Born,2006:10)

إذن تركز النظرية الاجتماعية على دراسة السلوك الجانح كظاهرة اجتماعية تخضعه في شكلها و أبعادها لقوانين المجتمع، بالإضافة إلى أن نقطة التقاء هذه النظريات في دراسة الجنوح كمتغير اجتماعي.

و يؤكد إنريكو فيري (FERRI.E) في كتابه " علم الاجتماع الجنائي " على الأسباب و النتائج الاجتماعية للانحراف و الجريمة ، فهو يرى أنها تنتج عن الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الطفل المنحرف ككثافة السكان و الديانة و بنية العائلة و نظام التربية و الإنتاج الاقتصادي و الكحولية (كركوش ، 2011: 78)

مثلما تعددت وجهات النظر و النظريات النفسية و البيولوجية التي تفسر السلوك الجانح، كذلك أن لآراء و النظريات الاجتماعية تعددت لتدلي بمدلولها و لتساهم في فهم و تحليل أسباب و دوافع السلوك الجانح و الجريمة .

في هذا الإطار سنعرض بعض هذه النظريات التي ساهمت في تفسير ظاهرة جنوح الأحداث و الجريمة بشكل عام:

1- نظرية إميل دوركايم Emile Durkheim :

من رواد هذه النظرية الذي يرى أن الجريمة ما هي إلا ظاهرة تمتد جذورها وترتبط بالأوضاع الاجتماعية في المجتمع، كما تعبر عن حركة التغيير الاجتماعي ونوعية الثقافة والمستوى الاجتماعية والوضع الحضاري لأفراد ذلك المجتمع، كما يعتقد باستحالة القضاء على هذه الظاهرة والتي لها ارتباطا وظيفيا معين (صالح بن محمد آل رفيعي).

ويرى دوركايم أن الشعور الجمعي هو الأعم، وبالتالي يتضمن الشعور الفردي، وهو المعبر عن حقوقه وواجباته، وليس بمعزل عنه بسبب ضغوطه القوية المسلطة والتي يمارسها المجتمع عليه .

وقد استخدم دوركايم مفهوم الأنومي (Anomie) أو اللامعيارية الذي يعني اللاقانون و اللانظام و اللامعيارية لتفسير وتمييز السلوك المنحرف عن السلوك السوي، وقد كان في القديم مفهوم اللامعيارية يعني مخالفة أوامر ونواهي القانون، وبخاصة القانون السماوي وتعاليم الدين، وقد شاع استخدامه حتى فترة ما بعد العصور الوسطى، واستخدم دوركايم اللفظ عام 1897 لشرح ووصف وتحليل أسباب السلوك المنحرف ويرى دوركايم أن الجريمة تعتبر ضمن الظواهر الاجتماعية السوية، وهي عامل ضروري ولا بد منه لسلامة المجتمع، وبذلك تكون جزء لا يتجزأ من حياة كل مجتمع سليم، ويستمر في وصفها (أي الجريمة) بأنها من الظواهر الاجتماعية السليمة، لأنه لا يوجد مجتمع خال منها تماما ولكن "يستدرك دوركايم منبها إلى أن إدخال الجريمة ضمن الظواهر الاجتماعية السليمة ليس معناه أن المجرم هو شخص طبيعي التركيب من الناحيتين النفسية والبيولوجية، فإن كل من هذين الأمرين مستقل عن الآخر" وأخيرا نجد أن دوركايم "لا يرى في الموقف الاجتماعي سوى المجتمع الذي يفرض على الأفراد حاجاته غايات لأفعالهم وسلوكياتهم. وهما موقفان بينهما الافتراق أكثر مما بينهما من الالتقاء.

2- نظرية روبار ميرتون Robert Merton :

استخدم ميرتون Merton مفهوم اللامعيارية التي استخدمها دوركايم بأن حالة اللامعيارية يمكن أن تنشأ من تعارض الطموحات وانهيار المعايير النظامية وأعاد صياغتها بشكل أوسع وعام حيث "أن البني الاجتماعية تمارس ضغطا محددا على أشخاص معينين في المجتمع ليشتركوا في سلوك انحرافي مفضلين ذلك على السلوك الإمتثالي.

عرض ميرتون نظريته أولا في مقال بعنوان "البناء الاجتماعي و اللامعيارية" عام 1938 وكانت افتراضات نظرية ميرتون في اللامعيارية والسلوك الإنحرافي كالآتي(صالح مصلح) :

- تمارس بعض البنى الاجتماعية ضغطا محددا على أشخاص معينين في المجتمع ليمارسوا السلوك غير المتمثل بدلا من السلوك الإمتثالي

- .يمكن اعتبار السلوك الإنحرافي من وجهة نظر علم الاجتماع كدليل (علامة) على الانفصال بين الطموحات المقررة ثقافيا والسبل المنظمة اجتماعيا لتحقيق هذه الطموحات.

- أنماط ردود الفعل للظروف البيئية التي تتجلى لدى الأفراد وهي :

الامتثال: حيث يقبل الأفراد أهداف ومعايير المجتمع المشروعة لتحقيق

الانعزالية (الانسحاب): عدم قبول أهداف المجتمع ولا وسائله المشروعة لتحقيق هذه الأهداف

التجديد: الميل إلى رفض وسائل المجتمع للحصول على الأهداف مع أن الفرد يقبل ويقدر الأهداف ذاتها

الطقوسية: رفض أهداف المجتمع مع عدم انتهاك قواعد هذا المجتمع

التمرد: حيث يصبح الفرد متحررا من أهداف المجتمع ونظمه ويستبدل بها أهدافه ووسائله الخاصة لتحقيقها.

كما يوضح Merton أن بعض الأفراد يتعرضون بسبب إهمالهم من قبل الجماعة، وكذلك بسبب خصائص معينة في شخصياتهم إلى التوترات الناشئة عن التعارض بين الأهداف الثقافية والوسائل الفعالة لتحقيقها، ويكون هؤلاء الأفراد عرضة للسلوك الإنحرافي .

3- نظرية الترابط الفرقي :

يعتقد سترلاند Sutherland " عالم الاجتماع الأمريكي أن هناك ميكانيزمات موجهة للانحراف هي نتائج تفاعل لتاريخ الشخصية و وضعيتها الحياتية الراهنة ، و قد تأثر سترلاند بواطسون الذي رأى أن السلوك هو نتاج البيئة الاجتماعية (كركوش ، 2011: 79)بحيث أنها ردود الفعل المتعلمة التي يتلقاها الفرد من الجماعة الجانحة التي تنتمي إليها دون وجود دوافع ذاتيو تعود للوراثة أو الغريزة .

كما أراد سترلاند وضع تفسير نظري للانحراف يملك نفس خصائص النظريات العلمية الموجودة في مجالات أخرى ، و يجب أن تتوفر لهذا التفسير في رأيه على شروط سببية تكون دائما حاضرة عندما يحدث الانحراف و غائبة عندما لا يكون هناك انحراف .

و لفهم هذه النظرية نذكر أهم العناصر التي أقامها سترلاند و هي:(Jacques Faget,2002:43-44)

- لا يمكن اعتبار أن السلوك الإجرامي هو سلوك موروث بل يكتسبه الفرد عن طريق التعلّم.
- من خلال اتصال الفرد بالآخرين (مهما كان نوع هذا الاتصال) يتعلم السلوك الإجرامي.
- تتم عملية التعلّم بين الأشخاص على درجة متينة من الصلة الشخصية أو على درجة واضحة من الصداقة، فالعلاقة بين هؤلاء الأفراد تكون علاقة أولية مباشرة تختلف درجاتها وفقا لمدى تكرارها و دوامها و عقدها .
- تستهدف عملية التعلم المضمون الفكري لإتجاهات و مواقف الجماعة التي يختلط بها الفرد، فيتعلم منها مفاهيمها و تفسيرها للقانون .
- يصبح الفرد مجرما أو منحرفا عندما تتغلب عليه الاتجاهات الدافعة للإجرام ويحدث ذلك لدى الفرد المتفاعل بعمق مع جماعة ينتمون إلى ثقافة مرجعية منحرفة.
- للبيئة التنشيئية الاجتماعية دور فعال في اكتساب السلوك الإجرامي وفي تكوين الاتجاهات والميول الخاصة ، فهناك بيئات اجتماعية تكسب أفرادها السلوك الإجرامي.

ما أعاب عن هذا التصوّر أنه أغفل الإرادة الحرة للإنسان لأن الارتباط بالنماذج الإجرامية يعتبر نتيجة لعدم قدرة الشخص في التحكم في أفعاله. كما أن سترلاند أهمل مصدر الجريمة و لم يحدد معنى المخالطة الفارقة أو الترابط الفارقي تحديدا دقيقا .

4- النظرية التكاملية :

الاتجاه التكاملي يرى في الإنسان وحدة سيكولوجية تحيط بها بيئة اجتماعية أكثر شمولا لا يمكن تجزئتها ، فالجنوح هو محصلة مجموعة العوامل و الظروف التي تحيط بالموقف باعتبار أن السلوك هو استجابة لموقف معيّ يرتبط بالفرد ككائن اجتماعي يعيش في أوساط اجتماعية عديدة و يتأثر بعوامل متعددة كالوراثية ، النفسية، الاقتصادية و الاجتماعية .

و من خلال هذا القول فإن نظرية تكامل العوامل تنظر إلى الحدث المنحرف على أنه نتاج لجميع الظروف و العوامل و الحوادث و التجارب التي مرّ بها و الظروف الأسرية و البيئية التي يعيش فيها بدون إهمال الخصائص النفسية و العقلية التي تتواجد به و التي تحيط به و لذلك يجب أن يفسر السلوك الإنساني من منطلق كل الظروف و العوامل متجمعة ، فكل العوامل مترابطة فيما بينها ، فكل عامل يؤثر و يتأثر بالآخر لتفرز حدثا منحرفا .

و من أشد مؤيدي الاتجاه التكاملي الذي يربط بين العوامل البيولوجية و النفسية الاجتماعية ، فهذه العوامل جميعها عوامل دينامية فعالة تتداخل و يؤثر بعضها في البعض الآخر بدرجات متفاوتة تظهر نتيجة لها حالة الانحراف أو الجناح حسب حالة كل جانح هذا يعني وجود عوامل رئيسية ومساعدة على الانحراف بالدرجة الأولى وعوامل ثانوية إلا أنها لا يجب إغفالها.(كركوش ، 2011: 81)

لذلك يجب على السياسة الاجتماعية عدم تجاهل مختلف الاتجاهات النظرية و التفسيرية عند وضع برامجها لعلا الجنوح أو الوقاية من حدوثه بنظرة شمولية تؤكد أن الجانح أو المنحرف هو وحدة بيولوجية نفسية تعيش في وسط اقتصادي و سياسي و ثقافي و اجتماعي يحدد السلوك السوي و السلوك غير الاجتماعي، و هذا يؤكد على وضع نظرية بعينها كنظرية عامة لجنوح الأحداث .

6- العوامل المؤدية إلى الجنوح :

بعد أن تمّ عرض بعض النظريات التي تساهم في تفسير ظاهرة الجنوح و التي تهتم بالانحراف و الجريمة بشكل عام ، و نظرا لتعدد و تنوّع و تفاوت العوامل و الأسباب و الظروف كما قال علماء النفس " بأن وراء كل سلوك دافع " و بغض النظر عن معنى و سوية هذا السلوك من عدمها، فإنني سأعرض بعض من العوامل و الأسباب التي يرى بأنها قد تكون ذات علاقة قوية بالسلوك المنحرف مركّزا على العوامل المؤدية إلى الجنوح ضمن فئتين، الفئة الأولى وتتكون من العوامل التي تتصل بذات الحدث وتكوينه البيولوجي و العقلي والنفسي وتسمى بالعوامل الداخلية أو الذاتية، والفئة الثانية تتكون من الظروف البيئة الخاصة والبيئة العامة وتسمى بعوامل البيئة أو العوامل الخارجية.

1- العوامل الذاتية :

- العوامل الوراثية : يقصد العلماء بالوراثة انتقال صفات و خصائص معينة من الوالد إلى أولاده، إبتداءا من لحظة غشيان الزوجة و إتحاد الحيوان المنوي للذكر مع بويضة الأنثى .

و يقول علماء الوراثة : إن الإنسان يصاب بالأمراض العقلية و النفسية و البدنية و السلوكية و ذكروا أن العوامل الوراثية لها دور في تشكيل النمو، و تحديد مساره في اتجاه معيّن. أي أنها مسئولة عن سلوك الفرد و تصرفاته و أن استعداداته الوراثية تنتقل إليه من والديه. و أن الفرد يرث الصفات الأخلاقية و الاتجاهات الاجتماعية، و سمات المزاج و الطبع و الخصائص العقلية، و الميل نحو الجنوح أو الجريمة منهما(بختي، 2014: 34)

و ظهرت اتجاهات تشير إلى أهمية الوراثة لكنها وضعت أنه ما يورث هو الاستعداد نحو الفشل سواء كان طبيعيا جسميا أو عقليا أو نفسيا و ليس الاستعداد للجريمة بالذات و أن الوراثة مهما كانت أهميتها، فإنها تتأثر بالبيئة وتتفاعل معها، ومن خلال ذلك فقد تضعف البيئة من قدرة وتأثير عوامل الوراثة أو تدعمها أو تستبعدها نهائيا .

ويذهب بعض العلماء إلى القول أن المجرم العائد بسبب العوامل التكوينية (الوراثية) يرتكب جرائمه في الغالب دون أن يكون قصده التكسب منها فهو يقدم على الجريمة لعدم قدرته على ضبط التحكم في دوافعه الداخلية على عكس المجرم العائد لأسباب اجتماعية ، فهو شخص يحمل الاستعداد الإجرامي ولا يستطيع التحكم في دوافعه ويفقد القدرة على العيش السوي كمواطن صالح في مجتمعه .

- علاقة الوراثة بجنوح الأحداث :

يرى علماء الوراثة أن الفرد يرث صفات أساسية من أبويه و أجداده عن طريق الوراثة، فينتقل السلوك الجانح إليه عن طريق الوراثة. و تعتبر مرحلة ما قبل الميلاد التي تبدأ من حدوث الحمل و تنتهي أساسا لإيجاد أفراد ذوي أخلاق حميدة، أو أخلاق سيّئة، و أساس إنجاب أولاد أصحاء ، أن يكون الأبوان خاليان من العيوب العقلية و الخلقية، لأن الولد كما يرث عن أبويه الخصائص البيولوجية و السيكولوجية فإنه يرث أيضا الخصائص الأخلاقية و السلوكية الحسنة و السيّئة (بختي، 2014: 43)

إن اعتبار الوراثة كعامل من عوامل جنوح الأحداث لا يعني ميلا حتميا إلى ارتكاب الجرائم، بل يعني فقط اتجاها وراثيا ينمي في الفرد خصائص معينة ، لا تقود حتما إلى الإجرام، فإذا توفرت ظروف بيئية معينة، فإنها تدفع الفرد إلى محاولة إشباع رغباته الغريزية فورا. فيقوى احتمال انحرافه نحو الجريمة .

و بناءا على هذا القول فإن الوراثة تتأثر بالبيئة و تتفاعل معها ، فقد تضعف عوامل البيئة الاجتماعية تأثير العوامل الوراثية أو تقويها و تدعمها (جعفر، 1996: 34)

- العوامل العقلية :

ربط العلماء بين درجة ذكاء الفرد و بين ارتكابه للجريمة ، حيث تبيّن وجود صلة وثيقة بين الضعف العقلي و السلوك الإجرامي، فالضعف العقلي عند المجرمين يدفع بهم إلى ممارسة الرذيلة و الفعل الإجرامي.

وقد دلّت دراسات أجريت في أمريكا بيّنت أن الضعف العقلي هو عامل في ارتكاب الجريمة، حيث وجدت أن 89 بالمائة من المحكوم عليهم في المؤسسات العقابية الأمريكية من ضعاف العقول(كركوش، 2011: 54)

ونشير بالتكوين العقلي الأمراض المتنوعة و الردود المختلفة التي قد تصيب دماغ الإنسان فتحدث اضطرابا في جهازه العقلي واختلالا في قواه الذهنية .فاختلال أعضاء الجسم قد يجر معه اختلالا في السلوك والعاهات التي تصيب الحدث قد تدفعه إلى الإحساس بالنقص، هذا الشعور الذي قد يتحول إلى نبذ للمجتمع، كل هذا يدفعه إلى تصرفات غير متوافقة ويكون النقص في التكوين العضوي نتيجة لاضطرابات في النمو أو لعاهات ونقائص جسمية مختلفة، فالتكوين العضوي يتداخل مع التكوين النفسي ويؤثر الكل على التصرف الخارجي الذي يعكس جميع جوانب الشخصية .

وقد ميّز العلماء بين النقص العقلي الذي هو اختلال القدرات العقلية الناشئة عن سوء التكوين الخلقي و بين الضعف العقلي الذي هو النقص في نسبة الذكاء، و يؤدي إلى عدم القدرة على التكيّف و التوافق الاجتماعي. و كل من النقص العقلي و الضعف العقلي يؤديان إلى عدم القدرة على التمييز بين السلوك السوي و المنحرف و كثيرا ما يتم استخدام ضعاف العقول من طرف كبارا لمجرمين و عصابات الإجرام في تنفيذ أعمال إجرامية (بختي ، 2014: 88)

وقد اختلف الآراء حول أهمية دور العوامل دور العوامل العضوية فسوترلاند Sutherland يؤكد بأنه ليس هناك اختلاف أساسي في التكوين العضوي والبيولوجي بين الأحداث المنحرفين والأحداث الأسوياء، غير أنه يرى أن هناك بعض الحالات يكون فيها التكوين الجسدي والبيولوجي دور رئيسي في دفع الأحداث إلى ارتكاب الجرائم.

ويرى Burt أن 70% من الأحداث موضوع دراسته كانوا يشكون بشكل أو بآخر من بعض الأمراض الجسدية والضعف الجسدي، وأن 50 %منهم كانوا بحاجة ماسة إلى علاج طبي، وأن 17% منهم نشأت انحرافاتهم بصورة رئيسية نتيجة أمراض وعلل جسدية (جعفر، 1996، ص 38). و يؤثر التكوين العضوي على إجرام

الأحداث، حيث قد تؤدي الأمراض العضوية إلى خلل نفسي يقود بدوره إلى تصرفات شاذة ومخالفة للقانون والعادات السائدة في المجتمع .كما قد تؤدي هذه الأمراض والعلل إلى إيجاد بعض العراقيل والصعوبات التي تواجه الحدث أحيانا، فتدفعه إلى ردود فعل عنيفة وارتكاب أفعال إجرامية.

- العلاقة بين صحة عقل الحدث و صحة عقل أسرته :

هناك نظرية وراثية يؤمن أصحابها بأن الصفات الأخلاقية و الاتجاهات الاجتماعية و الميل نحو الجنوح أو الجريمة هي أمر مكتسب،أي أن المجرم يرث الإجرام عن والديه و أسلافه. و نشرت منظمة الصحة العالمية بحثا جيء فيه: " إن اختلال الصحة العقلية لأحد أفراد الأسرة من شأنه أم يؤثر حتما في مظاهر النشاط العقلي لباقي هؤلاء الأفراد".

و قد قام (دجيل Dugdale) بإجراء دراسة على عائلة (جوكس The Jukes) فدرس سبعة أجيال من هذه الأسرة ، و استخلص من أبحاثه أن 280 فردا من هذه العائلة أودعوا المؤسسات الإصلاحية، و 140 منهم اتهموا بجرائم بسيطة، و 60 فردا اتهموا بجريمة السرقة، و 50 منهم أصيبوا بأمراض سرية بسبب انحرافهم ، و 07 منهم اتهموا بجرائم القتل و 30 اتهموا بقضايا أخرى (بختي ، 2014: 89)

- أثر النقص العقلي في السلوك :

هناك آراء كثيرة تأكد أن التكوين العقلي يؤثر على شخصية الحدث و في تحديد تصرفاته، و قد يكون الضعف العقلي تربة خصبة للانحراف المبكر، و أن ضعيف العقل يسهل التأثير فيه أكثر من غيره الأسوياء العاديين، كما أن ناقص العقول يتميّزون بضعف الإرادة و قبول الإستهراء ، لأن ضعاف العقل عقولهم يسهّل للغير إغرائهم و التأثير فيهم لاستخدامهم في تنفيذ مآربهم و من هنا ينشأ خطرهم في المجتمع(بختي ، 2014: 90)

فالنقص العقلي لدى الأحداث يمنعهم من ضبط نفوسهم، و تقدير النتائج المترتبة عن أفعالهم ، و هذا إذا ما يمكن أن يسوقهم إلى الجنوح و الجريمة .

و لئلا يصاب الحدث بالنقص العقلي ،ثم يجنح ، أو يرتكب جرائم فإن الأمر يقتضي حماية عقله منذ تكوّنه في بطن أمه عن طريق وقايته من الأمراض الوراثية التي تؤثر في العقل، و يؤدي تأثيره إلى عدم ضبط النفس ، و خاصة إذا صاحبه ميل إجرامي سابق ، و قد أثبتت الإحصائيات أنه يؤثر في عقل و طباع الفرد فيصيبها بالضعف، و يؤجج الدوافع الإجرامية(بختي، 2014: 91)

العوامل النفسية :

يعد التكوين النفسي مجموعة من العوامل الداخلية وتمثل شخصية الحدث، و المرض النفسي هو اضطراب باد في تفكير المرء وشعوره وأعماله يكون من الخطورة بدرجة تحول بين المرء والقيام بوظيفته في المجتمع بطريقة سوية. و الشخصية الإنسانية وحدة متكاملة تتكوّن من عوامل عضوية و غريزية و نفسية ، فكل جانب من الجوانب يؤثر الجانب الآخر، و تحت تأثير العوامل البيئية يعمل الشخص جاهدا على تكييف طباعه و سلوكه مع المجتمع الذي يعيش فيه ، و قد يحدث العكس فلا ينجح الفرد في التجارب مع مجتمعه، فينتج عن ذلك عدم احترام النظم و القوانين السارية في المجتمع، عندما يستجيب للعوامل النفسية التي تدفعه لتحقيق رغباته ، و هو ما يؤدي في النهاية إلى أن يصير جانحا ذا سلوك إجرامي.

- الأمراض النفسية و أثرها على الجنوح :

الإنسان وحدة نفسية جسدية، فإذا تعرض للأمراض و الاضطرابات النفسية، أصيبت المناطق و الأعضاء التي يتحكم فيها الجهاز العصبي الذاتي. و الظاهر أن الاضطرابات النفسية توجد في البيئة التي يعيش فيها الصراع و التنافس و القلق و الخوف، و عدم الشعور بالأمن و الحرمان حيث يجد الحدث نفسه عاجزا عن مواجهة أمور الحياة حتى البسيطة منها.

هناك أيضا: الهستريا، النورستانيا، وأيضا السيكوباتية، وتنتج نتيجة نشأة الحدث في بيئة لا يجد فيها العطف والشفقة اللازمين للتنشئة النفسية، ويتصف الشخص السيكوباتي عادة بعجزه عن ضبط غرائزه وعدم تلاؤم شخصيته مع القيم الاجتماعية، واتصافه بالأنانية المفرطة، وعدم قدرته على التكيف الوظيفي، كل هذا يدفعه إلى ارتكاب الجرائم تحت تأثيرها في شخصيته من تكوين شاذ وغير مألوف.

و من أعراض الاضطرابات النفسية كذلك عدم الاستقرار، و الشعور بعدم الراحة النفسية و الحساسية المفرطة و الإحساس الدائم بتوقع الهزيمة و العجز و الارتياب في الناس كل هذه الأعراض تؤثر على التوافق الاجتماعي و الأسري و المهني للفرد .

و الأمراض العضوية تسبب في إحداث الخلل النفسي الذي قد يؤدي بالحدث إلى الجنوح المتمثل في التصرفات الشاذة و مخالفة للقوانين و العادات السائدة في المجتمع.كما تؤدي إلى ارتكاب أفعال إجرامية و إلى ردود أفعال عنيفة .

- التحليل النفسي و جنوح الأحداث :

طريقة التحليل النفسي هي الطريقة الشائعة التي تتبع لكشف القوى الكامنة التي أدت إلى اعوجاج الشخصية و يرى النفسانيون أن السلوك المنحرف ليس إلا التعبير المادي الذي تتخذه هذه القوى في النهاية، و أن التحليل النفسي من شأنه أن يرجع بالأعراض السلوكية المختلفة إلى جذورها الكامنة في أعماق النفس فيكشف بذلك أسباب عدم التوافق الاجتماعي(كركوش، 2011: 28)

كما تهتم طريقة التحليل النفسي من الوجهة العلمية بمظاهر الانحراف و أعراضه أكثر مما تعني بالمؤثرات و الدوافع القوية التي كان لها أكبر الأثر في اعوجاج الشخصية و لا تعني في هذا الصدد بقياس العوامل أو تحليلها أو تتبعها لإرجاعها إلى أصولها الأولى (كركوش ، 2011: 29)

يذهب الكثير من العلماء والباحثين وخاصة المختصين في علم النفس الجنائي إلى القول أن الصلة جد وثيقة بين الأمراض النفسية و الجريمة أو الانحراف، حيث أن المريض نفسيا يرتكب الجريمة تحت تأثير تركيب نفسي لاشعوري حاد، يسبب له قلقا وتوترا شديدين، يحاول المريض التخفيف منهما عن طريق ارتكاب جريمة، و إذا ما لم يتم معالجة القلق و التوتر الذي يشعر به المجرم أو المنحرف و تم الاهتمام إلا على تطبيق العقوبة المسلطة عليه فإن الجانح أو المجرم المريض نفسيا سيعود للجريمة ما دامت مشكلته النفسية قائمة لدى يجب إبقاء هذا المريض تحت إشراف طبيب أو محلل نفسي و الاهتمام بمعاناته النفسية .

- العوامل البيئية الخاصة بالحدث الجانح :

تؤثر الظروف و العوامل المحيطة بالحدث في سلوكياته و تصرفاته، فالبيئة التي يعيش فيها الفرد تعمل على نقل الأفكار والمعاني المختلفة لظواهر الحياة فتؤثر في طريقة تفكيره و في فهمه لأمور الحياة، فجنوح الأحداث غالبا ما يكون نتائج البيئة السيئة التي يعيش فيها ، باعتبار أن الفساد الذي يعيش و ينشأ فيه الحدث سواء في أسرته أو مدرسته أو الرفاق و غيرها من العوامل الاجتماعية يؤثر على قيمه السلوكية.

1- الأسرة :

من المؤكد أن الأسرة هي البيئة الأولى التي يتعلّم فيها الطفل أنماط السلوك، و التعود على ممارسة العادات و الآداب الاجتماعية و هي التي تغرس فيه الأنماط السلوكية المقبولة، و تعاونه على التكيّف السوي مع أفراد المجتمع و تكوينه السلوك الصحيح. فالأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى المسئولة عن تطوير شخصية الطفل من النواحي الجسمانية والاجتماعية والنفسية والعقلية والوجدانية...الخ. فهي الجماعة الإنسانية الأولى التي يحتك بها الطفل و هي بهذا مسئولة عن لإكسابه أنماط السلوك الاجتماعي وكثيرا من مظاهر التوافق وسوء التوافق كما

تغرس فيه خلال سنوات طفولته ردود أفعال اتجاه القيم و المعايير(و سيتم التفصيل في دور الأسرة على تكوين الحدث الجانح في العناصر المقبلة).

2- المدرسة :

تعتبر المدرسة أول مجتمع يصادفه الحدث خارج أسرته، و قد يجد نفسه مجردا من الاطمئنان العاطفي الذي تعوّد عليه داخل أسرته في حالة استقرارها كما يصادف سلطة أخرى و أفراد آخرين غير أفراد أسرته و يحس أنه يتعين عليه أن يتقبل هذه السلطة الجديدة و أن يتعامل مع هؤلاء الأفراد الجدد و يتأقلم مع هذا الوسط الجديد.

و على هذا الأساس تكون المدرسة تجربة جديدة للحدث ذات أثر فعّال في سلوكه و بناء شخصيته، فإذا نجحت التجربة و ساير الوسط الاجتماعي الجديد كان ذلك دليلا على تكيّفه الاجتماعي ، أما إذا لم ينجح فقد تكون إيذانا بانحرافه (كركوش ، 2011: 52)

- البيئة المدرسية و جنوح الأحداث :

توفر المدرسة في حياة الطفل تأثيرا كبيرا، حيث يتعلم فيها كيف يتعاون مع غيره من التلاميذ، و كيف يتنافس معهم في حدود الإطار الاجتماعي القائم، كما يتعلم فيها كيف يأخذ، و كيف يعطي و كيف يخدم الجماعة التي يعيش مع أفرادها و يفيد منهم.

و يتأثر الحدث في نموه الاجتماعي بعلاقته بمعلميه و أساتذته الذين يلقنوه المبادئ الأخلاقية و المثل العليا التي تجعله يسلك طريق الفضيلة، و ينأى بنفسه عن الرذيلة ، و يعلمونه كيف يتعامل مع الكبار و الصغار، سواء داخل المؤسسة التعليمية أو خارجية.

يتمثل الفشل في الدراسة مشكلة من أهم المشكلات التي يواجهها الحدث في حياته و التي قد يكون لها تأثير بالغ على سلوكه وتصرفاته، فالفشل في الدراسة سواء نتيجة قصور عقلي أو عدم الانسجام مع البرامج المدرسية أو عدم الرغبة في الدراسة كل هذه تؤثر على شخصية الحدث وإبداء ردود فعل مضادة للمجتمع نتيجة للشعور

بالنقص والقصور عن بقية زملائه,كما لا نستطيع أن نتجاهل ما للصحبة السيئة من اثر واضح على انحراف الأحداث خاصة داخل المدرسة وهو مجال تلتقي فيها نماذج عديدة من التيارات المتنافرة، ويجد الحدث نفسه بينهما ولابد أن يختار بينهما، وهذا انساقا في تيار الجماعة.فغالبا ما يلجأ الأحداث إلى تكوين عصابات داخل المدرسة، تبدو تصرفاتهم غير مشروعة بصورة وأشكال مختلفة، كالهروب والغياب المتكرر ومخالفة النظام، والطبع الرديء وأعمال الشغب والفوضى و هنا يأتي دور النظام المدرسي والذي لابد أن يفرض حدا أدنى من القواعد التي ترجع الحدث إلى الطريق والسلوك السوي.وهذا على أسس التوجيه والإرشاد المبني على العطف ومراعاة صالح التلاميذ وفهم نزعاتهم ودوافعهم الداخلية .فدور المدرسة لا يقتصر على تلقين الحدث العلوم النظرية المختلفة فقط، بل إن دورها يتناول أيضا تلقين الحدث المبادئ الأخلاقية والمثل العليا التي تدفعه إلى التمسك بروح الفضيلة والاندماج في المجتمع الواسع.و ذلك يمكن القول بوجه الإجمال أن العوامل الأساسية للانحراف داخل المدرسة تمكن إما في الفشل بالدراسة أو في الصحبة السيئة لزملائهم داخل هذه البيئة أو في عدم ملائمة النظام التي تتبعه المدرسة في تربية أبنائها وتهذيبهم (جعفر ، 1996، ص 72)

و كان لوبلان و فريشات(Leblanc et Fréchette , 1989) قد اقترحا نموذجا تفسيريا لانحراف الأحداث يحتوي على خمسة (05) أصناف أساسية للمتغيرات المدرسية و هي : الشروط البنيوية (تربية الوالدين و مستوى تعليمهم) الكفاءات (التأخر المدرسي ، النتائج ، التحصيل)، العلاقات بالمدرسة (التعلّق بالأستاذ ، الالتزام المدرسي...) ، السلوك في الوسط المدرسي و العقوبات المفروضة في هذا الوسط . و قد لأظهرت التحاليل أن العنصرين الأخيرين لهما ارتباط مباشر بالسلوك الإنحراف.

و على هذا الأساس ، فقد تكون المدرسة نافذة يتسلل منها الجنوح ، كما أن طبيعة النشاطات و الفعاليات التي تقدمها المدرسة هي التي تكشف كراهية الطفل للمدرسة ، و الهروب منها يشكّل المناخ المناسب لنمو السلوكيات

الجانحة أو تجسيدها و تطويرها فيما بعد ، فالطفل خارج المدرسة يكون بعيدا عن كل حماية أو رقابة و غالبا ما يفر إلى جماعات جانحة و يقلّد أساليبها السلوكية المنحرفة (كركوش ، 2011، 52)

كذلك لا يمكن إغفال الدور البارز الذي تلعبه المدرسة في حياة الحدث، فلن يتمثل ذلك في الوقاية من الجنوح و لا في علاجه و تقويمه إذا جنح فحسب بل يتمثل ذلك في كونها قد تصير قوة سببية يمكن أن تنمي فيه نواحي السلوك غير المتوافق و من تم تتسبب في جنوحه. و فضلا عن هذا الدور الهام فإن في المدرسة يتعلّم الحدث العلم ، و يتوسع أكثر في التحصيل و هذه العلوم و المعارف التي يكتسبها فيها ينبغي أن تلعب دورا إيجابيا في بناء شخصيته، و إرساء قواعد سلوكية راسخة لا تفارقه ، مما يمكنه من الاستفادة منها مستقبلا في مجال العلاقات الإنسانية و التوافق الاجتماعي،و في معلمة الغير (بختي، 2014 : 138)

3- جماعة الرفاق :

يختار الإنسان أصدقاءه و من يعاشرهم من زملائهم في المدرسة أو العمل أو من جيران الحي الذي يقيم فيه و من الطبيعي أن يكون للحدث أصدقاء من بين هؤلاء يرتبط بهم عاطفيا و يأنس لهم و يشاركهم انفعالاتهم و وجدانياتهم .

تعد الجماعة مؤسسة من المؤسسات الرئيسية التي ينشأ فيها الطفل اجتماعيا و تعرف هذه الجماعة بالتقارب في الميولات و الأهداف و القيم حيث يكون للأقران دور هام في حياة الصغر فأحدهم يعلّم الآخر بعض السلوكيات في المواقف الاجتماعية المختلفة ، فالطفل يميل إلى ما يقوم به أقرانه من سلوكيات فقد يكون في بعض الحالات هذا التأثير تأثيرا سلبيا في عدم وجود رقابة أسرية ، إضافة إلى بيئة منحرفة تتحول هذه الجماعة من جماعة رفاق اللعب الساذجة إلى عصبة جانحة تقوم على أساس المغامرة، و تحدي السلطة و الاستخفاف بالقيم السائدة .

و تدل الوقائع على أن الحدث غالبا ما يختار أصحابه بنفسه، ممن ينسجم معهم، نتيجة الاتفاق في الأفكار و القيم و الاستعدادات و الميول، فيقضي معهم وقتا أطول من الوقت الذي يقضيه مع غيرهم من الأفراد الآخرين.

هذه المعاشرة الطويلة و المخالطة المستمرة، تمنح جماعة الأصحاب إمكانية التأثير المتبادل و تنمية الاستعدادات المعينة و تثير فيهم ميولا قد لا تكون موجودة فيهم من قبل (بختي ، 2014: 150) و من هنا يحدث تأثير الأصحاب في بعضهم البعض نفسيا و فكريا و مزاجيا و سلوكيا .... و قد أثبتت الدراسات أن الشخص كثيرا ما يتأثر في سلوكه و تصرفاته و معاملاته الاجتماعية بأصحابه و أصدقائه أكثر ممّا يتأثر بغيرهم.

يجد الطفل في مساره المدرسي نفسه محاطا بنماذج عديدة و مختلفة من الأطفال المختلفي السلوك و العادات و الميول ، فيقوم الطفل باختيار أصدقائه و يقوم بتقليد سلوكهم و ينساق معهم في تيار الجنوح الذي قد يجرفه في نهاية المطاف إلى الفعل الإجرامي إذا ما سار على نهجهم .

يبين الانتماء إلى الجماعة هو مسالة تعلّق، تحديد الهوية و حتى حماية لدى الشباب ، فالدخول في الجماعة لا يكون فقط في الكثير من الأحيان في جو من الإغواء séduction و التواطؤ connivence، و لكن أيضا العديد من الشباب يتحدثون عن تجربتهم مع هذه الجماعات كقصة حب حقيقية، فالأسوأ بالنسبة للشباب يبقى في إعادة بناء حياة جديدة في حين أنهم يشعرون بالفراغ و التخلي عنهم نحو انحراف و جودهم. ظاهرة الجماعة (المنحرفة) تتعلّق بمشكل آخر جد مهم كذلك ، هو أن الشباب يكتشفون في الجماعة وسيلة في تلبية احتياجاتهم الأساسية (الحماية ، الانتماء ، الاعتراف و التقدير) و هي وسيلة التي لم يجدونها في بيئتهم (الأسرة ، المدرسة ، ....الخ) (Hamel , Cousineau , Fredette ,2004,p 59)

و تبيّن من بحث أجراه (برت) وجود 18 بالمائة من الحالات التي درسها أن للصحبة السيئة الأثر الأكبر في الجنوح، بينما يرى (هيلي) أن 34 بالمائة من الحالات المدروسة كان للصحبة السيئة الأثر البارز في السلوك الجانح (جعفر، 1996: 74-75)

و في دراسة أجراها الدكتور علي مانع من الجزائر ، تبين له أن الجانحين الذي درس أحوالهم، كان لهم إخوة أو أصدقاء جانحون، تجمع بينهم المنطقة السكنية التي تتوفر على أجواء إجرامية، التي كانت عاملا مسهلا للسقوط في الجنوح، كما اتضح له من دراسته أن 70 بالمائة من الجانحين ارتكبوا جرائمهم بصحبة واحد أو أكثر من أصدقائهم. كما أظهرت له الدراسة أن الجانحين الحضريين يرتكبون الجرائم برفقة مجموعة من الأصحاب.

إذن رفاق السوء "ورفاق اللهو المنحرفون يلعبون دورا إيجابيا في دفع الفرد إلى السلوك الانحراف أو الإجرامي، و أن المنحرفين والمجرمين عادة يمضون فراغهم مع رفاق منحرفين ومجرمين يشاركونهم قيمهم واتجاهاتهم المعادية للمجتمع.

كذلك يجب الذكر أيضا بأن عدم انحراف الحدث لا يعني عدم وجود اتصالات أو علاقات خفيفة بأحد من الأحداث المنحرفين، بل قد يعني ذلك بأنه لم يتخذ من هؤلاء المنحرفين أصدقاء أساسين، وبالتالي لم تكن الصلة بهم كبيرة وتكفي لاندماجه بهم وتأثيرهم فيه، ومن هنا يتبين بأنه كلما كانت العلاقات قوية ومتينة، كلما كانت مؤثرة بشكل مباشر في الطرف الآخر وبشكل قوي، وعلى العكس من ذلك كلما كانت العلاقة خفيفة وعرضية كلما كان التأثير خفيفاً وبسيطاً وغير مؤثر أحيانا .

4- وسائل الإعلام :

يعرف على الإعلام أو الاتصال على أنه عملية يقوم بها الشخص في ظرف ما ينقل رسائل ما، تحمل المعلومات أو الآراء أو الاتجاهات أو المشاعر لهدف عن طريق الرموز.

و من المعلوم أن أغلب وسائل الإعلام تهدف إلى التأثير في الأشخاص ليقوموا بعمل معين ، أو يشعروا بمشاعر معينة ، كما تعمل على توجيههم وجهة مطلوبة و تسعى إلى تهيئتهم و تحريكهم و استقطابهم حول فكرة معينة بما ترسله من قيم و أفكار و حقائق ، و ما تقدمه من معلومات و مضامين مقصودة ، تهدف إلى التعبئة و التجنيد و دعم المواقف و الاتجاهات الخاصة (عبده ،2004: 31)

- أثر الإعلام في نشر الجنوح :

ما تزال وسائل الإعلام تساهم بشكل كبير في تربية الأطفال فبحكم طبيعتها و طريقة عرضها تعتبر من المثيرات الحسية و العقلية و الانفعالية على نفسية الأطفال و على نفسية الحدث و على سلوكه.

و يجدر القول أن المختصين النفسانيين و الاجتماعيين يؤكدون على مدى أهمية هذه الوسائل قانونيا و ثقافيا مع الرقابة التامة حتى تستغل أحسن استغلال ممكن لفائدة الكبار و الصغار معا. فانعدام الرقابة لهذه الوسائل قد أدى إلى ظهور العديد من المشاكل السلوكية لدى الأفراد.

إن مشاهدة العدوان و العنف الذي تظهر في القصص و التي يعرضها التلفزيون و كذا الأفلام السينمائية و التي تبين من خلال دراسات لعلماء النفس أنها تبقى تشغل بال الحدث لمدة طويلة بعد انتهاء العرض و يحاولون تقليد بعض أبطال هذه الروايات. و قد بينت التجارب التي قام بها (باندورا) و آخرون أن الأولاد الذين شاهدوا أفلاما تمثل نماذج عدوانية ، أظهروا من الاستجابات العدوانية أكثر بكثير مما أظهره الأطفال الذين لم يشاهدوا هذه الأفلام، و هذا ما تنص عليه نظرية النمذجة حيث أن الطفل يتعلم السلوك المنحرف عن طريق النمذجة فهو ينمذج سلوكه على أساس ما يشاهده و ما يسمعه و ما يقرأه من وسائل الإعلام خاصة التلفزة و السينما و الفيديو و يقلد الشخص الذي يشبهه أو الأقرب إليه .

كذلك المراهق الذي تتفتح أحاسيسه الجنسية عبر الأفلام الإباحية يستسهل الأمور ليس فقط في التوصل إلى اللذة ، بل أيضا في استهاناته بالقيم الروحية و الأخلاقية و قد يصل إلى درك الاعتداء على الآخرين و اغتصاب حقوقهم لتحقيق الرغبات التي نشأ على مشاهدتها (كركوش، 2011: 38)

و من هنا كما أشارت إليه " فتيحة كركوش " فإن وسائل الإعلام بكل أنواعها، تلعب دورا مهما في اكتساب الطفل و المراهق السلوك العدواني و المنحرف بأن تقدم نماذج عن أبطال لصوص أو عن أبطال يتاجرون في المخدرات، دون أن تهتم بأثر هذه البطولات على نفسية الطفل و المراهق الذي يسعى إلى تقليد ما يشاهده.

الفصل الخامس: الجانح و مراكز إعادة التربية

تمهيد

1- ظاهرة انحراف الأحداث في التشريع الجزائري

2- كيفية التحقيق مع الحدث الجانح و التدابير المتخذة بشأنه

3- الإجراءات المتخذة في شأن الحدث الجانح المدان

4- مراكز و مؤسسات الأحداث الجانحين

تمهيد :

أخذ الجانح مكانة كبيرة في اهتمامات التشريع الجزائري فأعتبر الجانح فردا غير متكيّف يحتاج إلى الوقوف أمامه و مساعدته و العمل على تسهيل عملية إعادة تربيته و إعادة إدماجه إدماجا اجتماعيا و فيما بعد إدماجا مهنيا.

و قد صدر في الجزائر أول أمر يتعلّق بالأحداث و بالطفولة بصفة عامة يوم 14 ماس 1964 و كان يحمل رقم 64-92، حيث أجريت بمقتضاه بعض التعديلات و الإضافات و ذلك تماشيا مع الظروف الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية المستجدة أنداك.

1- ظاهرة انحراف الأحداث في التشريع الجزائري :

وضعية الحدث في التشريع أعطته الكثير من الامتيازات إذ اعتبرته حدثا غير متكيّف يجب مساعدته و توجيهه لتسهيل عملية إعادة تربيته و إعادة إدماجه اجتماعيا و مهنيا فيما بعد، و يتضّح ذلك بصفة جلية من خلال استعراض التشريعات الخاصة بالأحداث و بكيفية تعاملها مع الحدث ذكرا أو أنثى دون تمييز.

المشرع الجزائري كغيره من المشرعين عالج حالة الأحداث المنحرفين في نصوص خاصة بدأت تظهر للوجود بعد الاستقلال، حيث أصدر قانون الإجراءات الجنائية الجزائرية سنة 1966، ثم قانون العقوبات الجزائري الذي لم يتضمن قانونا خاصا بالأحداث كما فعلت أغلبية الدول و إنما اكتفى بتشريع مواد اعتبرتها تدابير وقائية.

- حالات الخطر المعنوي :

في حالة عدم ارتكاب الحدث أية جنحة أو جريمة أو يكون ضحية لها فإن تواجد في بعض الأوضاع يجعله عرضة لخطر الانحراف و الإجرام الأمر الذي يستدعي حمايته .

قرر المشرع هذه الحماية للقصر الذين لم يبلغوا من العمر 21 سنة بموجب المادة 01 من الأمر 03/72 المؤرخ في 10 فيفري 1972 المتعلق بحماية الفرض أن تنظر في قضية الحدث إذا كان في وضع يهدد بالخطر صحته أو

أخلاقه و تربيته أو كان وضع حياته و سلوكه يهدد بخطر الإجرام، و تأتي هذه الخطوة مسايرة لمبادئ للدفاع الاجتماعي التي تفرض التحرك لتفادي قبل وقوعه.

- حالات الخطر المادي :

لحماية الحدث من خطر الجنوح و الانحراف الذي يهدد أخلاقه و تربيته في مثل الحالات السابقة أجاز الأمر المتعلق بحماية الطفولة و المراهقة سالف الذكر لقاضي الأحداث بمكان إقامة الحدث أو بمكان الذي وجد فيه، أن ينذر في العريضة التي ترفع إليه عن حالة الحدث و يفتح بشأنها دعوى يتحقق من حالة الحدث عن طريق الفحوص الطبية، النفسية و الاجتماعية، ترفع عريضة الدعوى لقاضي الأحداث من طرف ولي الحدث أو وصيته أو حاضنه و كذلك وكيل الجمهورية أو رئيس المجلس الشعبي البلدي، و يستدعي قاضي الأحداث ولي الحدث أو وصيه لحضور جلسات الدعوى ليستمع إليهم و يسجل أرائهم، جعل وضعية الحدث و ظروفه فإذا اجتمعت عناصر التقدير الكافي لدى القاضي اتخذ ما يراه مناسبا لحالة الحدث.

و له في هذا الإطار أي يصرف النظر عن قضيته أو أن يأمر بواحد من التدابير التالية:

- الأمر بالحراسة المؤقتة على القاصر في الوسط الذي يكون فيه بإشراف مصالح المراقبة و التربية في الوسط المفتوح.
- إلحاق القاصر مؤقتا:

أ- مراكز الحماية للطفولة و المراهقة: مهمتها التربية و التكوين و العلاج (في حالة ارتكاب جنحة بسيطة).

ب- مراكز إعادة التربية للمراهقة: و التي تقوم بتقويم و تعديل السلوك و في نفس الوقت الوقاية(في حالة ارتكاب فعل جنائي).

2- كيفية التحقيق مع الحدث الجانح والتدابير المتخذة بشأنه

حرصا على مصلحة الحدث قد أوجب قانون الإجراءات الجزائية على قاضي التحقيق تعيين محام له في الجنايات والجنح وألزمه بأن يبلغ ولي الحدث أو الشّخص المسلّم إليه وجوب تعيين محام للحدث وإذا تعذر ذلك تولى قاضي التحقيق هذا التّعيين، مؤدى هذا أن عدم تعيين محام للحدث في الجنايات والجنح يؤدي إلى بطلان التحقيق الابتدائي والمحاكمة وهو بطلان يتعلق بالنّظام العام لمساسه بحق الدفاع.

و يعد البحث الاجتماعي إجراء ضروري أثناء التحقيق مع الحدث و هو إجراء يقوم به قاضي التحقيق للوصول إلى الحقيقة ويستطيع أن يعهد بإجراء البحث الاجتماعي إلى أخصائيين أو أعوان اجتماعيين أو مربين كمصلحة الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح "**S.O.E.M.O** ".

الهدف من البحث الاجتماعي يعتبر العمل التّمهيدي للإجراء الذي سوف يتخذه القاضي في مواجهة الحدث وللتعرف على شخصيته وتقرير الوسائل الكفيلة لتهذيبه، وتحقيقا لهذا الغرض يقوم القاضي بجمع المعلومات عن الحالة المادية والأدبية للأسرة التي يعيش في وسطها وعن سلوك الحدث وسوابقه ومواظبته في الدراسة وعن الظروف التي عاش و نشأ أو تربى فيها، كما يأمر القاضي بإجراء فحص طبي أو نفساني إن لزم الأمر ذلك.

ويجوز لقاضي الأحداث أن يعهد بإجراء البحث الاجتماعي إلى المصالح الاجتماعية كمصلحة الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح أو إلى أشخاص حائزين على شهادة الخدمة الاجتماعية المؤهلين لهذا الغرض وهو ما جاءت به المادة 454 الفقرة الثالثة من قانون الإجراءات الجزائية.

وقد استقر الرأي أن دراسة شخصية الحدث المتهم لا تستهدف البحث عن الإدانة وإنما يهدف إلى حماية المتهم (عثمان ، 2002 : 453)

إن التدابير المقررة للأحداث الجانحين في جوهرها تعتبر تدابير تربوية وقد تقررت وبما يتناسب مع عملية إصلاح الحدث بعيدة عن فكرة الألم الكامنة في العقوبة والمخصصة للبالغين (سمير عالية - قانون العقوبات — القسم العام- ص 182-183) وحسب الدراسات فإن اللجوء إلى هذه التدابير في سن مبكرة يكون أجدى لإصلاح الأحداث الجانحين وهذا قبل أن يعتادوا الإجرام خاصة وأنهم ضحية ظروف متعددة كان المجتمع تربتها الخصبة فكان من مصلحتهم فرض الإجراءات والتدابير لحمايتهم وتأهيلهم وإبعادهم عن العوامل السيئة التي قد تدفعهم للانحراف باعتباره يتحمل قسطا من المسؤولية التقصيرية في معالجتهم وتربيتهم (جعفر 1996)

وتتمثل هذه التّدابير والّتي جاءت بها أحكام المادة 455 من قانون الإجراءات الجزائيّة في :

- **أولا**:تسليمه إلى والديه أو وصيه أو الشخص الذي يتولى حضانته أو إلى شخص جدير بالثقة.
- **ثانياً** : تسليمه إلى مركز إيواء.
- **ثالثاً** : تسليمه إلى قسم إيواء منظمة لهذا الغرض سواء أكانت عامة أو خاصة.
- **رابعاً**: تسليمه إلى مصلحة الخدمة الاجتماعية المنوط بها معاونة الطفولة أو بمؤسسة استشفائية (ملجأ).
- **خامساً**: تسليمه إلى مؤسسة أو منظمة تهذيبية أو للتكوين المهني أو للعلاج تابعة للدولة أو لإدارة عامة مؤهلة لهذا الغرض أو مؤسسة خاصة معتمدة.
- **سادساً**: وضعه مؤقتا في مركز ملاحظة معتمد إذا رأى قاضي الأحداث أن حالة الحدث الجثمانيّة والنفسانية تستدعي فحصا عميقا.
- **سابعاً**: مباشرة الحراسة المؤقّتة تحت نظام الإفراج تحت المراقبة ويكون تدبير الحراسة قابلاً للإلغاء دائماً.

ما يجدر ملاحظته هو أن لقاضي الأحداث سلطة مراجعة تدبيره في أي وقت ولكن يطلب منه السّبب في مراجعة التدبير إذا كان الإجراء المتخذ أصعب مثلاً كنزعه من العائلة ووضعه في الحبس.

1/2- تشكيل قسم الأحداث :

أ- تشكيل قسم الأحداث في حالة الحدث الجانح :

كل أقسام الأحداث سواء الكائنة بالمحاكم العادية أو الكائنة بمحاكم مقار المجالس القضائية تشترك في تشكيلة واحدة حيث تنص المادة (445 من ق.إ. ج) على انه:"يشكل قسم الأحداث من قاضي الأحداث رئيسا و من قاضيين محلفين " يعين المحلفون الأصليون و الإحتياطيون لمدة ثلاثة أعوام بقرار من وزير العدل و يختارون من بين الأشخاص من كلا الجنسين يبلغ عمرهم أكثر من ثلاثين عاما، جنسيتهم جزائرية و متميزين بإهتماهم بشؤون الأحداث و بتخصيصهم و درايتهم بها.

و عن تشكيل غرف الأحداث على مستوى المجالس القضائية المشار إليها في المادة (472 من ق .إ. ج) و هذه الأخيرة التي تنص على أنه " يعهد إلى مستشار أو أكثر من أعضاء المجلس القضائي بمهام المستشارين المندوبين لحماية الأحداث و ذلك بقرار من وزير العدل.

و بذلك يكون المشرع قد أصبغ على القاضي تسمية اجتماعية بحتة أرادها من أجل رفع أي لبس بين اختصاص القاضي في تسليط عقوبة معينة و بين المستشار المندوب لحماية الأحداث و الذي يخوّل له أيضا جميع الصلاحيات المنوط بقاضي الأحداث لاسيما المواد (456 ، 455 من ق .إ .ج) (شعبان ، 1996 : 162)

ب- تشكيل قسم الأحداث في حالة الحدث في خطر معنوي :

المشرع الجزائري و على خلاف بعض التشريعات فإنه ميّز بين الحدث الجانح و الحدث في خطر معنوي أو ما عبّرت عنه بعض التشريعات العربية منها و الأوروبية بالحدث في خطورة اجتماعية و جعل لكل صنف نصوص قانونية و أحكام خاصة به.

للتمييز بين الحدث الجانح و الحدث في خطر معنوي طبقا للتشريع الجزائري نقول بأنه يطبّق على الأول قانون الإجراءات الجزائية و على الثاني الأمر رقم (72-03) المتعلق بحماية الطفولة و المراهقة و نتيجة لهذا الاختلاف

بين الحالتين من حيث النصوص القانونية المطبقة عليهما، فإنه بالضرورة تكون تشكيلة الجبهة القضائية التي تنظر في أمر الحدث الجانح أو المنحرف و بذلك فإن الأمر (72-03) السالف الذكر في مادته (2/9) أشار على أن قاضي الأحداث بنظر في قضايا الأحداث الذين هم في خطر معنوي في غرفة المشورة داخل مكتبه و دون حضور محلفين و بسرية تامة (قدور ، 2005: 37).

3-الإجراءات المتخذة في شأن الحدث الجانح المدان

بعد أن تنتهي محكمة الأحداث من إجراءات التحقيق النهائي مع الحدث عليها أن تصدر الحكم في القضية إما بالبراءة أو بتوقيع عقوبة أو تدبير من التدابير التي نص عليها القانون، و لا يتوقف دور القاضي بمجرد صدور الحكم بل يمتد إلى مرحلة تنفيذه وذلك بتعديله والإشراف والرقابة على هذا التنفيذ.

1/3- التدابير والعقوبات المقررة للأحداث الجانحين أنواعها وطبيعتها:

تمتاز مرحلة الحداثة بأنها تسمح للقاضي أن يتخذ العقوبة أو التدابير على الحدث وقد يكون هناك حالات لا تنفع معها تطبيق العقوبة المخففة أو التدبير على الحدث أو قد يكون هناك حالات أخرى تجعل من تطبيق التدبير خير وسيلة للإصلاح والعلاج (عثمان ، 2002 : 333)

إن الاتجاه السائد حديثا في مجال إجرام الأحداث هو وقاية الحدث من الانحراف وحمايته لأنه يعتبر في غالب الأحيان ضحية ظروف وعوامل داخلية أو خارجية تضافرت في دفعه إلى الجريمة، لذلك كان من المستحسن استبعاد العقوبة اتجاهه وإحلال التدابير التهذيبية التي ترمي إلى إصلاحه ودمجه في المجتمع سليما.

ومما لا شك فيه أن القواعد القانونية التقليدية أصبحت عاجزة عن معالجة هذه الظاهرة أوالتخفيف من حدتها لذلك كان لابد من منح حرية التصرف للقائمين على شؤون الأحداث لاتخاذ التدابير الملائمة التي تصلح لتقويمهم.

رغم تعدد واختلاف صور وأشكال التدابير المقررة للأحداث فإنها تتفق في مضمونها وجوهرها على أنها تدابير تربوية تهدف إلى علاج الحدث المنحرف وإصلاحه على أساس أنه مريض يستحق العلاج وليس على أساس أنه مجرم يستحق العقاب (جعفر، 1996: 243)

- **أولاً: فيما يخص طبيعة التدابير الإصلاحية:**

يدور الخلاف في أوساط الفقه والاجتهاد المقارن حول طبيعة التدابير الإصلاحية المقررة للأحداث الجانحين هل تعد بمثابة عقوبات أم مجرد تدابير تنتفي عنها الصفة الجزائية.

هناك ثلاثة آراء بهذا الصدد:

الرأي الأول: يذهب إلى القول بأن التدابير التي يواجه بها الحدث الجانح هي بمثابة وسائل تربية وإصلاح وتقويم وليس من قبيل العقوبات فالتدبير هو رد فعل المجتمع الذي لا ينطوي علمعنى الإيلام.

الرأي الثاني: يرى أن التدابير الإصلاحية عقوبات حقيقة لأنها تهدف إلى التأديب والإصلاح وهما هدف مشترك للعقوبات والتدابير على حد سواء.

الرأي الثالث: يرى أن التدابير الإصلاحية كإيداع الحدث في معهد إصلاحي لتقويمه ليست عقوبات وإنما هي من إجراءات التحفظ الإداري (خدار ،1992: 80)

التدبير الإصلاحي يختلف عن العقوبة في الهدف فالعقوبة تهدف إلى تحقيق الردع العام أما التدبير الإصلاحي يهدف إلى إصلاح الحدث وتقويمه ولو أن العقوبة كذلك من أهدافها الإصلاح والتقويم إلا أنها ما زالت تهدف بصورة أساسية إلى إيلام الجاني.

- **ثانيا : أنواع التدابير المتخذة في شأن الحدث الجانح.**

إن معظم التشريعات الحديثة تعتبر الحدث الجانح في مركز ضحية و بالتالي وجب حمايته وعلاجه أفضل من أن يسلط عليه عقابا رادعاً يزيد المسألة تعقيداً وكما قلنا سابقا رغم اختلاف هذه التدابير في صورها وأشكالها إلا أنها تتفق في أهدافها كونها كلها ترمي إلى العلاج والإصلاح لا العقاب.

وبالرجوع للتشريع الجزائري نجد المشرع الجزائري قد نص في المادة 49 من قانون العقوبات على ما يلي: « لا توقع على القاصر الذي لم يكمل الثالثة عشرة إلا تدابير الحماية أو التربية ومع ذلك فإنه في مواد المخالفات لا يكون محلا إلا للتوبيخ ويخضع القاصر الذي يبلغ سنه من 13 إلى 18إما لتدابير الحماية أو التربية أو لعقوبات مخففة».

وبالرجوع لقانون الإجراءات الجزائية نجد أن المشرع عدد التدابير الممكن اتخاذها في حق الحدث بعد ثبوت إدانته و ذلك في نصوص عديدة أولها نص المادة 444 من قانون الإجراءات الجزائية بنصها:

لا يجوز في مواد الجنايات والجنح أن يتخذ ضد الحدث الذي لم يبلغ الثامنة عشر إلا تدابير أو أكثر من تدابير الحماية والتهذيب الآتي بيانها:

1– تسليمه لوالديه أو لشخص جدير بالثقة.

2– تطبيق نظام الإفراج عنه مع وضعه تحت المراقبة.

3– وضعه في منظمة أو مؤسسة عامة أو خاصة معدة للتهذيب أو التكوين المهني مؤهلة لهذا الغرض.

4– وضعه في مؤسسة طبية أوطبية تربوية مؤهلة لذلك .

5– وضعه في مصلحة عمومية مكلفة بالمساعدة .

6- وضعه في مدرسة داخلية صالحة لإيواء الأحداث في سن الدراسة، غير أنه يجوز أن يتخذ كذلك في شأن الحدث الذي تجاوز عمره الثالثة عشر تدبير يرمي إلى وضعه في مؤسسة عامة للتهذيب تحت المراقبة أوللتربية الإصلاحية».

وبالاستناد إلى ما ذكرناه نتناول أنواع التدابير التي قررها المشرع الجزائري للأحداث الجانحين فيما يلي:

- **أولاً**: **التوبيخ**:

إن التوبيخ يتضمن توجيه اللوم إلى الحدث عن فعل أرتكبه في نطاق إرشادي وإصلاحي وبناء على ذلك فإن هذا التدبير يحتوي على توجيه للحدث وكشف عما ينطوي عليه عمله من خطورة يمكن أن تؤدي به إلى الانزلاق في هوة الفساد والجريمة.

وبالتالي فإن اختيار العبارات والطريقة التي يتم بها التوبيخ متروك أمره للقاضي بهدف جعل تأثيره الإيجابي على الحدث ودون أن يكون له الانعكاس السلبي على نفسيته، وغالبا ما يلجأ إليه القاضي إلى إنذار الحدث عن سلوكه السيئ وخاصة في الجرائم البسيطة،كما أن التوبيخ يجب أن يصدر في الجلسة لكي يكون له التأثير المطلوب وهو الأمر الذي يستلزم حضور الحدث،وبالتالي لا يتصور أن يكون هذا التدبير غيابياً.

إن هذا التدبير تأخذ به غالبية التشريعات المعاصرة وخاصة في مجال المخالفات البسيطة والتي يرتكبها الأحداث والمشرع الجزائري لم يقتصر على تقرير التوبيخ كتدبير يواجه المخالفة،وإنما جعله التدبير الوحيد الجائز في المخالفات المرتكبة من قبل القاصر الذي لم يكمل الثالثة عشر وهو ما نصت عليه المادة 49 من قانون العقوبات كما يلي:

« لا توقع على القاصر الذي لم يكمل الثالثة عشرة إلا تدابير الحماية أو التربية.

ومع ذلك فإنه في مواد المخالفات لا يكون محلا إلا للتوبيخ».

نستطيع أن نقول أن التوبيخ ما هو إلا تدبير إصلاحي لا يهدف أبداً إلى إيلام الحدث الجانح بل حمايته ومحاولة إبعاده عن سبيل الانحراف لذا فالموبخ و هو القاضي يجب ألا يكون متسما بالعنف أو تكون عباراته قاسية فتترك أثاراً غائرة في نفسية الحدث تؤدي إلى نتائج غير مرجوة من عملية التقويم والإصلاح (قواسمية،1992: 174)

• **ثانيا: التسليم:**

يعتبر التسليم تدبيرا إصلاحياً فهو يعني إخضاع الحدث لرقابة وإشراف شخص لديه ميل طبيعي أو مصلحة اتجاه تهذيب الحدث، وهدفه إبقاء الحدث المنحرف في محيط أسرته أو تحت رعاية اجتماعية وجعله في بيئة عائلية تكون موضع ثقة من الناحية التربوية.

ويبدو أن التسليم لأول وهلة غير مجد إزاء الحدث الجانح،ولكن هو التدبير الطبيعي والأكثر ملائمة في حالات كثيرة إذ يمنح للحدث فرصة إعادة تكيفه في ظروف طبيعية بعد ثبوت عدم تكيفه مع المجتمع وقد نصت عليه أغلب التشريعات المعاصرة ووضعت له أحكامه (عثمان ، 2000 : 381)

ولقد نص عليه المشرع الجزائري في المادة 444 من قانون الإجراءات الجزائية.

أ- تسليم الحدث إلى والديه أو وصيه:

بالرجوع لنص المادة 444 من قانون الإجراءات الجزائية الفقرة الأولى نصت: « لا يجوز في مواد الجنايات والجنح أن يتخذ ضد الحدث الذي لم يبلغ الثامنة عشرة إلا تدبير أو أكثر من تدابير الحماية والتهذيب الآتي بيانها:

- تسليمه لوالديه أو لشخص جدير بالثقة».

ونجد أن المشرع قد رتب الأشخاص الذين يمكن أن يتسلموا الحدث،بحيث لا يتم التسليم لأحدهم إلا عند عدم صلاحية المتقدمين عليه في هذا الترتيب ويتم التسليم إلى والدي الحدث، ثم إلى من له الولاية أو الوصاية عليه، ثم إلى شخص جدير بالثقة.

ب- تسليم الحدث إلى شخص جدير بالثقة:

نص المشرع الجزائري في المادة 444 الفقرة الأولى من قانون الإجراءات الجزائية على تسليم الحدث لوالديه أو لوصية أو لشخص جدير بالثقة، كما نص على ذلك في المادة 10 من الأمر رقم 03/72 المتعلق بحماية الطفولة والمراهقة.

وقد نص المشرع على هذه الحالة في حالة عدم صلاحية الوالدين أو من له الولاية أو الوصاية على الحدث فإنه يسلم لشخص مؤتمن يتعهد بتربيته وحسن سيره أو إلى أسرة موثوق بها(جعفر1996، : 243) و هذا يعتبر من المبادئ الحديثة في معاملة الحدث المنحرف رغم أن في الواقع من الصعب العثور على الشخص الذي يقبل الالتزام بتربية الطفل الصغير ويرجع نجاح تطبيق هذا النص على مدى ما يظهره الأفراد من عطف على رعاية الصغار و الاهتمام بتهذيبهم.

- **ثالثا: الوضع تحت الإفراج المراقب:**

طبقا لأحكام المادة 462 من قانون الإجراءات الجزائية يمكن للقاضي أن يأمر بوضع الحدث الجانح الذي ثبتت إدانته تحت نظام الحرية المراقبة إما بصفة مؤقتة تحت الاختبار أو أكثر تحدد مدتها وإما بصفة نهائية إلى أن يبلغ سنا لا يجوز أن تتعدى تسع عشرة سنة.

و يجدر بنا القول أن تدبير الوضع تحت نظام الإفراج المراقب الذي تقرر بموجب التشريع الجزائري يعد تدبيرا تربوياً لأنه يضع الحدث في محيطه الطبيعي وهو أسرته فضلا عن توجيهه تربويا و اجتماعيا لاندماجه في المجتمع ،كما يهدف هذا النظام إلى إعادة تأهيل الحدث إنسانيا بفضل مراقبته و الإشراف عليه.

بالنسبة للتشريع الجزائري فإن الوضع تحت نظام الحرية المراقبة يكون تحت إشراف مصلحة المراقبة و التربية في الوسط المفتوح، ويعتبر جهاز إداري معتمد للقيام بخدمات المراقبة الاجتماعية وهو ما نصت عليه المادة 19 الفقرة الأولى من الأمر رقم 64/75 المتضمن إحداث المؤسسات والمصالح المكلفة بحماية الطفولة والمراهقة (الأمر رقم 75-64 مؤرخ في 20 رمضان عام 1395 الموافق 26 سبتمبر 1975 يتضمن إحداث المؤسسات و المصالح المكلفة بحماية الطفولة والمراهقة)

حيث جاء في نص المادة: « تعد مصالح الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح مصالح تابعة للولاية، تأخذ على عاتقها الأحداث الموضوعين تحت نظام الحرية المراقبة، ويكون هؤلاء الأحداث من الشبان الجانحين أو الشبان ذوي الخطر الخلقي أو خطر الاندماج الاجتماعي».

- **رابعاً: الوضع في المؤسسات ومراكز رعاية الطفولة:**

يجمع الرأي الحديث لعلماء النفس و الاجتماع على أن الحدث المنحرف يتأثر بالعادات والتقاليد التي تسود في الوسط الذي يعيش فيه وخاصة الأسرة، فوالديه هما اللذين إما أن يجعلانه صالحاً أو فاسداً،فإذا غابت الرقابة يؤدي ذلك إلى إفساد أخلاقه وبالتالي إلى الإجرام لذلك كان لابد من علاج خارج أسرته ووجدت ما يسمى بالمؤسسات الإصلاحية يكون الهدف منها تنشئة الحدث نشأة صالحة وتعليمه العلوم أو صناعة ملائمة وبالتالي إبعاده عن الوسط الذي أدى إلى فساده.

إذا تبين لقاضي الأحداث أن الحدث الجانح بحاجة إلى رعاية خاصة يأمر بوضعه في المؤسسات و المراكز التي عددتها المادة 444 من قانون الإجراءات الجزائية وهذه المؤسسات والمراكز:

1- منظمة أو مؤسسة عامة أو خاصة معدة للتهذيب أو التكوين المهني مؤهلة لهذا الغرض.

2- مؤسسة طبية أو طبية تربوية مؤهلة لذلك.

3- مصلحة عمومية مكلفة بالمساعدة.

4- مدرسة داخلية صالحة لإيواء الأحداث المجرمين في سن الدراسة.

غير أنه يجوز أن يتخذ كذلك في شأن الحدث الذي يتجاوز عمره الثالثة عشر تدبير يرمي إلى وضعه في مؤسسة عامة للتهذيب تحت المراقبة أو للتربية الإصلاحية.

ما يجدر ملاحظته هو أن هذه المؤسسات والمصالح المذكورة في المادة 444 من قانون الإجراءات الجزائية أخذها المشرع الجزائري من التشريع الفرنسي وأعطاها نفس التسمية ولكن بالرجوع إلى الأمر رقم 64/75 المؤرخ في 26 سبتمبر 1975 المتضمن إحداث المؤسسات والمصالح المكلفة بحماية الطفولة والمراهقة نجده عدد هذه المراكز والمصالح في المادة الثانية منه كما يلي:

1- المراكز التخصصية لإعادة التربية.

2- المراكز التخصصية للحماية.

3- مصالح الحماية والتربية في الوسط المفتوح.

4- المراكز المتعددة الخدمات لوقاية الشبيبة C.S.P .

ملاحظة: مراكز الحماية لاتستقبل إلا الأحداث الذين يقل سنهم عن 14سنة لأنهم بحاجة إلى الحماية، أما الذين سنهم أكثر من 14**سنة** يوضعون في المراكز التخصصية لإعادة التربية C.S.R (عثمان ، 2000 : 412) .القاضي عليه أن يعين في الحكم أو القرار اسم المركز الواجب وضع الحدث فيه ويجب أن يعينه بدقة، وحسب المنشور الوزاري رقم 09 والصادر بتاريخ 1974/06/11 و الذي حدد مدة الوضع في المركز وجعلها لا تتعدى سنتين (منشور وزاري رقم 09 المؤرخ في 1974/06/11. المذكرة الإيضاحية رقم 719 المؤرخة في 1974/06/06 لحماية الأحداث).

وطبقا لما تقدم فهذه المراكز والمصالح التي يحكم القاضي بإيداع الحدث فيها تابعة لوزارة الحماية الاجتماعية ويعتبر هذا التدبير من أهم التدابير التي تتخذ بشأن الحدث المنحرف على أساس أنه يشتمل في جوهره على نظام تقويمي بعيداً عن المؤثرات الاجتماعية الضارة التي قد تحيط بالحدث حيث يتبع هذا الأخير برنامج يومي منظم يهذبه خلقيا، ويكونه في حرفة معينة وتعليمه بهدف تأهيله لحياة اجتماعية شريفة.

كما يلاحظ أن تدبير الإيداع في إحدى المراكز والمصالح الاجتماعية لا يلجأ إليه القاضي إلا إذا لم تكن التدابير الأخرى كافية لإصلاح الحدث وتقويمه.

4- مراكز و مؤسسات الأحداث الجانحين:

تعتبر المراكز الخاصة باستقبال الأحداث، مؤسسات عمومية ذات طابع إداري، تتكفل بالأحداث الذين صدرت في حقهم أوامر و أحكام بالوضع أو الإيداع من قبل الجهات القضائية المختصة منها أقسام الأحداث بالمحاكم أو غرف الأحداث بالمجالس القضائية.

و قد ورثت الجزائر المستقلة عن الاستعمار الفرنسي في الفترة المنحصرة ما بين 1962-1972 بعدد لا يقل عن 13 مؤسسة للتربية المحروسة منها ثمانية 08 تتكفل بمجموع 710 حالة تابعة لوزارة العدل، و خمسة 05 ذات

نظام حر تابعة للكنيسة، ثم تأسست مديرية فرعية لحماية الطفولة و المراهقة تابعة لوزارة الشباب و الرياضة حيث أسندت إليها الإشراف على تلك المؤسسات سنة 1963.

أمّا الفترة ما بين 1982/1972 تحت إشراف نفس الوزارة من مزاياها إصدار منظومة تشريعية و تربوية خاصة بحماية الطفولة و المراهقة و كذا مجموعة القرارات و المناشير التنظيمية. و تعددت التغيرات في هرم الوصاية الإدارية المركزية و المحلية و أصبحت تشرف على هذه المراكز وزارة العمل و الحماية الاجتماعية و هي الفترة ما بين 1997/1982.بعد هذه الفترة أي سنة 1997 و هي تاريخ مديريات النشاط الاجتماعي حيث تتعامل هذه المراكز مع قطاع الصحة العمومية، التكوين المهني، التربية الوطنية، محاكم و قضاة الأحداث، و قد وجد في سنة 1995 على المستوى التراب الوطني 30 مركزا مخصص لإعادة التربية و 42 مصلحة للملاحظة و للتربية في الوسط المفتوح و قدرت حالات الوضع بسبب خطر معنوي ب 54.93 بالمائة من الأعداد الكلية (كركوش، 2011: 130)

1/4- المراكز المخصصة للأحداث الجانحين

ميّز المشرع الجزائري بين المراكز المخصصة لاستقبال الأحداث الجانحين عن تلك المعدة للأحداث الذين هم في خطر معنوي، فجعل بذلك مراكز إعادة التربية و إدماج الأحداث التي كانت تسمى " مراكز إعادة تأهيل الأحداث " و كذا الأجنحة بالمؤسسات العقابية المكلفة باستقبال الأحداث الذين صدرت في حقهم عقوبات سالبة للحرية ، كما خصص المراكز التخصصية لإعادة التربية للأحداث ، الذين صدرت في حقهم تدابير الحماية و التهذيب المنصوص في المادة 444 من ق .إ .ج للأمر 64/75 المتضمن إحداث المؤسسات و المصالح المكلفة بحماية الطفولة و المراهقة ، يمكن معالجة هذه المراكز في النقاط التالية:

أ- مراكز إعادة التربية و إدماج الأحداث.

يشير رفعت النجار (1978) إلى أن حماية الحدث يعتبره المشرع الجزائري هو الأصل، بينما العقوبة هي الاستثناء ، و بذلك لم يجعل التدبير و العقوبة على قدم المساواة ليختار القاضي من بينها ما يراه ملائما لحالة الحدث ، و هذا يعني أن المشرع ينظر إلى الحدث في هذا السن بأمل إصلاحه و تقويمه و بالتالي أولى اهتماما إلى هذا التدبير بوصفه الوسيلة الفعّالة لإعادة تربية الحدث (كركوش، 2011: 130)

تعد المراكز إعادة التربية، مؤسسات داخلية مخصصة لإيواء الأحداث الذين لم يكملوا سن 18سنة من عمرهم بقصد إعادة تربيتهم والذين كانوا موضوع أحد التدابير المنصوص عليها في المادة 444 من الأمر رقم 155/66المؤرخ في 18 صفر عام 1386 الموافق ل:8 يونيو1966 والمعدل والمتمم والمتضمن قانون الإجراءات الجزائية. كما أن هذه المراكز لا تقبل الأحداث المتخلفين بدنيا أو عقلياً.

وتعد المراكز المختصة بإعادة التربية مؤسسة عمومية ذات طابع إداري وشخصية معنوية متمتعة باستقلال مالي حيث تخضع في قيامها بمهامها لأحكام الأمر 64/75 المؤرخ في 26 سبتمبر 1975 والمتضمن إحداث المؤسسات والمصالح المكلفة بحماية الطفولة وذلك بالتعاون القائم بين وزارة الحماية الاجتماعية ولجنة العمل التربوي المنصوص عليها في المادتين17,16 من الأمر رقم 03/72 المتعلق بحماية الطفولة والمراهقة.

وتقوم لجنة العمل التربوي بدراسة تطورات كل حدث موضوع بالمؤسسة واقتراح ما يجب اقتراحه من التدابير التي تخدم مصلحة الحدث الجانح.(مذكرة أحكام محاكمة الحدث).

كما تتمثل المهام الأساسية لهذه المراكز في إعادة تربية الأحداث و إدماجهم بالمجتمع، و ذلك بإعطائهم حسب مستواهم الثقافي تعليما و تكوينا مهنيا، بالإضافة إلى الأنشطة الثقافية و الرياضية و الترفيهية.

و تتم هذه المهمة بواسطة موظفون و الذين يسهرون إضافة إلى ذلك على متابعة تطوير سلوك هؤلاء الأحداث بالمراكز، تحت إشراف مديره هذا الأخير الذي يختار بدوره من بين الموظفين المؤهلين الذين يولون اهتماما بشؤون الأحداث.

و تحدث على مستوى هذه المراكز لجنة للتأديب يرأسها مدير المركز، و المشكلة من رئيس مصلحة الاحتباس و مختص في علم النفس و مساعدة اجتماعية و مربي، طبقا للمادة 122 من القانون رقم 04/05.

كما يوجد أطباء و أخصائيون شبه طبيون ملحقين من وزارة الصحة و ذلك بموجب الاتفاقية المبرمة بين وزارتي الصحة و العدل المؤرخة في 1989/05/03 و منوط بهم فحص الأحداث بمجرد وصولهم إلى المركز، و يكون ذلك بصفة دورية مرة كل شهر،و الهدف هو متابعة الحالة الصحية لهم(بن زيان، 2001: 27)

يشمل التنظيم الداخلي لمراكز إعادة التربية على ثلاث مصالح و هي:

أولا : مصلحة الملاحظة : مهمة هذه المصلحة هي دراسة الحدث لشخصيته و مراقبته و متابعته ، عن طريق الملاحظة المباشرة لسلوكه وتجرى عليه الفحوص الطبية والعقلية والنفسية لأن المركز لا يقبل كل حدث متخلف ويعاني قصورا من الناحية البدنية والعقلية وهو ما جاءت به المادة 8 الفقرة الثانية من الأمر 64/75.

و الإقامة فيها لا يمكن أن تقل عن 03 أشهر و لا يجوز أن تزيد على 06 أشهر وبعد إنتهاء المدة التي يقضيها الحدث في هذه المصلحة يتم تحرير تقرير يتضمن حالة الحدث وتطور سلوكه يرسل لقاضي الأحداث المختص وكذلك إبداء الملاحظات واقتراح التدبير النهائي الذي يتلاءم وشخصية الحدث.

ثانيا : مصلحة إعادة التربية : تقوم هذه الأخيرة بتزويد الحدث بتكوين مدرسي ومهني يتناسب و شخصيته بالإضافة إلى سهرها على تربيته أخلاقيا ، و دينيا وطنيا ، رياضيا ، بغية إعادة إدماجه في الوسط الاجتماعي و

ذلك بإتباع البرامج الرسمية المسطرة من الوزارات المعنيـة. وتعمل المراكز على خلق الجو الملائم لذلك عن طريق وضع الآليات والوسائل الضرورية لذلك مثل وضع مكتبة تقدم فيها حصص إجبارية بصفة دورية وتخصيص معلمين ومكونين لتقديم الدروس لهم بالإضافة إلى تحفيزهم على ممارسة الرياضة المتنوعة وذلك طبقا للبرامج الرسمية المعدة من وزارة الحماية الاجتماعية وهذا كله بغرض إعادة دمج الحدث اجتماعيا و تقويم سلوكه و توفير العمل التربوي الملائم له حسب المادتان 10 و 11 من الأمر 75-64 (مدونة النصوص التشريعية و التنظيمية الخاصة بالأطفال: 85). و تحرر تقارير سداسية عن تطور حالة الحدث وسلوكه وترسل إلى قاضي الأحداث المختص.

ثالثا : <u>مصلحة العلاج البعدي:</u> تقوم هذه المصلحة بمهمة ترتيبهم الخارجي في انتظار ماهية ونوع التدبير النهائي المتخذ شأنهم، وهذه المصلحة مكلفة بإعادة إدماج الأحداث اجتماعيا طبقا لنص المادة 12 من الأمر رقم 64/75. و يقوم مدير مؤسسة إعادة التربية رفع إلى قاضي الأحداث المختص تقريراً سداسياً يتضمن تطور حالة كل حدث موضوع بالمؤسسة وهو ما جاء في نص المادة 3 من الأمر رقم 64/75 السالفة الذكر (مدونة النصوص التشريعية و التنظيمية الخاصة بالأطفال: 85) .

ب- مراكز إعادة تربية وإدماج الأحداث والأجنحة المخصصة للأحداث بالمؤسسات العقابية .

مؤسسات عقابية و التي بدورها تابعة لها (لوزارة العدل)، و التي نصت عليها المادة 29 من ق 04/05 المذكور آنفـا. هي أجنحة في هذه المؤسسات خاصة بالأحداث هذه الأجنحة لا يحبس بها الأحداث الذين تقل أعمارهم عن 13 سنة مؤقتا مهما كانـت الجريمة المرتكبة من طرفهم، و إنما يحبس بها الأحداث الذين تجاوزوا سن 13 سنة مؤقتا في مكان خاص و يخضعون لنظام العزلة في الليـل.(مرشد المتعامل مع القضاء ،1997: 133).

و تخصص هذه المراكز لإيواء الأحداث الذي لو يكملوا الثماني عشر 18 سنة من عمرهم بهدف إعادة تربيتهم كما يعامل الأحداث أثناء وجودهم بالمراكز معاملة خاصة حيث يراعى فيها مقتضيات سن و شخصية الحدث

بما يحقق له رعاية كاملة و يصون كرامته و يستفيد الحدث المحبوس خلال تواجده بالمركز بعدة امتيازات منها: الغذاء المتوازن، لباس مناسب، الرعاية الصحية، الزيارات العائلية، استعمال وسائل الاتصال.

وتقوم هذه المراكز بمهامها طبقا لأحكام الأمر رقم 64/75 المؤرخ في 1975/09/26 المتضمن إحداث المؤسسات و المصالح المكلفة بحماية الطفولة و المراهقة. كما تجدر الإشارة إلى أنه لا يجيز ترتيب أو الأمر بالترتيب النهائي أو المؤقت في هذه المراكز إلا لقاضي الأحداث و الجهات القضائية الخاصة بالأحداث.

ت- <u>المركز المخصصة للأحداث في خطر معنوي :</u>

تسعى هذه المراكز لإخضاع القصر الذين لم يكملوا الواحد و العشرين عاما لتدابير الحماية و المساعدة التربوية حيث تكون صحتهم و أخلاقهم و تربيتهم عرضة للخطر أو يكون وضع حمايتهم أو سلوكهم مضرا بمستقبلهم. و يمكن حصر هذه المراكز في: المراكز التخصصية للحماية، مصالح الملاحظة و التربية في الوسط المفتوح و المكلفة خصيصا باستقبال الأحداث الذي هم في خطر معنوي و هو ما سنتناوله في الأتي.

- **<u>المراكز التخصصية للحماية</u>** : تعد مؤسسات داخلية مخصصة لإيواء الأحداث الذين لم يكملوا 21 سنة من عمرهم بقصد تربيتهم و حمايتهم، و الذين كانوا موضوع أحد التدابير المنصوص عليها في المواد 5-6 و 11 من الأمر رقم 72-3 المؤرخ في 10 فيفري سنة 1972. كما يجوز لهذه المراكز أن تقبل الأحداث الذين استفادوا من تدبير إيوائهم للعلاج البعدي.

و هذا ما نصت عليه المادة 14 من الأمر رقم 75-64. لكن الملاحظ في الواقع أنه أصبحت هذه المراكز تستقبل مباشرة الأحداث الجانحين بالرغم من أنها غير مختصة قانونا لذلك، و لعل السبب هو كثرة الأحداث الجانحين و قلة المراكز هو الذي أدى بوزارة التضامن الوطني بعدما آلت إليها صلاحية الإشراف على هذه المراكز من قبل وزارة الشبيبة و الرياضة إلى مراجعة التمييز بين اختصاصات المراكز و اعتمدت في ذلك معيار السن، إذ

أصبحت المراكز التخصصية للحماية تستقبل الأحداث الذين يتراوح سنهم ما بين 07 و 14 سنة سواء من فئة الجانحين أو من فئة الذين في خطر معنوي.

و جاء في المادة 15 أن هذه المراكز التخصصية للحماية تشمل على مصالح تقوم بالبحث عن جميع الحلول التي تسمح بالدمج الاجتماعي للأحداث القادمين من مصلحة التربية أو من مركز متخصص لإعادة التربية، و يبت قاضي الأحداث في نقل الحدث بناء على إقتراح مدير المؤسسة المعنية و تكمن هذه المصالح في:

- مصلحة الملاحظة: مهمتها دراسة شخصية الحدث و إمكانياته و أهليته عن طريق فحوصات و تحقيقات متنوعة (م 16 من الأمر 75-64) .
- مصلحة التربية: مكلفة خصيصا بتزويد الحدث بالتربية الأخلاقية و الوطنية و الرياضية و التكوين المدرسي و المهني بغية دمجه اجتماعيا، و ذلك طبقا للبرامج الرسمية المعدة من الوزارات المعنية م (17 من الأمر 75-64).(مدونة النصوص التشريعية و التنظيمية الخاصة بالأطفال : 88) .
- مصلحة العلاج البعدي: مهمتها البحث عن جميع الحلول التي من شأنها السماح الأحداث بالاندماج الاجتماعي ، لاسيما القادمين من مصلحة التربية أو من مركز متخصص لإعادة التربية (م 18 من نفس الأمر).

- **<u>مصالح الملاحظة و التربية في الوسط المفتوح :</u>**

تم رسميا إنشاءها سنة 1966، ثم عممت على جميع ولايات الوطن في عام 1969 بالإضافة إلى فتح 35 فرع تابع للمصالح الولائية بمختلف الدوائر (كركوش، 2011 : 131) هذه المصالح أسست بمقتضى القرار الوزاري الصادر عن وزارة الشباب و الرياضة المؤرخ في 21-12-1966 كان يطلق عليها في سنة 1963 اسم مصلحة حماية الطفولة، و التي كانت عبارة عن هيئة تربوية تنتمي إلى مصلحة الاستشارة التوجيهية التربوية بالعاصمة،

موكول إليها مهام التكفل بالأحداث الذين هم في خطر معنوي و إعداد البحوث الاجتماعية المتعلقة بهم (بن زيان، 2001: 36) .

و كما جاء في المادة 19، فإنها تأخذ على عاتقها الأحداث الموضوعين تحت نظام الحرية المراقبة، و يكون هؤلاء الأحداث من الجانحين أو ذوي الخطر الخلقي أو خطر الاندماج الاجتماعي. كما يجوز لمصالح الملاحظة و التربية في الوسط المفتوح، التعاون مع المراكز المتخصصة لإعادة التربية و المراكز المتخصصة للحماية، و القيام بجميع الأبحاث و الأعمال الهادفة إلى الوقاية من سقوط الأحداث الذين في خطر معنوي في الجنوح، و ذلك بمساعدتهم من خلال إجراء اتصالات مع آبائهم و أصدقائهم بما فيه الاتصال بأماكن قضاء أوقات فراغهم.

كما تعمل على الوقاية من انحراف الأحداث بالاتصال الدائم بالعائلات و بمختلف المسئولين الذين يهمهم الأمر (مثل قضاة الأحداث ، المدراء ...) و القيام ببحوث اجتماعية يعتمدها القاضي في مهامه و الفحوص النفسية و التوسط بين المؤسسات إعادة التربية و الوسط الأصلي للأحداث المودعين في هذه المؤسسات.

ت- المراكز المتعددة الخدمات لوقاية الشبيبة :

بالإضافة للمراكز السالفة الذكر نصت المادة 25 من نفس الأمر على نوع آخر والمتمثل في المراكز المتعددة الخدمات لوقاية الشبيبة وهي عبارة عن ضم وتجميع للمراكز التخصصية لإعادة التربية والمراكز التخصصية للحماية و مصالح الملاحظة والتربية في الوسط المفتوح ضمن مؤسسة وحيدة، إذ لا يوجد عاتق لدى هذه المراكز و المؤسسات حتى تكون الخدمة شاملة و كاملة و المصلحة عامة حيث تحاول هذه المراكز مراعاة الجوانب الشخصية بكاملها، و بهذا كله في إطار الاهتمام الفعلي بالبحث عن كيفية إعادة تكييف و إدماج الحدث.

و يمكن تلخيص مهام مراكز إعادة التربية في العناصر التالية:

- تلقين الأحداث تربية روحية مدنية رياضية .
- التكوين المدرسي و المهني للأحداث .
- الاهتمام بالحدث من الناحية النفسية.
- إدماج الحدث اجتماعيا و التكيف بصورة طبيعية.
- السماح للحدث باختيار أكثر من نشاط مما يساعد على التعرف على قدراته لاختيار مهنة المستقبل .

لا شك أن فئة الأحداث بحاجة إلى الرعاية و الإصلاح ، و أكثر من حاجاتها إلى الردع و العقوبة، و هذا ما يطلق عليه اسم الرعاية اللاحقة ن أي الرعاية التي تتم بعد رجوع الحدث الجانح إلى بيئته الطبيعية بمتابعة منظمة، و حسب ما جاء في الجريدة الرسمية لسنة 1975 فهذه المصلحة التي تعرف كذلك باسم مصلحة ما بعد الشفاء، تعمل هذه المصلحة على مساعدة الحدث في التكيّف الاجتماعي بعدما قدّمت له التربية السليمة في مراكز الحماية .

و يوضّح السدحان بن ناصر (1997) هذا التتبع الذي تقوم به مصلحة الرعاية اللاحقة فيما يلي:

- دعم و تطوير خدمات الرعاية النفسية و الاجتماعية و ذلك من خلال إنشاء مؤسسة الرعاية.
- إشراك كل من الأسرة و المدرسة و المؤسسات الاجتماعية و النفسية في إعادة دمج الحدث في المجتمع.
- التعاون مع وسائل الإعلام لتبصير كل شرائح المجتمع بخطورة و انتشار ظاهرة جنح الأحداث و أسبابها و طرق علاجها.
- بالإضافة إلى إجراء دراسات حول الظاهرة لتحديد أسبابها و التعرف على حجم الظاهرة لوضع حلول و إستراتيجيات مناسبة(كركوش ، 2011 : 135)

الجانب التطبيقي

الفصل السادس: الإجراءات المنهجية للدراسة

1- مجريات الدراسة

2- منهجية الدراسة

3- أدوات الدراسة

1- مجريات الدراسة :

يكتسي القيام بمشروع بحث مع حالات المقيمين بمراكز إعادة التربية أو مراكز الحماية حساسية كبيرة و هذا راجع إلى طبيعة الموضوع أولا ثم خصوصية الحالات المراد دراستها حيث أن القيام بمقابلات متكررة معهم يتطلب الكثير من الجهد و المغامرة حتى يتمكن الباحث من بناء علاقة مهنية معهم تكون ناجحة.

كما أن هذه الفئة من الجانحين قد تعوّدوا على مثل هذه المقابلات و التحقيقات من خلال لقاءاتهم مع الشرطة أو الدرك أو لقاءاتهم مع القضاة ثم مع المختصين النفسانيين الموجودين بهذه المراكز، ما جعلهم يتفادون مثل هذه المقابلات و يتفادون كل شخص يجمعهم معهم من أجل القيام بالمقابلات.لدى فإن تعوّد الحالات على هذه المقابلات و تكرارها و تكرار أسئلتها و كذلك حالتهم النفسية جعلتني أبحث عن إقناعهم على القيام بمقابلات تدرس مسار حياتهم و أسباب قيامهم و انتقالهم للأعمال الجانحة بسبب اتسام الحالات بسلوكيات المعارضة و الحذر و حتى عدم الثقة في الباحث و هذا ما تطلب الكثير من الوقت و الصبر و الحضور المتواصل إلى هذه المراكز بمعدل مرتين إلى ثلاث مرات في الأسبوع حتى يتعوّد عليا الحالات لتسهيل بناء المقابلات معهم. ما أريد الإشارة إليه كذلك أن بعض حالات الدراسة و لو كانت قليلة فإنها هي من طلبت مقابلتي و كانت لها الرغبة في القيام بمقابلات معها و هذا ما تم بالفعل.

2- منهجية الدراسة :

يجب الإشارة أوّلا أن هذه الدراسة تستدعي استخدام بحثا بطريقة كيفية حيث أن أهدافها تسعى إلى فهم أفضل لظاهرة و كذلك التعمّق في معارفها. هذا الأسلوب الكيفي يبحث عن استكشاف و فهم أفضل لمعاش و خبرات الجانحين العائلية اليومية و جمع البيانات و تفسيرها و تحليلها عن تجارب المنحرفين في وسطهم العائلي.

2-1- منهج الدراسة :

استخدم في هذه الدراسة منهج دراسة الحالة بقصد التعرّف على التصوّرات و معاش الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية للروابط الأسرية. يرتكز هذا المنهج على وصف دقيق و تفصيلي لظاهرة أو موضوع محدد كما يتضمن جمع معلومات تفصيلية غالبا ذات طبيعة شخصية بدرجة عالية عن سلوك فرد أو جماعة(عائلة، مجتمع أو ثقافة مثلا) و ذلك من خلال فترة زمنية طويلة

أهم ما يميّز هذا المنهج أنه يوفر بيانات مفصلة عن الواقع الفعلي للظاهرة أو موضوع الدراسة كما أنه يقدّم في الوقت نفسه تفسيرا واقعيا للعوامل المرتبطة بموضوع الدراسة، فدراسة الحالة هي الإطار الذي ينظّم و يقيّم فيه الأخصائي الإكلينيكي كل المعلومات و النتائج المتحصل عليها عن الفرد و ذلك عن طريق الملاحظة، المقابلة، التاريخ الاجتماعي، السيرة الشخصية و غيرها من الأدوات(حسن مصطفى عبد المعطي،1998،ص156).

و لأن الدراسة الحالية تحاول التعرّف على تصوّرات الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية لروابطهم العائلية و عن تصوراتهم لمعاشهم العائلي، و تحليل تفسيراتهم للأحداث التي أثرت في تاريخ حياتهم، فكان من المنطق أن يكون هذا المنهج هو الأنسب لهذه الدراسة.

2-2- الحدود المكانية للدراسة :

نظرا لكون الدراسة الحالية تبحث عن دراسة الجانح المقيم بمؤسسات إعادة التربية، فإن اختيار مكان إجراءها شمل القيام بدراسة استطلاعية على مركز إعادة التربية و مركز حماية البنات في كل من ولاية سيدي بلعباس و ولاية تلمسان قصد إيجاد حالات جانحين تخدم موضوع دراستي.

بعد إرسال الطلبات إلى مدراء النشاط الاجتماعي و التضامن لكلى الولايتين، تمّ الحصول على الموافقة منهم لإجراء الدراسة الميدانية. توجّهت مباشرة إلى مدراء هذه المراكز و بعد الحصول على الموافقة منهم تم توجيهي إلى المختصين النفسانيين حيث تمّ التحدث معهم عن موضوع الدراسة و أهدافها و كذا نوع الحالات المراد دراستها. قاموا مباشرة بمساعدتي في اختيار الحالات التي تخدم مشروع دراستي و التي أقيمت عليها هذه الدراسة و هذا بعد الاستطلاع مع المختصين على جميع الحالات الموجودة في هذه المراكز.

كما سبق و تطرقت في عرض سابق في الفصل النظري المسمى " الجانح و مراكز إعادة التربية " حيث قمت بإعطاء صورة وجيزة عن التشريع الجزائري و طرق التكفّل بالحدث في المؤسسات المتخصصة و التدابير التي اتبعتها بلادنا من أجل إعادة هؤلاء الشباب إلى الطريق الصحيح. قمت باختيار مركزين الذي وجدت فيهما حالات دراستي و هما " المركز المتخصص لإعادة التربية بحاسي دحو سيدي بلعباس " و هو مركز خاص بالأحداث الجانحين للذكور و " مركز حماية البنات بئروانة تلمسان " و هو مركز خاص بالفتيات الجانحات و غير الجانحات. و كلا المركزين تابعين لمديرية النشاط الاجتماعي و التضامن التابعة لوزارة التضامن الوطني و الأسرة و قضايا المرأة.

2-3- <u>الحدود الزمنية للدراسة :</u>

اقتصرت الدراسة الميدانية في هذه المراكز على الفترة الزمنية الممتدة ما بين 22 ديسمبر 2016 إلى غاية ماي 2018، أي قرابة سنتين.

بداية الدراسة الاستطلاعية بمركز حماية البنات بئروانة تلمسان كان يوم 2016/12/22، بينما كانت في مركز إعادة التربية لحاسي دحو بسيدي بلعباس بداية من يوم 2017/05/04. و التي تمّ من خلالها لقاء مدراء هذه المراكز و تطرقت معهم عن أسباب الزيارة و موضوع الدراسة، و بعد موافقتهم و بمساعدة المختصين النفسانيين

جرت المقابلات الفردية مع الحالات و قد تمّ توفير لي مكان إجراء هذه المقابلات تمثل في مكتب الأخصائيين النفسانيين(الإرساليات الخاصة بالمراكز موجودة في الملاحق)

هذه المقابلات كانت دورية متمثلة في مقابلتين في الأسبوع و مدة المقابلة تراوح ما بين ساعة و نصف إلى ساعتين مع كلّ حالة.

2-4- حالات الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى توثيق تجربة الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية و جمع المعلومات عن خبراتهم مع الوسط الأسري و إعطاء تفسيرا لظاهرة الانحراف كما يراها الجانح من خلال مسار حياته و تجاربه المعاشة. فاختيار الحالات لم تكن احتمالية، حيث أن الحالات تم اختيارهم وفق خصائص معيّنة محدّدة من مجتمع الدراسة.

تراوح عدد حالات الدراسة أربع 04 حالات، أشير إلى أن دراسة الحالة تعتبر طريقة مثالية في مجال علم النفس الإكلينيكي، إنها تفحص الفرد مع ذاته في علاقته مع الآخر، مع الأخذ بعين الاعتبار مع بيئته. كما يجب أن أنوّه بخصوصية و فردانية كل شخص بحيث أن حالة واحدة تكفي لدراسة الظاهرة التي تشهد اهتمام الباحث (Fesian,2006 :p235) و حسب.Minkowsky E " المعرفة العلمية في المنظور العيادي لا ترتكز على عدد الحالات المفحوصة و بالنسبة للمنهج البحثي دراسة الحالة واحدة تكفي المعلومات المكتسبة بخصوصها تتعداها في أبعادها،انطلاقا من المعطيات المجموعة من الحالة الوحيدة نقوم بتعميميها و ذلك بالرجوع إلى المعطيات النظرية التي اعتمدنا عليها خلال إجراء البحث،إذن هو المرور من الخاص إلى العام"(Fesian,2006 :p236).

الحالات الفردي التي أقدمها هي الحالات التي ظهرت لي أنها تخدم مشروع دراستي و اختيارها اتسمت بمعايير هي بسيطة أذكر منها:

- أن تكون الحالات أوّلا مقيمة بمركز إعادة التربية: بمعنى أنها منفصلة عن الوسط العائلي الذي كانت تعيش فيه لمدة زمنية معينة.
- كذلك أثناء اختياري للحالات كنت أطلب من القائمين عليهم في هذه المراكز أن تكون الحالات قد عاشت في وسط عائلي و عاشت ظروف حياة و جو أسري داخل المنزل قبل دخولها إلى المركز بمعنى أن تكون لدى الحالات خبرات مع الوالدين. فقد وَجَدت بعض الحالات داخل هذه المراكز لم يعيشوا في وسط أسري منذ ولادتهم ففي هذه الحالة لم يعايشوا وسط أسري و لم تتكوّن لديهم صورة عن الأسرة و عن الروابط الأسرية و هذا لا يخدم أهداف هذه الدراسة.
- حالات الدراسة تم اختيارها على أنها قامت بسلوكيات جانحة (مهما كان نوع السلوك و درجته) حتى أتمكّن من إعطاء تفسيرا لهذه الظاهرة كما يراها الجانح من خلال مسار حياته و تجاربه المعاشة و محاولة شرح معنى قيامه بهذه السلوكيات و هل للعائلة علاقة بذلك حسب تصوّره.

حالات الدراسة تكونت من أربعة جانحين من الجنسين، منهم من دخل المركز لأوّل مرة و منهم من هو معيد الدخول إلى المراكز و حفاظا على سرية المعلومات و بطلب من الحالات فقد تم تغيير أسماءهم.

يمكن تقديم الحالات باختصار كما يلي:

- **الحالة الأولى" فاطمة** ": تبلغ من العمر 17 سنة، من مدينة البيّض، مقيمة بمركز حماية البنات ببئر وانة بولاية تلمسان. عاشت مع الأب بعد طلاق الوالدين، دخولها إلى المركز كان للمرة الثانية، و حسب إدارة المركز كان سبب دخولها هو لعدم وجود أسرة مستقرة، الهروب المتكرر من البيت، مصاحبة جماعة منحرفة و الإقامة المتكررة خارج البيت. حسب الحالة أنها من طلبت من القاضية ادخلها إلى المركز للابتعاد من المنزل و كذا تمكّنها من إكمال دراستها.

- **الحالة الثانية " مروة "** : تبلغ من العمر 14 سنة من مدينة مستغانم، مقيمة بمركز حماية البنات ببئر وانة بولاية تلمسان. الوالدين مطلقين(الأب غير معروف)، سبب دخولها إلى المركز هو قيامها بجنح السرقة و كذا الهروب المتكرر من المنزل. حسب إدارة المركز أن أم الحالة من طلبت دخول ابنتها إلى المركز لعدم قدرتها السيطرة عليها.
- **الحالة الثالثة " محمّد "** : يبلغ من العمر 16 سنة، من مدينة تلمسان، مقيم بمركز إعادة التربية بحاسي دحو سيدي بلعباس. الوالدين مطلقين، يعيش مع الأم، سبب دخوله إلى المركز عند إلتقائي به كان بسبب جنحة حيازة المخدرات، السرقة و مصاحبة الجماعات المنحرفة، ما هو معروف عن الحالة أنه معاود الدخول إلى مراكز إعادة التربية و أثناء الالتقاء به كان دخوله للمركز للمرة الحادية عشر(11 مرة).
- **الحالة الرابعة " صارة "** : تبلغ من العمر 16 سنة، من مدينة الغزوات ولاية تلمسان، مقيمة بمركز حماية البنات ببئر وانة بولاية تلمسان. دخولها إلى المركز كان للمرة الأولى بعد حكم قاضية الأحداث بسبب جنحة هروبها من المنزل و حملها غير الشرعي من جماعة منحرفين .

3- أدوات الدراسة

3-1- المقابلات الفردية

قرّرت استخدام دراسة طولية في هذه الدراسة على حالات الأربعة بحيث وافقت على مقابلتي مقابلات فردية في عدة فترات و نظرا لصغر حجمها و نوعيتها و رغبتي في الحصول على معلومات واقعية عن معاشهم و تجاربهم، فأعتقد أن المقابلة الفردية تمثّل التقنية الأكثر مناسبة لتحقيق أهداف هذه الدراسة.

هذا النوع من الدراسة يتكوّن من عدد من المقابلات الفردية و بنفس الأسئلة، و أن تكرار اللقاءات مع الحالات لعدة مرات،سمح لي التعمّق أكثر على كل إجابة، و هو ما سمح لي كذلك الحصول على المزيد من التفاصيل عن

تاريخ حياتهم و أن تكرار هذه المقابلات الفردية كذلك كانت فرصة لبناء علاقة من الثقة بالرغم من التحفظات التي أعربت عليها بعض الحالات، كما سمحت لي من جمع عدد كبير من المعلومات الخاصة بالخبرات الأسرية و الاجتماعية لكل حالة.

تعدّد المقابلات مع جميع الحالات جعلتها تتطوّر من مقابلة إلى أخرى و سمح في إحضار بيانات لتحليلها. كما أوضحت لي هذه المقابلات مدى تعقّد ظاهرة الجنوح و أن هذه الحالات تستحق اهتماما خاصا. في هذه المقابلات تم التطرّق إلى سيرة حياة الجانح من خلال علاقته مع عائلته و في المدرسة و مع الأصدقاء وصولا إلى الانحراف، قصد جمع المعلومات و ترتيبها ترتيبا زمنيا و من ثمّ تقديمها على شكل قصة حياة توضح مسار حياته وصولا إلى الفترة الحالية أي فترة وجوده بالمركز، هذا الإجراء سمح لي التركيز على كلّ حالة في تفردها.

المقابلات الفردية تم القيام بها داخل مكتب الأخصائي النفساني للمركزين و ذلك بعد إخبار الحالات بموضوع و أهداف الدراسة و ضمان السرية التامة لمضمون المقابلات و عدم الإدلاء بأي معلومات تخص مجريات المقابلات و المواضيع و التصريحات المتكلّم عنها.

خلال هذه المقابلات حاولت توفير الجو الملائم ما جعل الحالات في ديناميكية التي دفعتهم التعامل معي بإخلاص و لو أنه كان دائما يحول لي شكوك أنهم يقولون كلّ الحقيقة و أن بعض الأسرار لم يتم البوح بها في محاولة إقامة حدود و عدم الرغبة في التكلّم كثيرا و التردّد قبل الإفصاح.

سمحت لي مقابلة الجانحين (حالات الدراسة) من تحديد فرضيات الدراسة في بناء موضوع هذا البحث، من خلال التطرّق إلى وجهات نظرهم و إعطاء فرصة في التحدث و هي فرصة إعادة بناء تجاربهم بشكل أفضل و

استخلاص آراءهم الشخصية و تحليلهم الذاتي لتاريخ حياتهم و تصوّراتهم الشخصية عن أسرهم و الروابط الأسرية التي تكوّنت لديهم.

توقيت المقابلات كان بمعدل ساعة و نصف إلى ساعتين و تم تسجيل المقابلات عن طريق مسجل الصوت بعد طلب الإذن من الحالات، حيث سمح لي هذا التسجيل من التركيز بشكل خاص على محتوى المقابلات.

3-2- سرد الحياة : Récit de vie

تم اختيار طريقة سرد الحياة باعتبارها الطريقة التي تتماشى مع طبيعة و أهداف الدراسة التي أنا بصدد إجرائها، بحيث أنّني أحتاج الحصول على معلومات تعطيني فكرة عن مسار حالات دراستي عبر محطات مختلفة من حياتهم، و كذلك التعليقات التي يرونها مناسبة حول هذه الأحداث. كما أنه تم اختياري لهذه الطريقة خاصة، على أنها من بين كل الأدوات أو الوسائل في العلوم النفسية التي ظهرت لي أنها الشكل الأكثر تأقلما بشكل فريد مع الثقافة المحلية، بسبب تقاليدها الشفهية. كما يبدو لي أن قصة الحياة هي الطريقة الأكثر ملائمة للفرد في هذه المنطقة الجغرافية.

تاريخ طريقة تجميع قصص الحياة تمت أوّلا في فرنسا عن طريق الأنتروبولوجيا و علم النفس الاجتماعي قبل أن يتم نسيانها بشكل جزئي خلال الأربعينيات و الخمسينيات من القرن العشرين لفائدة الأساليب الكمية و الإحصائية. و تمّ إعادة تأهيلها بفضل علم الاجتماع الفرنسي في السبعينيات مع أعمال " دانيال بيرتو " Daniel Bertaux بحيث أن "سرد الحياة ينتج من شكل معيّن من المقابلة، المقابلة السردية التي من خلالها

يطلب الباحث من شخص و الذي أشير إليه فيما بعد باسم " الموضوع " أن يخبره عن كلّ أجزء من تجربته المعاشة ".

في العلوم الاجتماعية، ينتج سرد الحياة عن شكل معيّن من المقابلات و هي مقابلات سردية، من خلالها يسأل الباحث الفرد لإخباره بكل أو جزء من تجربته الحية، و التركيز على جانب من " الحياة الاجتماعية "، علاقته مع الآخرين، الأوضاع التي تخللها من قيود و فرص، الممارسات المتكررّة، المشاريع التي تمّ تحقيقها و الأخرى التي هي موجهة نحو تحقيقها (Daniel Bertaux, 2016 : p 11)

السرد، مثل رواية ما هو ذكرى لحقائق الماضي، ذكرى الانطباعات و العواطف، يتضمن توثيقا تاريخيا للحياة، تاريخيا من سجلات الذاكرة التي أصبحت أساس البناء. سوف يكون افتراض لتاريخ ذاكرة أساسا، عندما يصبح ثمرة لإعادة بناء، إعادة التأليف و إعادة تنشيط الذكريات(Jean Claude F., 2005 :p 04)

الطلب منه سرد حياته، من خلال السماح له بسرد و رواية قصته و اختبارها. فإن الشخص لا يتعرض للباحث و إنمّا بشكل خاص لنفسه و في الوقت نفسه، بحيث يدرك شكلا جديدا من التصوّرات الذاتية. يصوغ الأحداث و يبسط الحقيقة المعاشة، فالحقائق التي تمّ إعادة النظر فيها تجعل بالإمكان من تحقيق شكل جديد من اكتشاف الذات .

إن طريقة سرد الحياة تعتمد على إلتقاط مادة خاصة بالسيرة الذاتية للفرد، فهذا المصطلح يعني سرد التجارب الشخصية للفرد في الحياة، و هي عبارة عن وثيقة تحتوي على وقائع عاشها الفرد سابقا و يستحضرها حاليا بحضرة الباحث و بناء طلب من هذا الأخير(عمار،2017: 174)

إعداد أسلوب التعبير ينظّم تاريخ الحياة، و أن التصوّر الذاتي الذي يثيره سرد قصة الحياة تجعل الذات و الواقع أكثر قابلية للفهم. و الكلام المشار إليه يعطى له معنى و الشخص يرى نفسه بالرغم من بعد الزمان و المكان.

سرد الحياة لا يسلّط فقط الضوء على تدفق الأحداث التي تميّز الشخص و تنظمه، و لكن أيضا تنوّعه و تعدّده. الكشف عن الحالات الموصوفة، تناقضاتها، تغييراتها الدائمة و التكيّف معها. توضيح التكوين بشكل تطوّري لكيان الشخص و إعطاء معنى لما يعيشه.

في الواقع، قصة الحياة هي أداة توحّد ما هو مشتّت، تتجانس حيث التناقض و عدم التماسك. لكن هذا لا يمنع بأي شكل من الأشكال أن قصة الحياة من أن تكون هي ثروة من المعلومات الدقيقة و القيمة حتى و لو لا تستجب بإخلاص لواقع الحقائق لأنها تدور حول المعاش (Fesian,2006 :p240) أي من التصوّرات و التركيبات النفسية و ليس للواقع. بل على العكس فهي لحظة حاسمة في عملية التنظيم، تركيب الصور العقلية و خاصة في المرور إلى إدراك الهوية.

السرد في هذا المنظور، يجب أن ينظر إليه على أنه رواية طوّرها الفرد من خلال علاقته مع الشخص الذي يجري معه المقابلة، وفقا للتصوّر الذي يحدثه حاليا عن ماضيه. لا يمكن اعتبار مصطلحي"سرد الحياة " و" تاريخ الحياة " أنهما مترادفتان، فالأوّل يشير إلى حقيقة ما قاله الفرد و روى شيء عن حياته، أما الثاني ينطوي على مفهوم و الصورة الكامنة وراء ذلك الوقت، هو تسلسل زمني (Jean Claude F., 2005 :p 02)، لذلك فإن سرد الحياة لا يجب اعتباره تاريخ الحياة و لكنها علاقة الشخص مع ماضيه. إذ هي ليست مسألة تتعلّق بالماضي لكن تتعلّق بتصوّر الماضي الذي يرتكز على أحداث مرجعية التي تهيؤ التعبير و التوجيه لمعنى مسار الحياة.

و ترتكز الفرضية الأساسية لهذا المنظور على أن السرد عملية إنسانية طبيعية تشكّل جزءا من قدرتنا على فهم العالم من حولنا و معناه و تجاربنا الخاصة، إذ يرى علماء النفس المهتمون بهذا المجال أن القصص بدلا من الحجج المنطقية، هي الوسيلة الأساسية التي نتواصل بها حول معاني الحياة و قيمها، و هي الطريقة التي نقوم من خلالها بهيكلة حياتنا و تساعدنا على التمسك بتجاربنا و الخروج منها بمعنى.

لكن يجب أن نتّفق على أن ما يعني به علم النفس بقصص الحياة ليس السيرة الذاتية للشخص من أحداث و حقائق و مواقف. و إنما الطريقة التي يدمج بها الفرد تلك الأحداث و الحقائق داخليا، أي الطريقة التي يجمعها بها و يعيد تنظيمها و ترتيبها بأولوية و من ثمّ يستخرج المعنى منها. إذ يصبح هذا السرد شكلا من أشكال الهوية الشخصية للفرد، حيث تصبح الأمور التي يدرجها تحت نطاق القصة و الطريقة التي يرويها فيها مرآة يمكن لها أن تعكس هويته و تخبره و غيره من هو ؟ و ماذا يريد ؟

خلال سرد الحياة، تتجلى الهوية عن طريق الانقسام. حيث أن الهوية المسرودة تقترن بالهوية المعاشة، المدركة و المتصوّرة. في الخطاب يرى الفرد نفسه في صور في شكل من الانسحاب التأملي حيث يتم استحضار الماضي. و السرد يسمح للفرد التعبير عن هويتين اثنتين متعاكستين نسبيا، هوية سيرة ذاتية و هوية فورية . الهوية الذاتية هي تنظيم موّحد للذات طوال الحياة، يحاول الفرد من خلالها حصد أجزاء وجوده و أفكاره المجزئة. و في المقابل الهوية الفورية هي إلى جانب التجزؤ(Fesian,2006 :p242)

في هذه الوضعية، يدمج الفرد في الواقع في منطق الحياة البديلة و الشاملة. في ظل التاريخ المفترض. فالتعبير عن الذات يتميّز بأنه نشاط الإنتاج المستمر للفجوات المتعددة من الذات تمر من الواحدة إلى أخرى لأن الصور الذاتية لها سيولة لا مثيل لها.

يمكن أن تأخذ المقابلات الخاصة بجمع قصص الحياة أشكالا مختلفة، اعتمادا على الأهداف المنشودة، البحث و إطار المقابلة و كذلك على أساليب و مواقف الفرد. يمكننا القول كذلك بأن إجراء مقابلة للحصول على سرد الحياة يشبه إلى حد بعيد المقابلة الموجهة، بحيث أن الفرد مدعو للكلام حول موضوع محدد من طرف الباحث، لكن الفرق يتجلى في كون الفرد خلال مقابلة سرد الحياة هو الذي يأخذ مسار الخطاب و يراقبه و يوجهه. على الباحث فقط أن يتحلى بالسمع المتطابق، بالتفهم و حتى الوصول إلى التعاطف الحيادي. هذا لا يمنع الباحث من تحضير" دليل للمقابلة " بهدف الحفاظ على المسار العام للسرد (عمار،2017: 174)

إن دليل المقابلة هذه هي أداة تسهّل على الحالات التعبير بأكثر طلاقة و عمق من حيث أنها تجعلهم يركزون على جانب واحد من حياتهم و سهلت عليا عملية الإصغاء. المقابلات نسبيا تراوحت (مدة ساعة و نصف إلى ساعتين) كان لها هدف البحث و كانت أساسا باستخدام الطريقة النصف الموجهة. و المقابلة باستعمال دليل المقابلة سمحت لي من خلال التبادل البناء من إعادة بناء تصوّرات الحالات التي تمّ مقابلتهم و إعطاء تفسير للمعنى الذي يعطونه لأفعالهم بحيث أن دوري لم يكن فقط في تسجيل الحوار و تحليله، و إنما كان أيضا استجواب الحالات و اقتراح عليهم تحليل تجاربهم الخاصة.

تاريخ حياة هؤلاء الجانحين تم تقسيمها إلى عدة أجزاء من التجارب و الأحداث بتسلسل زمني. تم تقييم الشهادات من خلال دليل المقابلة على مختلف المستويات، كما تم الأخذ بعين الاعتبار العوامل الاجتماعية و الثقافية و النفسية و التاريخية و هذا ما تحمله كلّ حالة من خصوصية. هذا النهج الكيفي سمح لي كذلك من دراسة ذاتية الحالات و فهم معنى قيامهم بالأفعال الجانحة و معنى وجودهم في هذه المراكز. كما سمح لي من فهم التصوّرات التي أعدها الحالات و المواقف التربوية لآبائهم، و تحديد العلاقة بينهم و بين والديهم.

3-3- <u>دليل المقابلات :</u>

بغرض كتابة سرد حياة الحالات و الغوص في عالمهم و أفكارهم و التصوّرات الخاصة بهم، قمت ببناء دليل المقابلة على شكل مجموعة من الأسئلة، يتضمن هذا الدليل على أسئلة مفتوحة حول موضوع الدراسة سمحت بتشجيع الحالات على التحدث عن تجربتهم و عن معاشهم الأسري. هذه المقابلات أخذت شكل محادثات أردت من خلالها جمع المعلومات عن تاريخ حياتهم و استكشاف معنى تجاربهم.

إن شبكة الأسئلة هذه، هي عبارة عن دليل مرن للغاية في سياق المقابلة، فبمجرد كتابة الأسئلة كان من النادر أن أطرحها على الحالات الوحدة تلوى الأخرى، فهو دليل بسيط الهدف من بناءه هو جعل الحالات يتحدثون عن الموضوع، و من الناحية المثالية هو خلق ديناميكية في الحوار أكثر ثراء من الإجابة على الأسئلة مع البقاء في سياق الموضوع.

هذا الأسلوب من النهج شجّع على تعبير الحالات الذين قدّموا لي معارفهم و معنى قيامهم بأفعالهم، كذلك سمح لي بالكشف عن خصوصياتهم. كما سمحت هذه المقابلات بعض الحرية للحالات المشاركين في التعبير عن المواضيع و القضايا التي تخص تجاربهم و خبراتهم المعاشة في الوسط العائلي و التحدث عن قصة حياتهم و عيش مرة ثانية مشاهد من تجاربهم السابقة سواء السعيدة أو الأليمة و التعبير عنها بمشاعر مختلفة (معارضة، رفض، بكاء، التردد، التفصيل ....الخ). بالإضافة إلى ذلك سمح لي هذا النوع من المقابلة من تسجيل بعض الحدود المرتبطة في المقابلة الفردية مثل ردود أفعالهم غير اللفظية خلال المقابلات.

يشمل دليل المقابلة على 39 سؤال مفتوح حول موضوع الدراسة (أنظر الملحق) هدفه إيجاد إجابات تساعدني من تحقيق أهداف هذه الدراسة و من خلالها أحاول التقرب من الإجابة عن تساؤلاتها، و يمكن تلخيص أهداف دليل المقابلات فيما يلي :

- محاولة إعادة رسم تاريخ حياة الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية عن طريق شهادته لتجاربه المعاشة.
- محاورة الجانحين من خلال الاقتراح عليهم تحليل تجاربهم المعاشة و اكتساب تفاصيل حول تاريخ حياتهم.
- الاقتراب من التصوّرات و التفسيرات التي يدلي بها الحالات عن أسرهم.
- وصف علاقة الجانح (موضوع الدراسة) مع السلطة (الوالدين).
- تقديم أمثلة عن التصوّرات التي يبيّنها الجانح عن التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة.
- التعرّف عن طبيعة العلاقات مع محيطه و خاصة مع أولياءه. و هل يجد هذا الطفل مكانة عند والديه ؟
- معرفة رد فعل الجانحين اتجاه الصعوبات الاتصالية و العلائقية مع أولياءه.
- التعرّف عن أسباب انحرافهم. و محاولة توضيح ما إذاكان الانحراف عبارة عن إجابة على التفكك الأسري.

كما تمّ تقسيم دليل المقابلات إلى خمسة 05 أبعاد تختلف حسب أهدافها و كل بعد يحتوي على مجموعة من الأسئلة. أبعاد هذا الدليل مستخرجة من فرضيات الدراسة، فكل فرضية تستدعي الحصول على معلومات جديدة و التي من خلالها تتطلب إيجاد أسئلة جديدة.

يمكن توضيح أهداف كل بعد و أهداف الأسئلة التابعة لكل بعد فيما يلي:

البعد الأوّل : بعد النموذج و الصورة الوالدية

أ- الهدف من البعد

يهدف هذا البعد إلى التعرّف و الاتجاه مباشرة إلى التصوّرات التي يحملها الجانح لعائلته. و من خلال ما يشير إليه في معرفة نموذجه (من عدمه) داخل الأسرة و التصوّرات التي يحملها عن الصورة الوالدية.كما يسمح لي هذا البعد بالتعرّف حسب كلام الحالة على العلاقة أب – أم و أوجه الشبه بين الابن و والديه أو البيئة العائلية.

ب- الهدف من أسئلة هذا البعد :

تسمح أسئلة هذا البعد للجانح عند استجوابه من تحديد الأشخاص الذين يعتبرهم نموذجه، و ما إذا كانت له الرغبة في أن يكون شبيها لهم. إجابة الحالة تشير حسب اعتقادي إلى الصورة الوالدية التي يحملها الجانح عن والديه .

البعد الثاني : بعد المعاش و الروابط الأسرية

أ- الهدف من البعد

يهدف هذا البعد إلى جمع المعلومات عن خبرات الحالات مع والديهم حيث أسعى عن طريق الأسئلة المطروحة إلى جمع معلومات عن تكوين الأسرة كما يراها الجانح (حالة الدراسة) و عن طبيعة العلاقات الديناميكية الموجودة بين الآباء و الأمهات و ما للوالدين الوقت في إنفاقه على الأبناء، أي التطرّق إلى الروابط الاجتماعية الأسرية و العلاقات الأسرية و المعاش العائلي للجانح اليومي. كما يهدف هذا البعد إلى التعرّف على المكانة التي يراها و يشعر بها الحالة عند والديه أو داخل الأسرة ككل.

ب- الهدف من أسئلة هذا البعد :

هذه الأسئلة خاصة بمعالجة التجربة التربوية داخل العائلة تهدف إلى جمع معلومات الجانح عن تصوّراته لمعاشه العائلي التي يدلي بها و عن العلاقة الوالدية كما يراه هو، و عن الجو الأسري و النشاط داخل المنزل و نوع العلاقة بينه و بين أولياء أموره مشيرا إلى المكانة التي يشعر بها عند والديه. كما تمكّنني من اكتساب معلومات عن ما إذا كان للجانح الإحساس بالمساواة و الاهتمام من قبل والديه.

البعد الثالث : بعد السلطة و الرقابة الوالدية.

أ- الهدف من البعد

يشير هذا البعد إلى إطار الرقابة الوالدية و إلى القواعد و طبيعة النظام الذي يفرضه الوالدين على الابن داخل الأسرة (الخروج ، الاستئذان ، العقوبات ...) كلّ هذه الأمور تشير إلى علاقة الحالات بالسلطة الأبوية.

ب- الهدف من أسئلة هذا البعد :

تهدف أسئلة هذا البعد إلى معرفة موقف الأولياء و الإجراءات التي يقوم بها الآباء و الأمهات و نوع العقوبات المفروضة عندما يتصرّف الابن بطريقة غير صحيحة و التي تنتهك القواعد الداخلية للعائلة. و أيضا أحاول من خلال هذه الأسئلة من وضع الجانح مكانة والديه لمعرفة نوع التدخل الذي كان ينتظره منهم.

نوع العقوبات لها علاقة شديدة مع الجنوح حيث أن القسوة في المعاملة تجعل الابن ذا شخصية ناقمة و متمردة و قاسية. و جهل الوالدين كذلك لأساليب التربية السليمة، يمكن أن تكون سبب في خيبة أمل للابن و كبته فأسلوب المعاملة التربوية التي يتلقاها الجانح سواءا كان ذلك ثوابا أو عقابا يمكن أن يولّد لديه الرغبة في الانتقام أو ردود فعل مادية كالسرقة أو الهروب من المنزل مثلا.

البعد الرابع : بعد الانحراف

أ- الهدف من البعد

يخص هذا البعد مرحلة ما بعد قيام الحالات بالجنحة، و يسمح هذا البعد بإعطاء تفسيرا لهذه الظاهرة و علاقة الأسرة بذلك كما يراها الجانح من خلال مسار حياته و تجاربه المعاشة. كذلك يهدف هذا البعد التطرق إلى مكانة جماعة الرفاق(المنحرفين) عند حالات الدراسة و دور هذه الجماعة في انتقالهم إلى الانحراف.

ب- الهدف من أسئلة هذا البعد :

تبيّن أسئلة هذا البعد أسباب انتقاله إلى الجنوح و هل للعائلة علاقة بذلك حسب تصوّره. و من خلال هذه الأسئلة التي أطرحها أسعى إلى شرح معنى قيامهم بأعمال جانحة و خبراتهم الأسرية و البحث عن الانتقال إلى الانحراف و فهم تفسيراتهم و تحليلاتهم للعمليات الاجتماعية من خلال أفكارهم و تصوّراتهم و المشاعر والعلاقات التي بنوها بأنفسهم.

البعد الخامس : تلخيص عام

أ- الهدف من البعد

يشكّل نقطة نهاية أسئلة المقابلة فمن خلال كلام و أجوبة الجانحين و تفسيراتهم لهذه الظاهرة، نفهم معنى علاقاتهم التي تشكلت مع عائلتهم، و من خلال هذا البعد أحاول فهم ذاتية الجانح والغوص في خصوصياته و رغباته و استرجاع ذكرياته الأليمة منها و السعيدة و كذلك أفكاره و التطرّق إلى توقعاته المستقبلية.

ب- **الهدف من أسئلة هذا البعد :**

تهدف هذه الأسئلة إلى تجسيد تجارب الحالات (الجانحين) و خبراتهم في تنشئتهم الاجتماعية، كما يساعدني إلى التطرّق إلى الأحداث الهامة التي طبعت في ذاكرتهم من ذكريات سعيدة أو مؤلمة داخل إطار الأسرة.

هي أسئلة معظمها إسقاطيه تسمح للجانح التعبير عن تصوّراته و أن يترجم رغباته التي تكشف عنها العناصر الخيالية و العاطفية التي تميّز تجربته من خلال بناءها. كما تدفع هذه الأسئلة بالجانح إلى التساؤل إذا كان هناك شيء مفقود في حياته، و إذا كان هناك رغبة في تغيير بعض الأشياء إذا أتيحت له الفرصة.

هذه الأسئلة تجعل الجانح يتوقّع نفسه في المستقبل وفقا لتعريفه و تصوّراته عن عائلته، عن طريق الأفكار و التصوّرات التي ينشئها في مخيّلته .

3-4- تحليل المحتوى :

تم معالجة البيانات من خلال استخدام تحليل محتوى ما تمّ سرده من قصة الحياة للحالات، هذا النوع من التحليل يسمح بتسليط الضوء على تصورات حالات الدراسة و هذا عن طريق تحليل و دراسة كلامهم.

تحليل المحتوى أسلوب منظّم لتحليل مضمون رسالة معيّنة، إنه أداة لملاحظة و تحليل السلوك الظاهر للاتصال بين مجموعة منتقاة من الأفراد. و تعرّفه دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية، تحليل المحتوى على أنه " أحد المناهج المستخدمة في دراسة مضمون وسائل الاتصال المكتوبة و المسموعة بوضع خطة – منظمة- تبدأ باختيار عينة من المادة محل التحليل و تصنيفها و تحليلها كمّا و كيفا " (رشدي،2004:71)

و يعرف بيرلسون Berelson تحليل المحتوى بأنه " أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي و المنظّم للمضمون الظاهر من مواد الاتصال " .

و الحديث عن أهداف تحليل المحتوى و وظائفه تتناوله بعض الأدبيات في اتجاهين: الاتجاه الوصفي و هو الذي يركّز على الجوانب الوصفية سواء كانت كمية أو كيفية و يقتصر على رصد الظواهر دون التدخل في تفسيراتها. و الاتجاه الثاني هو الاتجاه الديناميكي و هو الذي يتعدى المستوى الوصفي فيتولى اختيار الفروض و التنبؤ بمتغيرات معينة (رشدي،2004: 71)

جاء تحليل المحتوى في هذه الدراسة من الخطاب الواضح للحالات خلال المقابلات، و قد أتاح لي هذا النموذج في الحقيقة من تحديد مسبقا أبرز الفئات بفضل استخدام دليل المقابلات و كذلك إضافة جديدة في تحليل البيانات. فتحليل المحتوى يمكن اعتباره مفيدا في الدراسات الاجتماعية باعتباره أسلوب لفهم أفضل لبعض حقائق معاشة من طرف الحالات و قياس التفسيرات الناجمة عن التدخّل خاصة في مجال الخطاب.

لذلك أرى أن تحليل المحتوى يسلط الضوء على تصوّرات الجانحين لمعاشهم و روابطهم الأسرية و عن تجاربهم في الوسط العائلي.كما أنه من المهم الإشارة هنا أن هذه الدراسة لم تستهدف تحليل مقارن لمعاش و تصوّرات الحالات المشاركين في البحث و إنمّا تمّ تحليل تجربة كل جانح على أساس فردي.

قبل القيام بالبدء بتحليل مضمون و محتويات المقابلات تمّ إجراء تحليل قبلي أي أولي للبيانات و ذلك عن طريق إعادة كتابة الحوار كما جاء على لسان الحالة ثم إعادة و تكرار قراءة حوار المقابلات و هذا ما سمح لي من التعوّد و تحديد الأفكار المتكرّرة و القوية. ثم قمت بعد ذلك بتجميع حوار المقابلات لكلّ حدث حسب الموضوعات و الأبعاد المسطرة في دليل المقابلة و التي تعد الأهداف المراد دراستها و تحليلها في هذه الدراسة و المتمثلة في: *بعد النموذج و الصورة الوالدية*، *بعد المعاش و الروابط الأسرية*، *بعد السلطة و الرقابة الوالدية*، بعد *الانحراف* و في الأخير بعد يشمل *تلخيص عام*، هي المواضع الرئيسية التي يدور حولها تحليل المحتوى .

تم بعد ذلك شرعت في المرحلة الأخيرة من هذه العملية في تحليل و تفسير النتائج وفق للإطار النظري المتبّع و للقيام بذلك قمت بإجراء تحليل و مناقشة الأبعاد ثم إجراء تحليل مستعرض لجميع المسائل التي قمت بجمعها ثم في الأخير الإجابة عن فرضيات الدراسة .

الفصل السابع: عرض و مناقشة نتائج الدراسة

I/ عرض نتائج الدراسة:

1- عرض محتوى استجابات سرد حياة الحالة الأولى
2- عرض محتوى استجابات سرد حياة الحالة الأولى
3- عرض محتوى استجابات سرد حياة الحالة الأولى
4- عرض محتوى استجابات سرد حياة الحالة الأولى

II/ استنتاج عام عن سرد حياة الحالات

III/ مناقشة نتائج الدراسة

تمهيـــد :

تمت جمع المعلومات من خلال سرد حياة الحالات المعبرة عن مجموعة من الخصائص و التي يجب القيام بتفسيرها. و تعتمد خطة تفسير هذه البيانات اعتمادا على دليل المقابلات الذي قسّم إلى 05 أبعاد. **البعد الأوّل** تمثل في بعد النموذج و الصورة الوالدية الذي يهدف إلى التعرّف و الاتجاه المباشر إلى التصوّرات التي يحملها الجانح لعائلته. **البعد الثاني** تمثل في بعد المعاش و الروابط الأسرية الذي حاولت من خلال جمع المعلومات عن خبرات الحالات مع والديهم و إلى جمع معلومات عن تكوين الأسرة كما يراها الجانح. أما **البعد الثالث** فيشير إلى السلطة و الرقابة الوالدية أي علاقة الحالات كما يتصوّرونها بالسلطة الوالدية و **البعد الرابع** خاص بالانحراف حيث قمت بتفسير تقييم ظاهرة الانحراف كما يراها المنحرف من خلال مسار حياته و تجاربه المعاشة و قمت بتفسير أسباب الانتقال إلى الانحراف و هل للأسرة علاقة في ظهور السلوكيات الجانحة حسب تصوّره و كذا مكانة جماعة الرفاق بالنسبة للمنحرف و دورها في انتقاله إلى الأعمال الجانحة. أمّا **البعد الخامس** و الأخير فهو تلخيص عام الذي يشكل نهاية أسئلة المقابلة من خلاله نفهم معنى علاقاتهم التي تشكلت مع عائلاتهم و فهم ذاتيتهم و الغوص في خصوصيتهم.

جميع الأسئلة متعلقة بأهداف الدراسة، فهذه الطريقة سمحت لي من تحقيق تلخيص مباشر عن أكبر عدد ممكن من الإجابات المتشابهة، ثم قمت بترتيب هذه الإجابات حسب ترتيب الأبعاد المراد دراستها.

I/ عرض نتـائج الدراســة:

1- عرض نتائج دراسة الحالة الأولى

1-1- عرض محتوى استجابات سرد حياة الحالة الأولى :

أ- تقديم الحالة :

- **الاسم** :فاطمــة
- **السن** : 17 سنة .
- **مكان الإقامة** : مدينة البيض .
- **المستوى الدراسي** : أولى متوسط .
- **عدد الإخوة** : 3 إخوة (1 ذكر و 2 أنثى) .
- **الحالة المدنية** : الوالدين مطلقان .
- **الأم** : 40 سنة : 4 متوسط (معاودة الزواج في ولاية خنشلة) .
- **الأب** : 41 سنة بدون وظيفة (غير مستقر في الوظيفة)
- **عدد دخول الطفلة للمراكز** : مرتين 02
- **سنة الدخول إلى المركز** : 2015
- **سبب الدخول إلى المركز** :
  - عدم وجود أسرة مستقرة.
  - الهروب من المنزل.
  - تعاطي المخدرات.
  - مصاحبة جماعة منحرفة.

- الإقامة المتكررة خارج البيت.

ب- تقديم سرد حياة الحالة الأولى:

اسمي " **فاطمة** " أبلغ من العمر 17 سنة من مدينة البيض، مستواي الدراسي السنة أولى متوسط. نحن ثلاث إخوة ولد و بنتين و أنا الابنة الكبرى. والدي مطلقين و أعيش مع أبي في البيض قبل دخولي إلى المركز. أما أمي فقد عاودت الزواج و هي تعيش الآن مع زوجها في مدينة خنشلة.

دخولي المركز كان سنة 2015 فأنا التي طلبت الدخول إليه حتى أكمل دراستي و كذلك بسبب أنني كنت أعيش بين أسرتين، بين أسرة أبي و أسرة أمي مع زوجها فلم استقر في أسرة واحدة، كما أنني عشت مشاكل كثيرة مع هذه الأسرتين. كنت دائما أشعر أن أمي لم تتمكّن من قبولي حينما كنت أعيش عندها مع أختي (*أنا حسيت أن ماما ما قدرتش تتقبلني لأنها عاودت حياتها مع رجل آخر*)، فقد كنت أشعر أنني غير مقبولة عندها في الأسرة كذلك شعرت أنها تخلت عني (سمحت فيا و تزوجت)حتى أن إعادة زواجها لم تبلغني عنه حتى بقيت 3 ثلاث أيام و هذه هي الصدمة الأولى التي تلقيتها في حياتي. في هذه الفترة شعرت أنه ليس عندي أي قيمة في هذا العائلة التي كنت أعيش فيها. أما أبي فلم أستطع التفاهم معه لما عدت أعيش عنده (*ما بقيتش أتفاهم مع أبي بزاف*)، بالإضافة أنه لم يهتم بي (*ما عطنيش اهتمام*) كذلك أنه شخص منحرف(*خارج الطريق*) و كنت لما أخطأ كان يضربني ضرب مبرح حتى وصل به الأمر أن يضربني بالسكين. كذلك كان لديه طفل غير شرعي مع امرأة أخرى، و كان يقول لي أنه هو الذي يستحق اسمي و ليس أنتي، هذا الكلام كان يؤثر عليا كثيرا (كان يقولي *هو يستاهل اسمي و أنت ما تستهليش أسمي، بقات هذا الهدرة توجعني بزاف*).

في الفترة التي كنت أعيش فيها عند أبي، لم تقم أمي بالاتصال معي و لم تبحث عني، لم يكن هناك اتصال معها و لا زيارة منها ، و كنت أراها إلاّ مرة في السنة (*نشوفها من العام العام إذا حسيت أن ماما ما متقبلنيش*). في

هذه اللحظة دخلت عند القاضية و طلبت منها أن تدخلني إلى المركز و قلت لها أنني أعيش في مشاكل و رفض و أريد العيش في مكان أكمل فيه دراستي و أبني حياتي (*مادابيا نمشي المكان الي نكمل قرايتي و نبني فيها حياتي .... و حبيت أني نبني حياتي و نعتمد على نفسي و الحياة اللي نبنيها ما نحسب عليها حتى واحد*).

فيما يخص أسرة أبي فقد كان هناك وسط غير أخلاقي (*ميليو داخل الدار*)، فبعد وفاة جدي ترك للجدة أربع 4 أبناء من بينهم أبي. جدتي كانت إنسانة غير متخلّقة (*ما شي مليحة خرجت الطريق*)كانت تعاشر العديد من الرجال (*و من بعد ولات تخدم على روحا " سمحلي على هذا الكلمة*) و كان يقبض دائما عليها متلبسة. بسبب هذه الظروف انحرف أبي كذلك (*خرج للطريق العوجة*) مع عماتي كذلك. ما عاد عمي الكبير (الله يبارك فيه) لم يعش معهم و درس و بنى حياته بعيدة عن جدتي و أبي و عماتي.

الجدة و أبي كانوا يدخنون و يتعاطون المخدرات و يشربون الخمر أمامي، أبي كان يأتي بالنساء للمنزل و يشرب معهم الخمر و أصبح كل شيء عادي بالنسبة إلي، كان في العديد من مرات يتعارك مع جدتي و كانت تخرج و تتركنا و كان دائما يلومها و يقول لها حتى أنتي كنت هكذا ".

حسب ما قالت لي أمي عن زواجها من أبي أنه كان عن طريق علاقة حب، لكن أهل أبي لم يتقبلوا أمي و عائلة أمي كذلك لم تتقبل أبي، لأن عائلة أمي كان لديها المال أما أبي كان منحرف(*خارج الطريق*)، ثم جاء اليوم الذي دخل أبي السجن بسبب المخدرات و أنا كان لدي 6 أشهر. في هذه الفترة ذهبت بنا أمي إلى منزل جدي و هناك تربيت و كبرت و لما خرج أبي من السجن كان جدي يرفض رجوع أمي إليه. لكنها رجعت و عاشت معه في منزل الجدة بطلب منها، بعد ذلك تعرّف أبي على فتاة أخرى (*قاصر*) اسمها صارة و بعدها أغتصبها و هنا بدأت المشاكل و بقيت صارة تأتي عندنا للمنزل (*سكرانة*)، أمي لم تستطع تحمّل هذا الوضع حتى طلبت منه الطلاق فطلّقها.

بعد الطلاق رفض جدي أن نعيش معه نحن الأبناء، كان يقول لأمي دائما أعطيه أولادك و عيشي حياتك ما زلتي صغيرة، هذا الكلام كان يضربني كثيرا و بالفعل ذهبنا عند أبي للعيش معه و بقيت أمي عند الجد. عند أبي عشت في حرية، كنت ألبس كما أريد و أخرج متى أريد لا يوجد من يسأل عني مع وجود المال، أحسن من الصرامة التي كانت عند جدي.

عندما كانت عندي 11 سنة عرفتني زميلاتي على شاب اسمه " كريمو " 14 سنة لم أجد من يهتم بي ما عاد هو الذي كان يهتم بي و يسأل عني (*ما صبتش في الدار الي يعطني الاهتمام – نلبس كيما نبغي – نخرج كيما نبغي ..." غير هو اللي كان يعطيني الاهتمام و يسقسي عليا*). أبي كان يرفض هذه العلاقة لأن عائلة " كريمو " غير صالحة (*خارجين الطريق*) لكنني واصلت هذه العلاقة معه بالرغم أنني وعدت أبي.

ما كان يؤلمني أن أبي في العديد من المرات كان يشك أنني أدخّن و أشرب الخمر ... حتى جاء يوم و كنت معه و كان يشرب الخمر طلب مني أن أشرب معه، هذا الفعل لم أتقبله و شعرت أنه ليست لي قيمة في هذا المنزل و أنني يتيمة (*أنا غاضتني بزاف " – و رفضت – أبي كان يشك فيا.وليت نحس في روحي ما كايناش في الدار – ما عنديش قيمة – يتيمة*). كذلك الشيء الذي كان يجرحني هو قوله لي أن "رضوان" و هو ابنه غير الشرعي يستحق اسمي أكثر منك (" *رضوان" يستاهل اسمي أكثر منك*). كل هذه الأمور جعلتني داما أشعر أنه ليس لي مكانة عند أبي و أنني مرفوضة من أسرتي.

بعد فترة تعرفت على شاب آخر " عبدو" من مدينة سعيدة بداية العلاقة كانت بمكالمات بالهاتف حتى صرت أذهب عنده إلى سعيدة، لا أحد كان يعرف أنني أذهب عنده لأنهم لا يهتموا بي و لا أحد يبحث عني، لذلك لم أشعر أنني أهرب من المنزل فكنت أشعر أن هذا الخروج هو عادي.

بعد مدة ذهبت مع " عبدو" في رحلة إلى مرسى بن مهيدي و في هذه الفترة بحثوا عني " *و أخيرا بحثوا عني* " جدتي هي التي بحثت عني عند كل فرد " فرحت و أخيرا عندي اهتمام " في الأوّل خفت أن أرجع إلى المنزل خاصة من أبي، ثم بعد رجوعي إلى المنزل ضربوني و غضبوا مني .... " في هذه اللحظة واجهتهم بالحقيقة و قلت لهم أنتم لو أنكم بحثتم عني و اهتممتم أنا لا أقوم بهذا الشيء و لا أبيت خارج المنزل لأنني من مدّة و أنا أبيت خارج المنزل و لا أحد ما بحث عني ".

بعد فترة رجعت إلى مدينة سعيدة عند "عبدو" لكن هذه المرة حدثت الكارثة، حيث تعدى عليا و قام باغتصابي بخشونة و باستعمال السكين. هذه اللحظة شعرت بالخطأ و لم أقدر الرجوع إلى المنزل لكي أبلغهم بما وصلت إليه (*حسيت بروحي أنني غلطت بزاف و ما نقدرش أرجع لدارنا و أواجههم*)، لم يبق لي اهتمام بالأسرة وكرهت كل شيء لأنني أنا من أوصلت نفسي لهذه الوضعية فلو لم أتنقل من البيض إلى سعيدة ما حدث لي هذا الأمر. رجعت إلى المنزل و أبلغتهم الحقيقة و صارحتهم " قلت لهم أنني مغتصبة من قبل عبدو ... " هذه الحقيقة لم أقدر إخفائها قلت لهم إذا قبلتموني كما أنا الآن سأكون سعيدة و إذا العكس فلا بأس لأنها غلطتي حيث أنني لم أكن أصارح أبي و كنت دائما خائفة منه (هيلا حابين تقبلوني كيما راني أنا مادابيا و هيلا العكس ما عليش وغلطة فيا مع أبي أنني ما صارحتهش و كنت دايما خايفة) " و أنا كنت أعاقب نفسي بخروجي إلى الشارع ".

رد فعل عائلتي كان عنيف و لم يتقبلوا ما قمت به (*ضربوني و ما بقوا يهتمون بي*)،كان أبي دائما يضربني حتى أوشك قتلي. العلاقة بيني و بين أبي محيت و لم تبق و كلّما أكلّمه يسبني و يقول لي كلام فاحش (*العلاقة مع بابا – مشاة – و محاة – نساة - كلما نعيطله يعايرني و يطيحلي في الهدرة .... و يقولي أنت ما شي مربية ... كرهت .....*)

بالرغم من هذه الفضيحة لكنني عاودت الذهاب إلى سعيدة عند بعض الأصدقاء الذين تعرّفت عليهم، كنت أذهب كل خميس و أرجع للمنزل يوم السبت، تعلّمت منهم أخذ المهلوسات و كنت دائما أطلب منهم تناولها ثم بعدها أقوم بلوم نفسي (*علموني نأكل الحلوة " نلصق " – ثم ضارتلي في راسي و ليت نلوم راسي – و قلت أنا ماشي فاطمة اللي نعرفها*) و كلّما ألوم نفسي ... يقولون لي أصدقائي أنت لست السبب بل عائلتك و أبواك هما السبب في وضعيتك هذه ....

في يوم و أنا مع هذه الجماعة قبضت علينا الشرطة.... و كان عندهم الخمر ... و أدخلونا السجن. كانوا يبيعون الخمر و المخدرات و أنا لم أكن أدري، لكنهم قالوا عني الحقيقة أمام الشرطة و خرجت من هذه القضية بسلام.

إذا صارحت أمي حتى أصفي ضميري (*قلت لها على كل شيء – خروجي من المنزل و خسرت شرفي ... و أن هذه الغلطة لا أريد إعادتها .... و أنا معترفة بغلطتي*) فقبلتني أمي و ذهبت عندها و كنت في حسن ظنها و ألتزمت بحجابي و بصلاتي ..... " لكن زوج الأم دائما لم يتقبل وجودي في المنزل و كان يقوم بأعمال ضدي .... لكنني تحمّلت هذا الشيء و كنت أقول هذه عقوبتي يجب تحمّلها و أنا التي أخطئت " وجدت أمي بجانبي و هذا ما أفرحني و هذه أكبر فرحة في حياتي أن أمي بجانبي حتى أنني نسيت الماضي لأنها وقفت بجانبي و تقبلتني.لكن لما كثرت المشاكل مع زوج الأم و حرمني من دراستي و أنا لا أجد شيء أبرهن بها وجودي إلا دراستي في هذه الفترة اقترحت على أمي الدخول إلى المركز حتى أكمل دراستي و حتى لا تزداد المشاكل مع زوجها. بعدها ذهبت عند القاضية و قلت لها أنني أخطأت كثيرا و أنني أسبّب مشاكل لعائلتي و أنا خائفة من هذا الوسط المنحرف (*خايفة نزيد في هذا الميليو*) ... و أريد إكمال دراستي. إذا أدخلتني المركز ثم بعد أسبوع قامت أمي بإخراجي إلى المنزل لكن زوجها كان يرفضني العيش معه فرجعت إلى المركز مرة ثانية.

أسرتي هي أسرة غير مترابطة و غير متماسكة (*كل واحد يحوس على روحه و حتى واحد ما يحوس على الآخر*) و هذه عشتها و رأيتها عند أبي عندما كنت أعيش عند. الآن سأعرف لك أسرتين : أسرة أبي هي أسرة غير متمسكة بالدين و هي أسرة منحرفة (*نتاع ميليو و حرية*). في أسرة أبي لا يوجد الاحترام عكس أسرة أمي المتمسكة بالدين ، و الذي كنت ألاحظه في أسرة أبي لم ألاحظه في أسرة أبي .

أنا لا أقتدي بأبي لأنه منحرف (*خارج الطريق*)، و في البيض كلّ الناس تعرفني أنني بنت بائع المخدرات(بنت بوبوط) و أنه منحرف (بوبوط لأن أبي كلوشار ...يعيطوله بوبوط). لكن أمي أقتدي بها كثيرا لأنها إنسانة مناضلة و ربت أسرة على الأصول و الأخلاق و متفهمة كثيرا و أنا أقتدي بها في الصبر، كانت أمنيتي أن أكون مثلها لأن كل المشاكل التي كانت عندها عالجتها. أحب كذلك أن أكون شبيهة بعمي لأنه ليس لديه مشاكل في حياته و بنا حياته لوحده و أكمل دراسته و هو الآن يحظر الدكتوراه.

أنا لا أعتبر والدي مصدر ثقة و عطف، أبي لم يكن مصدر ثقة، لأنه لم يقف معي في مشكلتي و تخلى عني إذا أنا لا أثق فيه (*كان وقت فات كان مصدر ثقة ، لكن الوقعة الأخيرة التي وقعت فيها ما وقفش معايا، تخلى عليا " ما نقدرش ندير فيه الآمان الآن " " ما نقدرش ندير فيه ثقة الآن*).

و عن المساواة في التعامل داخل الأسرة، فحينما لا أكون مخطئة أجد أن هناك مساواة كل شيء عادي و لكن لما أخطئ تكون المعاملة أخرى دائما أخواتي أحسن مني. كذلك لا يوجد مساواة بين زوج الأم و أمي كان يضرب أمي و أنا كنت أدافع عنها، هو يراعي ابنه أكثر منا لكن هذا عادي و لا أجد فيه إشكال لأنه ابنه الوحيد.

أنا لم أكتشف أمي إلا هذه السنة حينما ابتعدت عنها عرفت قيمتها (*أنا أمي لم اكتشفها بكري. هذا عام لي اكتشفتها . لما ما كنش عايشة معاها ما كنتش نعرفها .. عندما كنت نميز ما بين الناس اكتشفت ماما*)، فأنا دائما أفضل أمي في الأسرة و خالتي في المرتبة الثانية لأنها كانت دائما تلب لي احتياجاتي و هي التي بكت عني.

لا يوجد تفاهم في الأسرة، يوجد مشاكل ...والدي لم يعطوني فرصة للتعبير عن مشاعري خاصة أبي (*ماما نعبر لها لكن بابا لا*)... أنا دائما أبحث على أمي و أقول لو تذهب عني أمي أخسر حياتي ... أبي لم أعبّر له ... و لم أقل له لو تذهب عني ستضيع حياتي ..... لأنه هو ذهب و حياتي لم تضع .... بالعكس تحسّنت على ما كانت .... لأنه أنا لما خسرت أبي لم أشعر بالضياع و الحمد لله .. و تصرفاتي تحسنت على ما كانت عليه من قبل ... و أخلاقي تحسنت هي كذلك و تعلّمت العديد من الأشياء الجيدة التي لم أكن أعرفها عند أبي ... شعرت بحياتي ..كنت لما أخطأ كنت أحاسب والدي لأن أبي كان يعطيني الحرية الزائدة و لا يبحث عني (*يحب غير الدراهم و لما نغلط يحاسبني أنا هادي ما كنتش باغيتها*). لكن في هذه التجربة يوجد فيها أمور إيجابية و العديد من الأشياء عرفتها و جربتها، و عرفت أن كل شيء هي مكتوبة من عند الله (بالمكتوب).

لا أجد من يصغي إلي في العائلة و أنا كذلك لا أتحدث كثيرا ... عندي بنات خالتي أحكي لهم ... لكن في العائلة لا أتحدث كثيرا ... هي ليست عائلة التي نجتمع فيها(*كل واحد لاهي في روحه*) نجتمع إلا في الليل و في الليل يكون أبي سكران و هو الذي يتحدّث ليس أنا .... " يتكلم عن أمي كثيرا و على الظروف التي جعلته ينحرف (*يخرج الطريق*) و يكون هكذا ... " .

الوالدين لا يراقبونني و أنا لا أطلب منهم الإذن عند الخروج (*جامي طلبت الإذن*)، لما كنت عند أمي نعم حتى أنني وجدت أنه شيء غريب لما أطلب الإذن. و الحقيقة ندمت على أنني لم أكن أطلب الإذن. أنا كنت أخرج من المنزل من البيض إلى سعيدة و هم لا يدرون بذلك (*نخرج من المنزل و هما ما علابالهومش .نمشي من البيض*

لسعيدة من الخميس إلى السبت و هما يعرفوش) و والدي لا يعرفون أصدقائي و صديقاتي و لم يبحثوا من هم و عن طبيعتهم.

لما كنت أخطئ كان رد فعل والدي هو الصراخ و الضرب(*يزعفوا عليا ... و ضربوني*)، أثناء الأخطاء الأولى كانوا يتكلمون معي و يوعونني، لكن بعد ما تجاوزت حدودي حسبهم أصبحوا يضربوني و العقوبات هي الضرب. أبي هو الذي كان يعاقبني، لكن الشيء الذي كان يؤثر عليا ليس الضرب و إنما السبّ عن شخصيتي مثل كلمة " فرخة" و كان يقول لي دائما أنني أشك أنكي ابنتي (*الضرب ما يأترش فيا كيما الهدرة الي تأثر فيا .... السب عن الشخصية نتاعي ... مثل كلمة فرخة ... بابا كان يقولها لي .... خطرة كان يقولي راني حاس بلي نتي ماشي بنتي*)، و أنا أشك في أبي و لا أشك في أمي لأن أمي طاهرة عكس أبي. كذلك لما يقول أن ابني يستحق أسمي و ليس أنت ... لكن أنا أعرف أن أبي دائما لا يكون في وعيه. كنت أرغب أن ينصحني أبي... و أنه يواجهني بأخطائي... و يمدحني .... و يشكرني .... الخ و ليس العكس.

فيما يخص أسباب انحراف الشباب فكل فرد و لديه أسبابه، هناك من يقول الفراغ... فراق الوالدين ...و هناك من يقول أنني و جدت والدي يقومون بهذه الأعمال، كذلك التعرف على رفقاء السوء و أنك لا تجد من يعطيك الاهتمام....الخ. كل هذه الأمور تدفع بالشاب الخروج من المنزل و يقوم بأعمال خاطئة. أقول كذلك أن كل خطئ و له دافع، ممكن أن يكون الانحراف بسبب الضعف الديني، و هذا الضعف يكون من العائلة و الوالدين و من الأسرة التي تعيش فيها، مثلا أنا عشت في أسرة غير متمسكة بالدين. إذن لا يوجد سبب واحد.

أنا الخطأ الأوّل و الذي أحاسب و ألوم عليه نفسي و لا أقدر أن أنساها هو خروجي مع ذاك الشخص " عبدو" و أنني تناولت معه المخدرات و الخمر حتى اعتدى عليا بالسكين و تمكّن من اغتصابي. لا يوجد أي فتاة من

تحب أن تخسر شرفها و هو أمر صعب خاصة لما تأتي من شخص تثق فيه و أنا كنت أعيش مشاكل المنزل و مشاكل فراق والدي .

قبل أن يعتدي عليا كنت أثق كثيرا ب" عبدوا " و حتى هو كان يعيش نفس المشاكل التي كنت أعيشها، كان يعيش فراق والديه و كان مطرود من قبل أمه و قد تأثّرت كثيرا من وضعيته هذه (*كان يشفني*) و المشاكل التي كنت أعيشها كنت أجدها عنده (*كنت نشوفهم عنده هو*)، بالإضافة أنني كنت أجده شخص طيّب (*إنسان المليح*) و كان يعطيني الاهتمام.

فلما تكون تعيش مشاكل .... تبحث دائما من يعطيك اهتمام ...و من يعطيك النصائح ....الخ. أي واحد في هذه الدنيا إلا و يحتاج إلى آخر (*وحدك ما تقدرش*) ... أنا أبحث دائما الاستفادة من الناس ليس إلا ماديا لكن معنويا، خاصة من الكبار و إذا لا تجد من يساندك و يوعيك تنتقل إلى الآفات الاجتماعية. بعد الأخطاء التي قمت بها لم يكونوا متفهمين و كانوا دائما يكرّرون الكلام عن هذه الأخطاء (*يبقاوا دايمن عايشين مع الغلطات التي قمت بها*) .

فأنا لو كنت في مكان والدي ... أقوم بالتوعية و التوعية كثيرا ..و إذا هذه التوعية لم تنجح أبحث عن حلول أخرى ... الضرب هو آخر حل ..... أقوم بكل إمكانياتي.... و إذا لم أستطع أبحث عن الشخص الذي يمكن أن يقنعني، الذي استحي منه .." الخال أو العم مثلا " فيجب على كل فرد أن يبادر في العائلة و في تربية أبنائه و ليس فرد واحد ... يجب على الكل تحمّل المشاكل، فإذا كان الفرد يستعمل إلا العنف هنا الحل يكون غائب ...

فيما يخص رد فعل والدي من أخطائي فهو غير صحيح و غير جيّد (*ما شي مليح*)، حتى أن الضرب أصبح شيء عادي بالنسبة إلي (*ما علاباليش بيهم*) و لا يؤثر عليا بالعكس يزيدني إثارة (*يزيد يحرحرني*) .... و يجعلني أقوم بأفعال أكثر ممّا قمت به من قبل.

كذلك الشيء الذي لم يكن يعجبني عند أبي و كان يؤثر عليا هو أنه دائما يعيد نفس الكلام على أخطائي في كل زمان و مكان، سواء أثناء الأكل أو مشاهدة التلفاز ... أي مكان إلا و يتكلّم على أخطائي ... دائما يلومني ... وخاصة عندما يكون شارب الخمر و لا يكون في وعيه ...

الأصدقاء بالنسبة إلي كانوا أفراد عاديين قبل ما أخطئ.كنت أعرف عنهم بأنهم يقومون بأشياء غير صحيحة و كانت تظهر لي عادية، و كنت أجد شخصيتي و ذاتي عندهم التي لم أجدها عند والدي ... حتى جاء اليوم الذي وقعت فيه ....

حياتي المدرسية في الابتدائي عادية .... الأب لم يكن يرافقني في المدرسة : أبدا كنت أذهب وحدي و كنت أشاهد كل الأطفال يرافقهم الأب أو الأم (*كنت نشوف اللي يقراو معايا يرافقوهم و أنا لا*) .... و أصبح هذا الشيء عادي .... المعلّمات كانوا ينضرون إلي نضرة شفقة ... لأنني كنت أتحصل على المراتب الأولى و أنا بنت بائع المخدرات ... و كانوا ينصحوني كل يوم و يقولون لي(*أنتي يتيمة*) كلمة يتيمة هذه كانت تأثر عليا كثيرا، كانوا دائما يقولون لي أنتي التي تبني حياتك و واصلي.

ربما يكون للجنوح علاقة مع العائلة، أضن أن المنحرف يرد الخطأ للوالدين (*لأنهم سمحوا فيا*) ... لأنهم لم يساندونه .... لكن الشخص يجب أن يحاسب نفسه قبل كل شيء و قبل أن يلوم العائلة ... فالسبب الرئيسي

هو أنك أنت تبحث عن السبب (*السبة*) حتى تقوم بالخطأ و ترجع اللوم على الوالدين ...فتلجأ إلى التدخين و الأصدقاء و شرب الخمر وغيرها من الأعمال الخاطئة .

1-2- تحليل محتوى سرد حياة الحالة الأولى:

تميزت المقابلات مع الحالة بمجموعة من المشاعر اتجاه الوالدين و الأسرة فهي غنية بالتداعيات العاطفية العفوية، فمن خلال هذه المقابلات حاولت تحديد نسبيا عالمها العاطفي و إبراز وجهات نظرها عن المعاش العائلي و العلاقات السائدة داخل الأسرة، فوجهات نظر الحالة كشفت عن الطريقة التي ترى تاريخ حياتها و تصوراتها لعائلتها و المكانة التي تراها و تتصوّرها عند والديها و حول وضعيتهما الاجتماعية.

أ- الأسرة و المعاش اليومي لفاطمة :

أشارت تعبيرات الحالة **فاطمة** إلى ظروف الحياة و الجو الأسري داخل المنزل، و عن الخلل و الاضطراب الذي ساد العلاقات بين أفراد الأسرة كما أعطت الطفلة تعريف واضح و مباشر عن أسرتها التي تراها غير مترابطة و غير متماسكة (***أسرتي هي غير مترابطة و غير متماسكة بزاف (كل واحد يحوس على روحه و حتى واحد ما يحوس على الآخر***).

الحالة **فاطمة** التي عاشت ما بين عائلتين عائلة الأب و عائلة الأم مع زوجها بعد طلاق الوالدين حينما كان عمرها 07 سنوات أدلت بتصريحات تشير بوعيها الكبير لمعاشها الأسري التي تعيش فيه. فعندما حدثتني عن عائلتها فهي تعتبرها موطن للانحراف (***أنا في الدار كان عندنا وسط غير أخلاقي " ميليو داخل الدار***) و حسب تعبير الحالة أنها عاشت مع جدة منحرفة (***جدتي كانت إنسانة ما شي مليحة خرجت الطريق كانت عايشة مع الرجال و من بعد بقات تخدم على روحا و كانت الجدة يقبض عليها متلبسة***)، كما عبرت لي

الحالة أنها عاشت مع أب منحرف و يتاجر في المخدرات (***أبي انحرف [خرج للطريق العوجة] هو و عماتي***) (***بابا دخل السجن بسبب المخدرات***) و يأتي بالنساء إلى المنزل حتى أصبح هذا الانحراف شيء عادي داخل الأسرة. كما أنها تكلمت عن الصراع و الصراخ بين والدها و جدتها (***عدة مرات يتعارك مع جدتي و تخرج و تتركنا و يلومها يقولها حتى أنتي كنت هكذا***).

من خلال كلام الحالة **فاطمة** يمكن إعطاء مجموعة من الاستنتاجات تشرح معاشها و تكون مفسرة لانتقالها للانحراف و قيامها بأعمال جانحة، فتصريح الحالة أشار إلى أن تكوين شخصيتها متأثر بالوسط الاجتماعي و الثقافي غير الأخلاقي الذي عاشت فيه و بسلوكيات الكبار التي تلقت معهم تنشئتها الاجتماعية.

تعبّر **فاطمة** أن انحراف الشباب حسب تصوّرها سببه الأولي هو غياب الرقابة و الحدود داخل الأسرة حيث أن الوالدين يتركون أبناءهم يقومون بما يشاءون يخرجون و يدخلون إلى المنزل كما يشاءون بدون طلب الإذن. فالجو الأسري المتمثل في غياب السلطة و الرقابة الوالدية يأخذ أهمية كبرى في كلام الحالة خاصة عندما نستخلص أنها تمكنت من القول أنها لم تطلب أبدا الإذن بالخروج و أن الطلب الإذن هو شيء غريب بالنسبة إليها (***الوالدين لا يراقبونني و أنا لا أطلب الإذن عند الخروج " جامي طلبت الإذن "حتى أنه أجد أنه شيء غريب لما أطلب الإذن***) فهي توضح أن لديها الكثير من الحرية تفعل ما تشاء و أصبحت تخرج من المنزل و تذهب إلى صديقها في مدينة سعيدة لمدة ثلاث أيام متى تشاء دون أن تخشى أحد لأنه لا يوجد من يبحث عنها،و أن في المنزل لا يعرفون زميلاتها و لا يبحثون عنهم (***أنا كنت نخرج من المنزل و هما ما علابالهومش .نمشي من البيض لسعيدة من الخميس إلى السبت و هما يعرفوش)(والديا ما يعرفوش صحاباتي ما كانوش يحوصو عليهم شكون هما .عندي صحاباتي يجيو عندي دايمن للمنزل ما يعرفوهمش)***

المعاش الأسري للحالة منذ طفولتها المتمثل في اضطراب الروابط، الإفراط في الكحول و المخدرات من طرف الأب و غياب الرقابة و الحدود داخل الأسرة أثّر توجيهها نحو السلوك الانحرافي فالممارسات الأسرية اليومية المنحرفة أصبحت مصدرا لسلوكها و أصبحت الأفعال الجانحة متشربة و متعلّمة تدريجيا من خلال اتصالها اليومي **بالوالدين** (الأب و الجدة)[11] ***(أصبح كل شيء عادي بالنسبة إلي)***.

نجد تفسير ظهور السلوكيات السلبية للحالة **فاطمة** داخل الخلية الأسرية التي لم تتمكّن من التوجيه و التربية السليمة و إلى عملية التنشئة الاجتماعية عن طريق اكتسابها خبرة اجتماعية و ثقافية باعتبار أن الأسرة هي ناقلة للثقافة (**Lacan** 2001) [12] من خلال مشاركتها و تقربّها علائقيا مع الأفراد التي تعيش معهم و التي يطلق عليها **فرويد Freud** ب " التطبّع الاجتماعي " و التي يعرّفها على أنها " عملية نمو و تطوير ذات تأثير بالغ في شخصية الفرد مستقبلا " حيث نجد أن مدرسة التحليل النفسي تؤكّد على أثر العلاقة بين الوالدين و الطفل في نمو النفسي الاجتماعي و أن عملية التنشئة الاجتماعية تتضمّن اكتساب الطفل و استدخاله لمعايير والديه و تكوين الأنا الأعلى لديه[13] .

نقطة أخرى نجدها في كلام الحالة هو شعورها بالذنب و الرغبة في معاقبة نفسها تعبيرا عن صعوبات انفعالية ناتجة عن إحباطها المستمر من معاشها اليومي فقد عبّرت الحالة في العديد من جوانب المقابلات عبارات مثل (***الحقيقة ندمت)،(راني معترفة بغلطة نتاعي)،(خسرت شرفي)(أنا من أوصلت نفسي لهذه الوضعية) (و ليت نلوم راسي) (أنا ماشي فاطمة اللي نعرفها) (هذه الغلطة مانيش حاب نعودلها). (أنا كنت نعاقب***

---

[11] – يشير (j. p. Pourtois et H. Desmet , 2000) أن فالتشرب للجنوح l'imprégnation délinquante هو عامل يؤدي إلى انحراف الأطفال من خلال حقيقة انتقال مباشر للعادات و المعايير السلوكية التي تصنع الانحراف التي قد تكون مقصودة أو غير مقصودة من قبل الوالدين

[12]– يعتبر Lacan العائلة ناقلة للثقافة ، بحيث أن دورها الأساسي يتلخص في إيصال المعطيات الثقافية التي تميز المجتمع من جيل أول هو جيل الآباء إلى جيل ثان هو جيل الأبناء ، و هي بذلك تؤمن " الاستمرارية النفسية "

[13]– يرى فرويد " Freud " أن جذور التنشئة الاجتماعية عند الإنسان تكمن فيما يسمى بالأنا الأعلى .

روحي بخروجي إلى الشارع)، فالشعور بالذنب و الرغبة في تأنيب الذات و عقابها، كما تؤكده النظرية النفسية المفسرة للانحراف[14] قد يكون أحيانا سببا في الجناح، حيث يعرض الفرد نفسه للعقاب ليخفف من توتر الشعور بالذنب ".كما يرى **فرويد Freud** " أن الجانح يرتكب أفعاله المضادة للمجتمع بحثا عن العقاب و هو يفعل ذلك لأنه مدفوع بمشاعر ذنب شديدة ناتجة عن أنا أعلى مفرط في قسوته. كما يطالب بالعقاب بشكل دوري لكي يهدأ أو يعود بسبب نشأة هذا الأنا الأعلى العنيف إلى فشل حل عقدة أوديب "(خلايفية،2012:179)

ب- الأب و غياب الحدود

تدرك **فاطمة** الأساليب التربوية للأب في عدم قدرته في القيام بوظيفته الأساسية في بناء الحدود داخل الأسرة. **فاطمة** تقول أن لديها الكثير من الحرية و أن في المنزل لا يعرفون زميلاتي و لا يبحثون عنهم (***والديا ما يعرفوش صحاباتي ما كانوش يحوصو عليهم ... شكون هما ... عندي صحاباتي يجيو عندي دايمن للمنزل ما يعرفوهمش***) . **فاطمة** تقول أنها تفعل ما تشاء و أصبحت تخرج من المنزل و الذهاب مع هذا الشاب متى تشاء دون أن تخشى أحد.

كلام الحالة يبيّن غياب كفاءة الأب التربوية الذي ظهر في شكل الإهمال و انعدام الرقابة و السلطة الوالدية و في غياب النظام الذي يفرضه أي أب داخل الأسرة باعتبار أنه ممثّل للقانون كما عبّر عنه (**Lacan ;**1966) حين يؤكد أن " (لا) عند الأب هي جد مهمة في تأدية مهامه كأب، فهذه (لا) موجهة للطفل تسمح للأب بأن يقوم بوظيفته الأساسية في فرض الحدود على الطفل " فعدم قدرة الأب في بناء الحدود داخل الأسرة

[14]– نظرية الإحساس بالذنب .

يعد مؤشرا واضحا لانتقال الحالة **فاطمة** إلى الأعمال الجانحة [15] . كما أعطى le Camus أهمية كبيرة لدور الأب في إنشاء الحدود داخل الأسرة للطفل و كذلك في اكتساب القواعد حينما يشرح أن " الأب يجسد و يسن القوانين، يقوم بوضع قواعد الحياة و يفرض الحدود على الطفل، هذا الدور للمرشد المؤقت Guide provisoire يساهم كما يسميه التحليل النفسي في تكوين " الأنا الأعلى ". فالأب يسمح للطفل من استدخال الممنوعات les interdits و أن يصبح شيء فشيء مستقلا، بمعنى مسئول على أفعاله و أن يرتقي تدريجيا نحو القيم الحضارية(le Camus,2011 :p38)

حملت مظاهر السلطة بعدين مختلفين تماما عند الأب في تصور الحالة **فاطمة**، حيث بدت مفتقدة لصلاحيات السلطة الوالدية، من جهة لا قانون و لا رقابة للطفلة حيث تقول الطفلة (***بابا كان عاطيني الحرية الزايدا و ما يحوش عليا و يحب غير الدراهم و لما نغلط يحاسبني)(عشت في حرية عنده مع وجود المال)*** و من جهة أخرى بدت في غياب الحب و السب و القسوة في المعاملة عندما تتصرّف بطريقة غير صحيحة أو عند هروبها من المنزل [16] ***(كنت لما أخطأ كان يضربني ضرب مبرح حتى وصل يضربني بالسكين)*** ، ***(كلّما أكلّمه يسبني و يقول لي كلام فاحش)(السب عن الشخصية نتاعي مثل كلمة فرخة . بابا كان يقولها لي***). تصريح الحالة **فاطمة** يؤكد غياب دور الأب الذي لا يقوم بوظيفته في إشباع حاجياتها و التي سماها le Camus (2011) " بالتغذية النفسية " حيث يرى أن الوظيفة تشير إلى المساهمة الوالدية التي ترجع إلى حاجات الطفل المتمثل في " الحب و القانون " و أن وظيفة الأب حسبه تتلخّص في مجموعة العوامل

---

[15]- يشير (M. Born et f. Glowacz 2014) في كتابهما psychologie de la délinquance : أن إطار الرقابة الوالدية الضعيفة و غياب النظام المفروض من قبل الأولياء داخل الأسرة يعد مؤشرا واضحا لجنوح الأطفال .

[16]- تكلم (Hirschi et Gottfredson 1994) في كتاب psychologie de la délinquance :أن التذبذب في المعاملة للوالدين بين الإهمال و القسوة في المعاملة يتمثل في غياب الكفاءة التربوية و التي تضمن نمو عادي للأبناء في المجال الحسي و الفكري و أن حسن استعمال الرقابة الداخلية للأسرة من قبل الأولياء يساهم في الاندماج الاجتماعي السوي للطفل و كذا نقل للمعايير السلوكية للمجتمع التي سوف تستدخل تدريجيا من قبل الأطفال .

التي تعمل على الحفاظ على البناء النفسي للطفل. يقول le Camus في كتابه(un père pour grandir 2011) أن " الفرد خلال نموه لا يمكنه التطوّر بشكل صحيح إلا إذا توفرت مكونين أساسين هما الحب (العاطفة، الحنان، الاهتمام، الحماية العاطفية) و القانون (السلطة، الإطار و الحدود). فالطفل في كل مراحل عمره يحتاج إلى هذين الشكلين من الطاقة الحيوية جنبا إلى جنب (وقت المودة le temps de l'affectivité و وقت السلطة le temps de l'autorité)"(le Camus ,2011 :p64) .

كما أبدى J.M Sutter قلقا من الحرمان الأبوي من قبل دور الأب في النمو العادي للطفل، هذا الطبيب النفسي للأطفال pédopsychiatre يريد إعادة تقييم السلطة و لكن يعرفها "سلطة تتأسس على الاحترام و الحب " (le Camus,2011 :p41). من هنا يظهر بأن وظيفة الأب لها أهمية كبيرة في النمو النفسي و الوجداني للطفل .

إجابات الحالة بيّنت طبيعة معاشها للسلطة الأبوية، هذه السلطة ظهرت غير مستقرة ما بين الإهمال في غياب القواعد و الحدود داخل الأسرة أو الاستبداد بدلا من الأساليب التربوية السليمة التي كانت تنتظرها من والدها المتمثلة في الحب، التوعية، التوجيه، الاهتمام و المساعدة اللازمة ***(أنا لو كنت في مكان والدي .. أقوم بالتوعية)*** و التي كانت سبب في خيبة تصورها لدور الأب و هذا ما أشار le Camus و سمّاه بالسلطة التحررية l'autorité émancipatrice القائمة على المودة و التفتح و التحفيز حين يؤكد بأن " السلطة الحقيقية، السلطة التحررية، هي مستوحاة من الاهتمام بمصلحة الطفل و تصل فاعليتها الكاملة عندما تكون قائمة على المودة(المحبة، العاطفة) الوالدية. السلطة لا تصدر فقط من الالتزام (الإجبار) l'obligation (القانون هو القانون، هو على الجميع و يجب علينا احترام ذلك)، لكنها تصدر كذلك من التفتح (الانفتاح) l'ouverture (لديك الحق في ...) و التحفيز كذلك l'incitation(يمكنك أن تفعل هذا ..) "

(le Camus,2011:p205). كذلك ضعف الرقابة الاجتماعية الرسمية Formel و غير الرسمية Informel داخل الأسرة(Laub et Sampson 1993) يمنع إنشاء نشاط ارتباط الطفلة بالمجتمع و بالمؤسسات الاجتماعية و الاندماج الاجتماعي السليم(Pourtois J.et Desmet H. 2000: p202)

أسلوب المعاملة التربوية التي تلقتها الحالة **فاطمة** جعلتها تشعر أنها غير مقبولة ما ولّد لديها الرغبة في الانتقام و الاستمرار في القيام بالأفعال الخاطئة و جعلتها ذا شخصية ناقمة و متمردة، حيث تشير الطفلة أن الضرب لم يعد يؤثر فيها بل يزيدها إصرارا مقارنة مع السب و الشتم من قبل والدها(***الضرب ما يأثرش فيا أصبح شيء عادي بالعكس يزيد يحرحرني و نقول نزيد ما أكثر بما قمت به، السب في الشخصية نتاعي و الكلمات لي كان يقولهالي بابا مثل .فرخة . هي التي أثرت فيا).***

التركيز على التصوّرات الشخصية للحالة **فاطمة** و عن مكانتها داخل الأسرة كوّن لها صورة عن الوالدين و عن النموذج الوالدي الذي لم يعد يلبي توقعاتها كطفلة، فالطفلة تحمل أفكار خاصة تبحث التعبير عنها لكن غالبا ما أدت هذه الصورة إلى صعوبة و انزعاج في استعمال الحوار حول الأولياء .

ت- صورة الأب :

استجابات الحالة **فاطمة** بيّنت المعنى الذي حدّدته عن والدها، فالتصريحات المعبرة عن أبيها أشارة عن وجود اضطراب الصورة الأبوية و كدا عن غياب النموذج الأبوي في تصوّراتها.

تشعر الحالة **فاطمة** بعدم مقدرتها الإقتداء بأبيها نظرا للسلوكيات و التصرفات التي لاحظته عنه و أنها لا تريد أن تكون شبيهة له (***أنا لا أتقتدي بأبي لأنه لا يسير في الطريق الصحيح – خارج الطريق –***) و تضيف أن أباها يبتعد عن شخصيته كأب لأنه دائما يشرب الخمر و يتعاط المخدرات. كما حملت الحالة **فاطمة** صورة سلبية

عن أبيها بسبب غياب الدور الوالدي الذي كانت تنتظره و المتمثل في الحماية حيث عبّرت عن عدم وقوفه بجانبها و التخلي عنها بعد وقوعها في ورطة (***أنا لا أعتبر والدي مصدر ثقة و عطف: أبي كان مصدر ثقة " كان وقت فات كان مصدر ثقة " لكن الوقعة الأخيرة التي وقعت فيها ما وقفش معايا " تخلى عليا " " ما نقدرش ندير فيه الآمان الآن " " ما نقدرش ندير فيه ثقة الآن " " لني لما وقت الوقعة الأخيرة ما لقيتاهش معايا "***) .

كذلك شعور الحالة **فاطمة** بخيبة أملها من رد فعل أبيها و من طبيعة تدخلاته التي تدل على جهله لأساليب التربية السليمة، جعلها تضع نفسها مكان الأب و تدلي برأيها في التدخل الصحيح الذي انتظرته حيث أنها تأكد على ضرورة توعية الأبناء و أن الضرب هو آخر حل و إذا لم يستطع الأب حسب رأيها يقوم بالبحث عن أفراد من العائلة له أثر على الطفل مثل الخال أو العم، و تضيف أنه يجب على كل فرد من العائلة المبادرة في التربية و تحمل المشكلة و ليس إلا الأب (***لو كنت في مكان والدي ... أقوم بالتوعية و التوعية كثيرا ..و إذا التوعية لم تنجح أبحث عن حلول أخرى ... الضرب هو آخر حل***) .

نستطيع شرح عدم تماسك الحالة بالصورة الأبوية المحبوبة إلى السلوكيات الخاطئة التي كان يقوم بها أمامها (***أبي يشرب الخمر ويدخن المخدرات أمامي كذلك، يأتي بالنساء للمنزل و يشربون معه و أصبح كل شيء عادي بالنسبة إلي***) و إلى العبارات التي كان يتكلم بها معها مثل (***أنت ماشي مربية ، فرخة ...الخ***).

الصورة الذاتية و الفردية للطفلة عن والدها تكوّنت من تأثير التجارب العاطفية و علاقتها المعاشة معه. ففي العديد من مراحل المقابلات عبّرت عن النظرة الدونية التي حملتها عن أبيها بداية من إقرارها أنها بنت بائع المخدرات المعروف بإسم بوبوط (***أنا في البيض كل الناس تعرفني لأني بنت بائع المخدرات – بنت بوبوط –***

لأن أبي منحرف – بوبوط لأن أبي كلوشار–) . كما عبّرت في العديد من مراحل كلامها عن خيبة أملها من تصرفات أبيها اتجاهها و التي أشارت إلى غياب النموذج الأبوي التي كوّنته عنه خاصة عندما تأثرت من طلب أبيها شرب الخمر معه (***أبي كان يشك أني أدخن و أشرب الخمر ... حتى جاء يوم و كنت معه و كان يشرب الخمر و طلب مني أنني أشرب معه " أنا غاضتني بزاف " – و رفضت – أبي كان يشك فيا . وليت نحس في روحي ما كايناش في الدار – ما عنديش قيمة – يتيمة –***).

يمكن التكلّم عن بعد الأب كصورة التي أتت من الحالة **فاطمة** حيث يتبيّن لنا بعد هذا التحليل أن الحالة في تداعياتها خلال المقابلات العيادية أن تصوّراتها عن الصورة الأبوية نصفها بالسلبية نظرا لكونها فقيرة من حيث محتوى الحب و الحماية فالأب لم يقدم صورة نموذجية للطفلة تمكنه الإقتداء به بحيث" يجب أن تبقى صورة الأب كنموذج لأنه يبقى الشخصية العميقة للطفل "(Marcelli 1988). بشكل عام لم يلعب الأب الدور الأبوي و كذا الوظيفة الأبوية بحيث لم يستجب لحاجات الاجتماعية، المعنوية و المادية لابنته ما أثّر سلبا على البناء النفسي لها (le Camus 2011) .

ث– صورة الأم :

أدلت الحالة بأن لها شعور '' ***بالغضب*** ''ضد والدتها حيث تقول أن والدتها عاودت الزواج بدون علمها ما سبب شعورها بالتخلي عنها تقول (***ماما تخلت عني و سمحت فيا و تزوجت حتى أنها لم تبلغني بدلك حتى بقيت 3 أيام و هذه هي الصدمة الأولى التي تلقيتها في حياتي و من ذلك الحين شعرت أنه ليس عندي أي قيمة في هذه العائلة التي كنت أعيش فيها***). كما عبّرت الحالة بشعورها الرفض و عدم الاهتمام

من قبل والدتها بعد زواجها (***شعرت أن أمي لم تتمكن من قبولي، أنا حسيت أن ماما ما قدرتش تتقبلني لأنها عاودت حياتها مع رجل آخر ،إذن شعرت – حسيت – أنني غير مقبولة في الأسرة***).

معانات الحالة **فاطمة** ازدادت من خلال اضطراب علاقتها مع زوج أمها حيث أبلغتنا بعدم قبوله لها في المنزل (***زوج الأم دائما لا يقبل وجودي في المنزل و كان يقوم بأعمال ضدي***) و إلى حرمانه لها من إكمال دراستها (***زوج الأم ما لا يريد أن أكمل دراستي، يغير لي المدرسة .... دائما يجد أسباب للمشاكل***) كل هذا أدى بها إلى الاقتراح على أمها الدخول إلى المركز لمزاولة دراستها (***لما كثرت المشاكل مع زوج الأم و حرمني من دراستي و أنا لا أجد شيء أبرهن بها وجودي إلا دراستي إذا أنا اقترحت على أمي الدخول إلى المركز حتى أكمل دراستي و حتى لا تزداد المشاكل مع زوجها***).

لكن بالرغم من شعور الحالة بالغضب اتجاه والدتها، إلّا أن ما يشار إليه أنها تبحث دائما عنها (***أنا دائما أبحث عن ماما و أقول لو تذهب عني ماما أخسر حياتي***) و أنها لم تتمكّن من اكتشافها إلا بعد عيشها في المركز (***أنا أمي لم اكتشفها بكري... هذا عام لي كتاشفتها ... لما ما كنش عايشة معاها ما كنتش نعرفها***) ، إذا من السن 07 و هو سن طلاق الوالدين إلى سن 17 لم تكن لديها صورة واضحة عن أمها لكن بعدها كوّنت صورة إيجابية عن أمها التي تريد أن تقتدي بها (***أمي أقتدي بها كثيرا لأنها إنسانة مناضلة و ربت أسرة على الأصول و الاخلاق و متفهمة كثيرا و أنا أقتدي بها في الصبر***).كما أدلت لنا الحالة و بصورة مباشرة عن سعادتها بأمها لوقوفها بجانبها و تقبلها بعدما صارحتها بكل ما قامت به (***أمي وجدتها بجانبي و هذا ما أفرحني و هذه أكبر فرحة في حياتي أن أمي بجانبي حتى أنني نسيت الماضي لأنها وقفت بجانبي و تقبلتني***) .

ج- **فاطمة و الحاجة إلى الاهتمام و الاعتراف:**

أظهرت استجابات الحالة عن شعورها بالفشل في الحصول على القبول و كذلك فشلها في الشعور بالحب من قبل والديها (***شعرت بأنني غير مقبولة في الأسرة***)، كما أشارت الحالة على شعورها بفقدانها الاهتمام من قبل الأسرة و التي عبّرت عنه في العديد من جوانب المقابلات (***أبي لم يعطيني اهتمام***)،(***لا أجد من يصغي إلي في العائلة***)،(***والدي لم يعطوني فرصة للتعبير عن المشاعر***)،(***حتى واحد ما عرف بلي خرجت لأنهم ما عاطيينيش اهتمام و ما يحوسوش عليا***)،(***أنا كنت نخرج من المنزل و هما ما علابالهومش .. نمشي من البيض لسعيدة من الخميس إلى السبت و هما يعرفوش*** ..) هذه العبارات تعبّر على أنها عاشت سلوكيات تربوية أعاقت تكيّفها الاجتماعي (كالإهمال، غياب المعايير التربوية، فشل التعلّق ...الخ) و على شعورها بعدم احتلالها مكانة عند والديها كطفلة تسمح لها بالدخول في علاقة و تفاعل معهم(Fsian H . , 2006)[17]. فشعور الحالة بالانتماء و الاعتراف(Reconnaissance) من قبل الوالدين تجعلها تقوي اعتزازها بأسرتها . و قد نظم ماسلو Maslow في هرمه مستويات من الحاجات تبدأ من قاعدة الهرم بالحاجات الأولية البيولوجية ثم الحاجة إلى الأمن ثم الحاجة للحب و الانتماء، ثم حاجات تأكيد الذات ثم تحقيق الذات ثم المعرفة ثم الفهم . فإشباع الابن لإنتمائه الأسري يتم اعتمادا على تحقيقه لحاجياته الأولية من ملبس و مأكل و راحة و حماية و هي حاجات توفر له إشباع دافع الأمن، و من ثم يمهد ذلك إشباع دافع الانتماء و الذي يحدث من خلال الترابط بين أفراد الأسرة حيث يؤثر على سلوك الابن خارج الأسرة من قبيل الاعتزاز بأسرته و الخوف على ما قد يسيء إليه و يعبر الفرد على ذلك بسبل أكثر نضج كلما ازداد العمر الزمني.

[17]- . المكان يسمح للآخر بأن يدخل في علاقة مع الفرد ، و يخاطبهم و يتفاعل معهم ، و من هنا يمكن القول بأن داخل أي علاقة ، الشركاء يبدؤون في عمل تفاوضي ، غالبا مضمر ، لتحديد مكان كل واحد منهم بالنسبة للآخر (Fsian H . , 2006) .

من المهم هنا التطرق إلى العبارات الموجودة في التصوّرات الذاتية للحالة **فاطمة** التي أشارت عن تصوّراتها للوالدين، فالنموذج العلائقي المتشكل بين الحالة و بين والديها حمل الشعور بعدم الرضا و الرفض طغى على مشاعرها عبّرت عنها بعبارات مثل (***أبي لم يعطيني اهتمام- شعرت بأنني غير مقبولة في الأسرة- شعرت أن أمي لا تقبلني كابنتها- ماما تخلت عني - ليس عندي أي قيمة في هذه العائلة - أنا التي طلبت من القاضية أنها تدخلني إلى المركز و قلت لها أنني أعيش في مشاكل و رفض و أطلب الدخول إلى المركز..***) كل هذه العبارات موجود في تفسيرات الحالة يمكن ترجمتها إلى نقص من الاعتراف و القيمة و على عدم و جود مودة و التقدير من قبل الوالدين التي شعرت به الحالة. كما لا تبدو الحالة محاطة بالحماية الوالدية الكافية التي تنتظرها نستخلصها من العبارات التالية (***أنا نحب بابا ينصحني و يواجهني بالغلطة نتاعي ... و يمدحني و... ويشكرني*** ....) ما فسّر عدم رضا الحالة عن الرابطة الوالدية و يوحي إلى عدم قدرتها استدخال صورة والدية قوية.

في الأخير أستنتج أن أفعال الحالة **فاطمة** (المنحرفة) هي عبارة عن استجابة سلوكية اعتمدت على الظروف و السياق الذي عاشت فيه المتمثل في غياب الرقابة الوالدية و الحرمان العاطفي و عدم اهتمام الأولياء بها و غياب فرص التحاور و التواصل السليم معهم الذي يحتاجه إليه دائما الأبناء و كذا غياب الأساليب التربوية السليمة التي ترتكز على القيم الدينية التي تنتج السلوك السليم (***الغلطة للوالدين لأنهم سمحوا فيا ... لأنهم ما ساعدونيش***) .

ح- الأقران بديلا عن الأولياء :

اضطراب علاقات الحالة **فاطمة** مع الأب خلال التفاعلات اليومية معه جعلها تستند و تتنمذج مع أفراد آخرين نتيجة الوضعية الأسرية التي أشارت إلى معاش الأسري المضطرب للحالة و إلى غياب النموذج الأبوي الذي أثر على الصورة الأبوية التي كوّنتها عن والدها. كما أن الغياب التام للوالدين و اهتمامهم بها جعل زميلات الحالة يرشدونها على موضوع الحب و يعوّضون مهام الأسرة الغائبة (الأقران بديلا للآباء) les pairs à la place du père .

تعبّر **فاطمة** أن بداية خروجها مع الشباب كان في سن 11 و أن في هذه الفترة كان الوالدين مطلقين و شرحت الحالة **فاطمة** و بصورة مباشرة سبب ذهابها مع الأصدقاء لحاجتها للاهتمام و الاعتبار التي لم تجده في المنزل، فكان هذا الخروج بهدف التعرّف على أفراد يوفرون لها التقدير و الاهتمام و الحب الذي هو مفقود في الأسرة إشارة إلى الحرمان الوالدي التي كانت تعيشه une carence parentale. لهذا بحثت عن موضوع للحب objet d'amour في الخارج بداية ب(كريمو) ***(ما صبتش في الدار الي يعطني الاهتمام – نلبس كيما نبغي – نخرج كيما نبغي ....– " غير هو اللي كان يعطيني الاهتمام و يسقسي عليا ...)***[18].

تعلّق الحالة **فاطمة** بالآخرين يبيّن و بصورة واضحة لحاجتها لتحقيق علاقات اجتماعية تتميز بالحب و الإخلاص و التي يعرّفها Maslow " بالحاجة للانتماء و الحب " التي تقوم على مبدأ الأخذ و العطاء و تبيّن كذلك إلى حاجتها إلى تحقيق ذاتها حيث ترتبط هذه الحاجة باحترام الذات و الكفاءة الشخصية و استحسان الآخرين ، و عدم إشباع هذه الحاجة حسب Maslow يؤدي إلى عدم فاعلية الفرد و عدم مشاركته للآخرين.

[18]– الدخول في " علاقة حب " هو دخول في أبعاد أخرى مغايرة ، تساعد المراهقين على قبول أشكال أخرى معيّنة من السلطة و تساعدهم على بناء و إثبات هويتهم بحيث يعرضون أنفسهم إلى " قانون الحب " (D. Lauru , 2003) .

استناد الحالة **فاطمة** بمجموعة من المنحرفين علامة على شعورها بالاعتراف من قبل هذه المجموعة و التي زعمت الانتماء إليها و المكانة التي لم تتمكن الحصول عليها في وسطه الأسري (***لا أجد من يصغي إلي في العائلة***) (***كل واحد لاهي في روحه***) (***لو أنكم بحثتم عني و اهتممتم أنا لا أقوم بهذا الشيء و لا أبيت خارج المنزل***)، فعندما فشلت متطلبات الحالة في عملية الاعتراف من قبل الوالدين لجئت إلى البحث عن أفراد للتعلّق بهم و الاستناد إليهم و اتخاذهم نموذجا لتتفاعل معهم و هو تعبيرا عن حاجتها إلى تقدير الآخرين لها، فقد استبدلت تعلّقها بالوالدين بتعلقها بالأصدقاء أي استبدال جماعة الأقران بدل الأسرة[19] فتضيف **فاطمة** أنها وجدت عند الأصدقاء شخصيتها و ذاتها التي فقدتها عند والديها (***كنت أجد شخصيتي و ذاتي عندهم التي لم أجدها عند والدي)*** . و تشير الطفلة **فاطمة** أنه (***لما تكون تعيش مشاكل .... تبحث دائما من يعطيك اهتمام ... و من يعطيك النصائح .....الخ . أي واحد في هذه الدنيا إلا و يحتاج إلى آخر – وحدك ما تقدرش – ....***)

تصريحاتها هذه أشارت إلى أنها كانت تعيش الوحدة داخل أسرتها و أنها كانت بحاجة إلى تقدير الآخرين لها ، نجد تفسيرها في نظرية إريك فروم Erick From التحليلية التي تؤكد على" أهمية الجماعة إزاء الشخص حيث يرى أن الفرد دائما يحتاج إلى الآخرين و يحتاج مساعدتهم و حنانهم لإشباع حاجاته المتعددة و لتحقيق الطمأنينة له ".

باختصار عندما فقدت الأسرة مكانتها كمجموعة مرجعية أصبح التعلّق بجماعة الرفاق يوفّر **لفاطمة** حماية عاطفية و تعزيز الذات و فرص المشاركة التي لم تجدها داخل الأسرة " الانتماء إلى الجماعة هو مسألة تعلّق،

[19]– يشير كذلك (M. Born et f. Glowacz 2014) في كتابهما psychologie de la délinquance : أن التعلّق الضعيف مع الأولياء ، يعد عامل خطير للانتقال إلى انحراف الأطفال و أن هذا العامل يميل إلى الانخفاض مع تقدم العمر خلال المراهقة حينما تأخذ العلاقات مع الأقران و العلاقات العاطفية الخلف .

تحديد الهوية و حتى حماية لدى الشباب، فالدخول في الجماعة لا يكون فقط في الكثير من الأحيان في جو من الإغواء و التواطؤ، و لكن أيضا العديد من الشباب يتحدثون عن تجربتهم مع هذه الجماعات كقصة حب حقيقية، فالأسوأ بالنسبة إليهم يبقى في إعادة بناء حياة جديدة نحو انحراف لإثبات وجودهم في حين أنهم يشعرون بالفراغ و التخلي عنهم "(Bernard gaillard et all,2011 :p59)، **ففاطمة** التي كان خروجها من المنزل و ذهابها مع الشاب (**عبدو**) الذي هو بالنسبة إليها شبيها لها و أصبح بالنسبة إليها حل محتمل وضعته لحماية نفسها و لملئ الفراغ الذي تشعر به و البحث عن الاهتمام التي افتقدته من الأسرة (***خرجت لأنهم لا يهتموا بي و لا أحد يبحث عني – ما عاطيينيش اهتمام ما يحوسوش عليا–***) فهي إجابة محتملة لسبب حبها لهذا الشاب و هو فرد بالنسبة إليها من يهتم بها و يستمع لمشاكلها و تعيش معه نفس مشاكلها.

تحليل التفسيرات التي تحملها الحالة **فاطمة** حول انتقالها إلى الأعمال الجانحة و ارتباطها بجماعة الأصدقاء أو الهروب من المنزل يمكن إسنادها على معاشها للروابط الأسرية و إلى تجاربها المعاشة حيث أن تفسيراتها أسقطت أهمية الوسط المعيشي التي تلقت فيها تربيتها و إلى غياب الاستناد الاجتماعي الذي يحميها من الانحراف (***إذا لا تجد من يساندك و يوعيك تنتقل إلى الآفات الاجتماعية***). إن تأثير فقدان السند العائلي يجعل المراهق يشع بالاطمئنان في جماعة جديدة التي جاءت كتعويض للجماعة العائلية و يجنبه الشعور بالقلق و تساهم في بناء هويته في مرحلة المراهقة التي اعتبرها Erikson 1972 (الجانب النفس– اجتماعي للمراهق) حيث يحتاج الفرد فيها إلى تقمصات جديدة مع أقرانه و مع نماذج غير النماذج الأبوية(سوالمية ،2007). و يؤكده كذلك (Alfred adler 1937) على ما لدى الإنسان من رغبته الانتماء إلى الجماعة و حصوله على مكانة أنه " حينما يصبح الفرد على دراية بفشله، فإنه يلجئ إلى تعويض شعوره بالنقص تعويضا مبالغا، و على ذلك قد يصبح الانحراف بالنسبة إليه وسيلة لجذب الانتباه لذاته ".

خ- فاطمة و عامل الندامة :

ما يمكن الإشارة إليه من خلال المقابلات مع الحالة و من خلال محاولة تحديد عالمها العاطفي و إبراز وجهات نظرها عن المعاش العائلي و العلاقات السائدة داخل الأسرة، أن الحالة **فاطمة** تمتاز بجوانب إيجابية و قوية في شخصيتها بداية من طلبها الدخول إلى المركز بهدف إكمال دراستها و بناء حياتها لوحدها (***أنا التي طلبت من القاضية أنها تدخلني إلى المركز***)، فطلب الحالة الدخول إلى المركز يشير إلى عدم وجود إطار أسري تعيش فيه فهي طلبت إطار آخر و هو المركز ما يبيّن وجود جوانب سليمة وإيجابية في شخصية الحالة، فهي لم تدخل المركز بسبب الانحراف و إنما لرغبتها في التكيّف و إكمال دراستها و بناء حياتها التي لم تتمكن القيام بها داخل الأسرة فأرادت أن ترتكز على المركز لبناء حياتها (***أطلب الدخول إلى المركز حتى أكمل دراستي و أبني حياتي و أعتمد على نفسي ...***) .

كذلك الأشياء السليمة و الإيجابية في شخصيتها هي رغبتها في التكيّف مع المجتمع عن طريق اعترافها بالغلطات التي قامت بها و ندمها على كل شيء عبّرت عنها في العديد من أوقات الحوار (***الشخص يجب أن يحاسب نفسه قبل شيء قبل ما يلوم العائلة***) (***أنا كنت نعاقب روحي بخروجي إلى الشارع***)،(***الحقيقة ندمت***) (***راني معترفة بغلطة نتاعي***)،(***خسرت شرفي***)(***أنا من أوصلت نفسي لهذه الوضعية فلو لم أتنقل من البيض إلى سعيدة ما حدث لي هذا الأمر***) (***و ليت نلوم راسي***) (***أنا ماشي فاطمة اللي نعرفها***) (***هذه الغلطة مانيش حاب نعودلها***) (***لكن الإنسان يغلط باش يتعلم***) (***غلطتي حيث أنني لم أكن أصارح أبي و كنت دائما خائفة منه***) كل هذه التصريحات يمكن اعتبارها جوانب خاصة و إيجابية في الشخصية تمتاز بها الحالة. فهي مشاعر غدت عدم الرضا لديها و دفعتها إلى البحث عن حل لمشاكلها من خلال البحث عن مكان

اجتماعي جديد خارج الإطار الأسري الذي كانت تعيش فيه [20]، و الذي يمكنها من إيجاد إطار تربوي الذي يوفر لها الإمكانيات الممكنة للتكيّف أو الحماية و نمو أحسن و إيجاد توازن أفضل لشخصيتها. و هو ما أشار إليه Jean Marc Destaillats et All في مقالهم Relation familial à l'épreuve du handicap أن الكثير من الأطفال يرون أن الأمور هي صعبة داخل الإطار الأسري، فيقومون بالبحث عن الابتعاد عن العائلة و البحث عن أماكن أخرى (مثل مراكز الحماية ....) التي تمكنهم من إيجاد إطار تربوي خارجي الذي يوفر لهم الحماية و الذي من خلاله يحاولون إيجاد توازن للشخصية.

---

[20]- يشير (j. p. Pourtois et H. Desmet , 2000) في كتابهما relation familiale er résilience أن الجرح يظهر من خلال الضياع و عدم الرضا لدى الأطفال الذي يولد البحث مكان اجتماعي و عن إثبات الهوية خارج الخلية العائلية .

2- عرض نتائج دراسة الحالة الثانية

2-1- عرض محتوى استجابات سرد حياة الحالة الثانية

أ- تقديم الحالة :

- **الاسم** : مـروة
- **السن** : 14 سنة
- **مكان الإقامة** : مدينة مستغانم .
- **المستوى الدراسي** : أولى إبتدائي .
- **عدد الإخوة** : 3 إخوة (2 ذكور و 1 انثى) .
- **الحالة المدنية** : الوالدين مطلقان .
- **الأم** : عاملة نظافة
- **الأب** : غير معروف
- **عدد دخول الطفلة للمراكز** : 1
- **سنة الدخول إلى المركز** : 2016
- **سبب الدخول إلى المركز** :
  - الهروب من المنزل .
  - السرقة .

ب- تقديم سرد حياة الحالة الثانية :

اسمي مروة، أبلغ من العمر14 سنة من مدينة مستغانم، أنا هنا في المركز منذ سنة، أمي هي التي طلبت دخولي إلى المركز و هذا بسبب هروبي المتكرر من المنزل.

تتكوّن أسرتي من خمسة أفراد أمي و أربع إخوة 2 بنات و 2 أولاد و أنا الوسطى، كذلك تعيش معنا جدتي. تعمل أمي عاملة نظافة في المنازل و المقاهي و هي مطلقة من أبي. تمّ طلاق والدي و أنا كنت صغيرة و لا أتذكر ذلك حتى أنني لا أعرف من هو أبي (ما نعرفش بابا) لم يجلس أو تحدث معي (جامي جمع معايا ولا حكا معايا) و لا أعلم لماذا افترقا والدي حتى أن أمي لم تحك لي عن أبي أو عن سبب طلاقها منه.

لما لاحظت أمي أنني أهرب كثيرا من المنزل سأمت مني (عيات مني) و طلبت من القاضية إدخالي إلى المركز. تعامل أمي معي ليس بالشكل جيّد، فكانت كلّما تذهب إلى العمل تغلق عليا باب المنزل فأقوم بالخروج من النافذة و أذهب مع زميلاتي. كنت دائما أهرب إلى ولاية وهران، أمشي في الشارع طوال اليوم و في المساء أعود إلى مستغانم و أبيت في الخارج قرب المنزل. لما أعود إلى المنزل لا يقولون لي شيء ما عاد أنهم يسألونني لماذا تهربين(عادي ... ما يقولولي والو غير يسقسيوني علاش هربتي) و حتى أنا أحتار و أقول كيف لا أنال أي عقاب (حتى أنا نقول نورمالمو تضربني .... و ترقي عليا .... و يكون عندي أي عقاب ....).

أوّل مرة هربت من المنزل كانت أبلغ 13 سنة، و بعدها هربت عدة مرات و حتى هنا في المركز أفكّر دائما في الهروب. فأنا أهرب من المنزل لأن أمي لا تعطيني الحرية (ما كان كامل الحرية) و الطريقة التي تتكلّم معي أمي غير جيّدة (ما تهدرش معايا ماما غاية)، الحرية بمعنى أنها لا تتركني أخرج من المنزل و لا تتركني أخرج مع زميلاتي (صحاباتي) و كذلك لم تتركني أدرس(حبستني من القرايا) أنا درست إلا السنة أولى من الابتدائي بسبب شيء

بسيط (حاجة نتاع والو حبستني القرايا) و هو أنها قالت لي أنني كنت أسرق الأدوات من المدرسة لهذا لم تتركني أدرس ولم ترحمني(ما جملتش عليا) و أنا كنت صغيرة لا أعرف شيء و لا أتذكر شيء.

داخل المنزل أشعر دائما أن الكل يكرهني و لا يحبونني حتى أن أمي كانت دائما تقول لي أنها لا تحبني (هي ماما تقولهالي، تقولي ما نحبكش) و لا يوجد أحد من يثق بي (نحس بلي كامل يكرهوني و حتى واحد ما يثق فيا) و كذلك لا يتكلم معي أحد و أنا لما كنت ألاحظ أنه لا أحد يتكلم معي و لا يضحكون معي أسأم كثيرا و بقيت أهرب من المنزل (القنطة تقبضني وليت نهرب من الدار)، ليس لدي مكان محدّد أذهب إليه المهم أخرج مع صديقاتي و لا أبقى في المنزل، بعض الأحيان كنت أقوم بسرقة الأموال (نخون الدراهم) و كل الأشياء و أهرب لأنني أسأم كثيرا و لا شيء جيّد في المنزل (لأنه القنطة تقبضني و حتى حاجة ما مليحة في الدار). الخارج هو الذي كان يعجبني (غير ندور برا) في آخر مرة سرقت لأمي 3 ثلاث ملايين سنتيم و اشتريت بها الملابس، كذلك كنت أسرق الملابس من الجيران و في بعض الأحيان أقوم بحرق ملابسهم و حتى كانت أمي تطلب الشرطة و يقبضون علي. العديد من المرات كنت أسأل نفسي لماذا أقوم بالهروب من المنزل ؟ لكن أعيد نفس الغلطات بالرغم من أنني أحاول عدم الخطأ لكنني لا أقدر البقاء في المنزل(ما نقدرش نبقى في الدار).

أنا لا أتفاهم مع أمي (ما نتفاهمش مع ماما) لأنها تهتم إلا بحوائجها (لاهيا غير مع صوالحا) و أنا أتركها في حالها (نخليها على هواها). كذلك لا أريد أن أكون شبيهة لأي شخص من الأسرة، فشخصيتهم لا تعجبني و حتى أمي لا تعجبني (ماما ما راهاش تعجبني) فهي تقول كلام لا يعجبني و تقول لي كلام بذيء (تطيحلي الكلام) و تقول لي دائما خذي حوائجك و اخرجي عني من المنزل(تقولي رفدي كابتك و خرجي عليا) فهي دائما توبخني أمام الجيران (تحشمني قدام الجيران)، إذن أظن أن أمي تكرهني و لا تحبني (راها تبالي ماما تكرهني و ما راهيش تحبني) و كلّما أتذكر تلك الكلمات أفكر في الهروب.

أمي منذ صغرها و هي تقول كلام فاحش و غير أخلاقي (تقول الكلام الطايح)، حتى هي كانت تهرب من المنزل و تقوم أفعال غير جيّدة (حتى هي كانت عايشة مع هاذ الصوالح) و هذا حسب كلام جدتي. أمي منذ صغرها كان لديها أبناء غير شرعيين و هي تلد بالحرام و ليس بالحلال (كانت تولد و تقيص بالحرام ما شي بالحلال) و لما كنت في المنزل كانت تخرج أمامي لتسهر في الليل، و تدخن المخدرات أمامنا، كنت أتأسف لذلك (كانت تغيضني كي تكمي قدامي)، كانت تخرج تسهر دائما مع صديقتها في الليل، كانت " مافيا " في المنزل و أنا لا أقدر أن أتكلّم معها لأنه إذا تكلمت معها تسبني و تقول لي كلام فاحش (أنا ما نقدرش نقولها خاطر لو كان نقولها تبقى تطيحلي الكلام)، لا أقدر أن أحاسبها على أعمالها.

كانت أمي تعاشر رجل في الحرام (كان يبات و يرقد مع ماما) و أنا كنت أشاهد كل شيء و أسمع كل شيء حتى الطريقة التي كان يعنّف بها أمي، كنت أشاهد كذلك أمي بالألبسة الداخلية و هي نائمة معه في الغرفة (كنت نشوف الرجل عريان و هي لابسة بيستيي) كنت أرى كل شيء. أنا دائما أبقى محتارة في أمي (ننخلع في ماما) و أقول دائما هل هي حقيقة أمي ؟(نبقى دايمن متشوكيا) سلوكياتها تصدمني دائما، فكلّما أنظر إليها أتذكر هذه الأعمال غير الصالحة. أنا في بعض الأحيان أتفادى الخروج مع أمي لأنني كنت أخاف أن تفسد سلوكياتي و أصبح أدخن و أشرب الخمر و أقوم بتصرفات أخسر فيها حياتي (نولي ندير كيفها حتى نخسر حياتي باطل) ، و أنا هنا في المركز أحسن لا ينقصني شيء .

أمي تزوجت عدة مرات و عندها أصدقاء كثيرين (عندها بزاف الرجال) كل مرة تذهب عند أحد منهم العديد من المرات تريني صورهم (توريلي تصاورهم) بدون ملابس (عريانين)، حتى أننا نحن الإخوة كل واحد و لديه أب مختلف (كل واحد وأبوه) ليس لدينا أب واحد و نتكلم بيننا أننا لكل منا أب مختلف ... أنا دائما أبحث على أبي (نحوس على بابا بالريق الناشف) لكن حتى و لو أقابله فإنني لا أعرفه.

كانت كذلك تتركني وحيدة مع هذا الرجل في المنزل و في العديد من الأحيان كان يتعدى عليا و كان يرقد معي لكنه لم يغتصبني (كان يرقد معايا بصح ما خصرنيش)، كنت أخاف منه، و لما كنت أبلّغ أمي بذلك كانت لا تصدقني و تكذبني حتى أنها ذهبت بي إلى طبيبة أمراض النساء حتى تكذبني (دارتلي سارتافيكا و قالتلي راكي تكدبي). دائما أمي تكذبني حتى أخي كان يتعدى عليا جنسيا و أقول دائما لأمي أنها لا تتركني معه لوحدي، لكنها لا تصدقني. كان كلّما يدخل أخي السجن أكون مرتاحة (كي يدخل خويا للحبس أنا دايمن أتهنى).

معاملة أمي خاصة معي غير جيّدة تتميز بالضرب و الشتم (غير الضرب والشتم – التيو يخدم -) أي غلطة تكون المحاسبة بالضرب و هي غير مستقرة بعض الأحيان جيّدة و في بعض الأحيان أندهش من معاملتها (بعض المرات نقول منها ما كانش و البعض المرات ننخلع)، كذلك لا يوجد مساواة بيننا في المنزل فدائما تتعامل أمي مع إخوتي أفضل مني و تشتري لهم الأغراض و الأدوات المدرسية و تدرّسهم و أنا لم أدرس، دائما أحاول أن أسالها ما هو السبب لكنها لا تريد إجابتي، هي تحب كذلك جارتنا (فراح) كثيرا، تحتك بها و تضحك معها و تلعب معها ما عاد أنا لا تعاملني مثلها و أنا أقول دائما لماذا لا تضحك معي كما تضحك معها (دايمن نقول علاش ما تضحكش معايا كيما هي).

أنا أحب إلا جدتي في هذه الأسرة، أمي لا أحبها لأنها لم تتركني أدرس و لم تشبعني حنانها (ماما ما نحبهاش ، لأنه ما قراتنيش و ما شبعتنيش حنانتها) .

في هذه الأسرة لا يوجد تفاهم و لا يوجد حيوية في المنزل كل فرد يهتم بنفسه (ما كانش لومبيونس في الدار ... كل واحد في همه ...)، لا نجتمع في المنزل و لا نتكلّم مع أمي كثيرا و هي دائما تكون وحدها و تهتم بأشياء أخرى (دايما لاهيا في صوالح وحدخرين)، في أغلب الأوقات أكون وحيدة، و أمشي لوحدي فأنا دائما أشعر أنني وحيدة ليس لي أي أحد (نحس روحي وحدانية ... ما عندي حتى واحد ...).

أمي لا تهتم عند خروجي من المنزل و لا تراقبني عندما أكون في الخارج، أنا كذلك لا أطلب الإذن عند خروجي من المنزل فكلّما أتكلم معها تصيح عليا (كلما نهدر معاها تنقرش عليا) لهذا لا أطلب منها الإذن (ما نسمعلهاش و نخرج) فأنا أفعل ما أشاء و ليس كما يشاءون هم (ما نطلبش الإذن و نذير كيما نحب مشي كيما يحبو هما). عندي صديقتين لا تحبّهم أمي و لا تريدني أن أكون معهم تقول لي أن أمهاتهم غير صالحات و تقول لي أنه بسببهم أنا أهرب من المنزل لكن زميلاتي لا يقولون لي شيء فهم عاديين بالنسبة لي و أنا لا أستمع لأمي و أبقى معهم فهي أمي تشك كثيرا (ماما مسوسة و مشكاكة غير نذير حاجة نباسي عليها) .

الشيء الذي ينقصني في هذه الأسرة هي الحيوية ... الضحك .... و أن تعاملني أمي بشكل جيّد.... و أن تكون صالحة (ماما تتسقد)... كذلك لا أريد رأيت أخي(خويا هاذاك مانيش باغي نشوفه) ... حد الآن لو أخرج من المركز أذهب مباشرة عند جدتي و لا أعود إلى ذلك المنزل (ما نوليش لهاذيك الدار) حتى تصلح أمي و تصبح جيّدة أبقى معها (حتى تسقد ماما عقليتها و تولي مليحة نقد معاها). أنا الآن كل ما أقوله لأمي فهي لا تصدقني و لو تصدقني أنا أكون مرتاحة.

أرى نفسي أنني سأبقى هنا في المركز أو أبقى دائما أتنقل ما بين المراكز و سأضيع هنا في هذه المراكز ... الحل الوحيد الذي أراه هو الزواج و يكون عندي أولاد و أربيهم بشكل جيد (نربيهم غاية) ... و لما أتزوج إن شاء الله أهتم بها حتى هي فأنا لا أقدر أن أتركها (ما نقدرش نسمح فيها) .. و خاصة أنها تكبر في السن .

أطلب العودة إلى المنزل و أوقف هذه المشاكل، أكون جيّدة و لا أغبن أمي و كل من أعرفهم، لقد أطلت في المركز و أنا كبرت. أنا دائما أقول لأمي أخرجيني من المركز و سأبرهن لكي أنني تغيرت. هنا سأمت من هذا المركز لا أجد شيء أفعله هنا، لو يهديها الله و تخرجني من هنا سأبرهن لها حتى و لو إجازة، لا أعاود القيام بأي مشكلة، فأنا معترفة بأنني أقوم بالمشاكل، العديد من المرات أتأسف لوضع أمي و لا أريد إضافة لها مشاكل.

2-2- تحليل محتوى سرد حياة الحالة الثانية :

المقابلات مع الحالة " **مروة** " تميزت بوفرة المعلومات الخاصة بتصورها للمعاش و الإطار الأسري التي نمت فيه، كما تمكنت من اكتشاف وجهات نظرها عن تاريخ حياتها و تصوّراتها للأسرة و المكانة التي تشعر احتلالها عن والدتها.

أ- إخفاق الوظيفة الوالدية: Échec de la fonction parentale

ساعدت التفسيرات التي تم جمعها من تحديد السياق التي عاشت و نمت فيه " **مروة** " و الصعوبات التي واجهتها مع والدتها في انعدام العلاقات الإنسانية داخل هذه الأسرة ، فالحالة " **مروة** " ذات 14 سنة تعيش مع والدتها المطلّقة و هي لا تعرف أباها، كان دخولها إلى المركز حسب تصريحها بطلب من الأم بسبب هروبها المتكرّر من المنزل (**أمي هي التي طلبت دخولي إلى المركز و هذا بسبب هروبي المتكرر من المنزل**).

سلوك الحالة المتمثل في الهروب من المنزل و كذا طلب الأم دخولها إلى المركز هو ناتج من السياق الذي عاشت فيه " **مروة** " بداية من المعاملات التي تلقتها من والدتها و نتيجة كذلك لانعدام السلطة الراجع إلى غياب الأب داخل الأسرة، فالأم لا تملك السلطة اللازمة لمراقبة سلوك أبناءها نظرا لغياب سند الأب. فإجابات الحالة بيّنت طبيعة معاشها مع السلطة الوالدية، هذه السلطة هي غير موجودة من جهة بسبب غياب الأب و من جهة أخرى عدم قدرة الأم في فرض القواعد و النظام داخل الأسرة [21].

---

[21]- Le Camus (2011): التعريف الحالي للسلطة الوالدية (هي وظيفة مشتركة الأب و الأم) و تتمثل في حماية الطفل و ضمان تربيته و سماح نموه.

الجو الأسري المتمثل في غياب الرقابة الوالدية و غياب الحدود يأخذ أهمية كبيرة في كلام الحالة و خاصة عندما نستخلص أن في معظم كلامها تمكّنت من القول أنها لم تشعر بالاهتمام و الرقابة من قبل الأم، حيت عبرت " **مروة** " أن أمها لا تهتم بها سواء عند خروجها من المنزل و هي بدورها لا تطلب أبدا الإذن (***أمي لا تهتم عند خروجي من المنزل و لا تراقبني عندما أكون في الخارج ، أنا كذلك لا أطلب الإذن عند خروجي من المنزل***)، أو بعدم مبالاة الأم و عدم تدخلها عند هروب ابنتها من المنزل حيث أصبح كل شيء عادي (***عادي: لما أعود إلى المنزل لا يقولون لي شيء ما عاد يسألونني لماذا تهربين***)، و هذا ما سبب لها حمل سمت الشعور باللوم و خيبة أملها من طبيعة تدخلات أمها التي تدل على جهلها لأساليب التربية السليمة و إلى غياب السلطة داخل الأسرة، فالطفلة عبّرت عن حيرتها من ردود أفعال أمها و كانت دائما تتساءل عن سبب غياب رد فعل أمها عند هروبها من المنزل و انتقالها من مدينة مستغانم إلى وهران(***أنا أحتار و أقول كيف لا أنال أي عقاب***) .

غياب الأب في الأسرة ظهر أثره واضحا على حياة الحالة " **مروة** " من خلال افتقادها الحماية التي لم تتمكّن أن توفرها لها الأم. فالحالة تعرضت إلى اعتداءات جنسية من قبل رجل كانت الأم تعاشره (***كانت تتركني وحيدة مع هذا الرجل في المنزل و في العديد من الأحيان كان يتعدى عليا و كان يرقد معي لكنه لم يغتصبني ، كنت أخاف منه***)، و كذلك تعرضها لاعتداءات جنسية من قبل أخيها ما يشير إلى وجود زنا المحارم في الأسرة l'inceste (***حتى أخي كان يتعدى عليا جنسيا و أقول دائما لأمي أنها لا تتركني معه لوحدي، لكنها لا تصدقني***)، فوظيفة الأب هنا هي غائبة التي تخضع لقانون منع زنا المحارم الذي يسنه، فالأب يتدخل حسب نموذج المنع l'interdiction فهو يلعب دور المفرّق و كذلك دور المانع فهو يمنع زنا المحارم l'inceste (le camus ,2011 :p16). يشير F.Hursel أن " من بين مبادئ وظيفة الأب هو إشهار و تفعيل

قانون منع زنا المحارم داخل الإطار العائلي من خلال العلاقات الإنسانية ما بين الأفراد ". و عندما يتم إدخال هذه الموانع (الاجتماعية) فإنه يتم بناء الجهاز النفسي المسمى بالأنا الأعلى الذي سيسمح له بالتكيّف مع القوانين الاجتماعية، فالوظيفة الأبوية ليس لها طابع نفسي و ذاتي فحسب فهي أيضا وظيفة اجتماعية. إذا يمكننا القول بأن الأب يلعب دورا مهما في تشكل الأنا الأعلى، حيث أن سلطة الأب المدمجة introjectée داخل الأنا تشكل الأنا الأعلى و يفترض من الأب الانضباط حتى يؤيد منعه لزنا المحارم (Freud S.,1969) (F.Hursel , 2002.p53).

نتيجة إلى إخفاق الوظيفة الوالدية المتمثلة في الاهتمام و السلطة (wallon 1952)[22]، و أمام غياب القيم الاجتماعية والأخلاقية داخل الأسرة و نظرا لتفكك المحيط الأسري و انعدام المعايير و القواعد الأسرية ، أصبح من السهل على " **مروة** " ارتكاب سلوكيات حاولت من خلالها الهروب من الظروف المعيشية المحيطة بها حيث أنها وضعت لنفسها مسافة بطريقة أو بأخرى مع نماذجها الأولية فكان انحراف سلوكياتها و هروبها من المنزل إشارة محتملة لشعورها بالضيق و الرغبة في الابتعاد من الجو السائد في المنزل و في هذا الصدد يفترض .Bernard G et all (2011) في كتابهم Adolescents délinquants et leurs parents أن " أساس جنوح الأحداث هو وجود حالة من القلق يحددها صراع في معظم الأحيان يكون أسري كما نجد من بين الأمور الأخرى الاعتداء الجنسي لهؤلاء الشباب داخل الأسرة و التصرفات العدوانية أو المنحرفة المتكررة " (Bernard G. et all , 2011 :p14) . فوفق للفراغ الذي تركته الوظيفة الوالدية المعطلة عن تأدية مهامها المتمثلة في " الحب و القانون " (le camus ,2011)[23] و الظروف الاجتماعية داخل الأسرة، بنت

[22]- يشير wallon (1952) في كتابه " Les étapes de la socialisation chez l'enfant " أن علاقة الطفل مع أمه يحكمها " الاهتمام " (la sollicitude) ، و علاقة الطفل مع أبيه في " السلطة " (l'autorité) .

[23]- يرى J. Le Camus (2011) . أن مصطلح الوظيفة يشير إلى " المساهمة الوالدية التي ترجع إلى حاجات الطفل ، و المتمثل في الحب و القانون " .

الحالة " **مروة** " منهج لسلوكها متعدد الأوجه و التعبير متعلّق بتصورها لسلطة والدتها و على تصوّرها لنوع القواعد المفروضة عليها (***أنا أفعل ما أشاء و ليس كما يشاءون هم***).

إذا استجابات " **مروة** " أظهرت أن لديها تصوّرات سلطوية مهملة بدلا من الفرص التربوية المقدمة إليها . كما أظهرت الحالة تصوّرات لعلاقتها بالسلطة الوالدية وجود صعوبات علائقية و التي هيئت لها جوا أسريا غاب عنه تقديم التوجيه و المساعدة اللازمة التي تحتاجها. فالممارسة الضعيفة للتنشئة التي تشير إلى غياب السلطة الوالدية تهيؤ شخصية عرضة لجميع التغيرات الخارجية تنعكس على التوافق النفسي و الاجتماعي للأبناء يؤكد Le Camus (2011) أن " الفرد خلال نموه لا يمكنه التطوّر بشكل صحيح إلا إذا توفرت مكونين أساسين هما الحب (العاطفة، الحنان، الاهتمام، الحماية العاطفية) و القانون (السلطة، الإطار و الحدود) فالطفل في كل مراحل عمره يحتاج إلى هذين الشكلين من الطاقة الحيوية جنبا إلى جنب (وقت المودة le temps de l'affectivité و وقت السلطة le temps de l'autorité) ".

ب- ***الصورة و النموذج الوالدي*** : Image et modèle parental

" **مروة** " تحمل أفكار خاصة عن والدتها فعندما تتكلّم الحالة عن والدتها فهي تمثّلها أولا أنها أم غير صالحة و تقوم بحماقات أمام أطفالها داخل و خارج المنزل، فتعبيرات الحالة أشارت كلّها إلى السلوكيات الخاطئة الناتجة من أمها ما أدى بها في تكوين صورة سلبية عنها(***أمي منذ صغرها و هي تقول كلام غير أخلاقي .... تقوم أفعال غير جيّدة.... أمي منذ صغرها و هي تلد بالحرام و ليس بالحلال.... كانت تخرج أمامي لتسهر في الليل ، و تدخن المخدرات أمامنا (كنت أتأسف لذلك) (مافيا) في المنزل)*** .

تضيف " **مروة** " أن سلوكيات أمها جعلتها دائما تتساءل عن حقيقتها التي أصبحت بالنسبة لها صدمة (***أنا دائما أبقى محتارة في أمي و أقول دائما هل هي حقيقة أمي؟سلوكياتها تصدمني دائما***). في هذا الموقف أصبحت " **مروة** " تتكلّم عن الأم بدون أي مصداقية من خلال تصريحها على أن أمها تزوجت عدة مرات ولديها عدة أصدقاء (***أمي تزوجت عدة مرات و عندها أصدقاء كثيرين (عندها بزاف الرجال) كل مرة تذهب عند أحد منهم العديد من المرات تريني صورهم بدون ملابس***) و لها أيضا علاقة غير شرعية مع رجل الذي يعيش معهم في المنزل و هي تشاهد كل شيء (***أمي تعاشر رجل في الحرام و أنا كنت أشاهد كل شيء ، و أسمع كل شيء حتى الطريقة التي كان يعنف بها أمي ، كنت أشاهد كذلك أمي بالألبسة الداخلية و هي نائمة معه في الغرفة ... كنت أرى كل شيء***). " **مروة** " عاشت في وسط أسري انعدمت فيه جميع المعايير الأخلاقية، فقد عاشت في وسط أسرة مرضية une famille pathologique مع أم منحرفة (***أمي منذ صغرها و هي تلد بالحرام و ليس بالحلال***) حتى أنها تمكّنت من القول أنهم الأخوة في المنزل ليس لديهم أب واحد (***نحن الإخوة كل واحد و لديه أب مختلف (كل واحد وأبوه)ليس لدينا أب واحد و نتكلم بيننا أننا لكل منا أب مختلف***).

إذا تبنى الصورة الوالدية بفضل العلاقات الترابطية بين الوالدين و الأبناء و ظروف الحياة داخل المنزل، فسلوكيات الأطفال تتأثّر وفق النظرة التي يحملونها عن سلوكيات أولياءهم و هو الحال بالنسبة للحالة " **مروة** " التي عبّرت عن صدمتها من التصرفات الناتجة من أمها و التي جعلتها تتساءل دائما عن حقيقتها، هذه التصريحات أظهرت عن المعنى الذي حدّدته عن والدتها و التي كوّنت الصورة السلبية و المضطربة و هو ما يشير إلى غياب النموذج الذي تبحث عنه الطفلة (***كلما أنظر إلى أمي أتذكر دائما هذه الأعمال غير الصالحة ...***).

يظهر لنا أن " **مروة** " ترفض شخص الأم حيث تقول (***أنا لا أريد أن أكون شبيهة لأمي، فشخصيتها لا تعجبني، تقول كلام غير أخلاقي ، تطردني من المنزل أمام الجيران، أنا أظن أن ماما لا تحبني و كلما أتذكر كلامها أشعر الرغبة في الهروب من المنزل***). فوصف " **مروة** " للأم يرجعنا إلى أن الأم لا يمكن اعتبارها نموذج تقمصات عائلية و اجتماعية، فتصريحاتها أكّدت على عدم قدرة النموذج الوالدي المتمثل في الأم التأثير في بناء هويتها، فغياب هذا النموذج جعل الصورة الوالدية التي كونّتها الحالة عن والدتها مضطربة نتيجة السلوكيات الملاحظة عنها و العلاقات التي بنيت معها خلال التفاعلات اليومية .

إذا التركيز على التعبيرات التي أدلت بها " **مروة** " أعطت جواب صريح عن التصورات الشخصية التي تحملها الحالة عن أمها و إلى المكانة التي تراها حسب اعتقادها داخل أسرتها، كما برهنت في تصريحاتها أن الصورة السلبية التي حملتها الحالة عن والدتها أثّر على تصرفاتها باعتبار أن سلوكيات الأطفال تتأثر حسب إدراكهم لأفعال الوالدين و حسب التفسير الذي يعطونه للنموذج الوالدي.

ت- مروة و غياب مكانتها داخل الأسرة

أظهرت استجابات " **مروة** " عن شعورها بالفشل في الحصول على الحب داخل الأسرة (***داخل المنزل أشعر دائما أن الكل يكرهني و لا يحبونني***)(***أظن أن أمي تكرهني لم تبقى تحبني***) فمن خلال هذه العبارات يظهر جليا شعور بفقدان نرجسي كبير [24] و انخفاض شديد لتقدير الذات [25] و انفصال عن أي رابطة. و بخصوص مكانتها داخل الأسرة تأكّد " **مروة** " على شعورها بفقدانها القبول و القيمة داخل الخلية الأسرية و التي عبّرت عليها في العديد من جوانب المقابلات (***أمي تقول لي دائما خذي حوائجك و اخرجي عني من المنزل***

---

[24]- une déperdition narcissique majeur

[25]- une intense dévalorisation de soi

)(***لا يوجد أحد يثق بي***). و تضيف الحالة عن هذه الوضعية (***ماما لا تتكلم معي بشكل جيد أجد الهروب من المنزل هو الحل***) ***ثم تقول*** (***علاقتي مع أمي غير جيدة فهي دائما تقلل من قيمتي و تقدرني ...***).

إجابة الحالة " **مروة** " أشارت حسب اعتقادي إلى غياب مكانتها التي شعرت بها و التي كانت تنتظرها من أفراد الأسرة[26] ، كما ساعد الحوار مع الحالة إلى الاتجاه مباشرة لتصوّراتها عن عائلتها و عن علاقتها بأمها التي تتكفّل بتربيتها في غياب الأب. هذا النموذج الوالدي التي هي العلاقات العاطفية معها مضطربة و متوترة جعلت الحالة تفشل في الحصول على القبول بشكل كاف و تفقد الشعور بالحب من قبل أمها ما أثار لديها البحث عن الحلول تمثل في الهروب من المنزل كوسيلة للابتعاد من الجو الأسري المضطرب التي تعيش فيه الحالة(***كلما أتذكر كلام أمي أفكر في الهروب***).

صرحت " **مروة** " و بشكل مباشر أن أسلوب المعاملة التي تلقتها من والدتها بغير الجيّدة تتميّز بالضرب و الشتم (***معاملة أمي خاصة معي غير جيدة تتميز بالضرب و الشتم ،أي غلطة تكون المحاسبة بالضرب***)، كما أنها تفتقر إلى العدالة في المعاملة فقد بيّنت استجاباتها على قدرتها من ملاحظة أمها على أنها لا تتصرف بنفس الطريقة كما تتصرف مع أبنائها، فالحالة تصر على عدم وجود مساواة في التعامل بينها و بين إخوتها (***لا توجد مساواة فأمي تتعامل مع إخوتي أفضل مني***). و من خلال حرمانها من فرص التعليم مقارنة بإخوتها حيث عبّرت الحالة عن إحباطها[27] من حرمان الأم إدخالها إلى المدرسة(***لم تتركني أدرس و لم ترحمني***)(***أمي تشتري الأغراض و الأدوات المدرسية و تدرسهم ،دائما أحاول أن أسألها ما هو السبب لكنها لا تريد إجابتي***). كل هذه المشاعر ولّد لها الرغبة في الهروب من المنزل تعبيرا عن عدم تقبلها الظروف الأسرية الملقاة عليها، تقول

---

[26]- تعبّر المكانة عن توافق مجموعة السلوكيات التي ينتظرها الفرد شرعا من الآخرين بسبب الوضعية أو المكان الاجتماعي الذي يحتله (Lehalle H. , 1995)

[27]- الفشل المدرسي يولد دائما نوعا من الإحباط و يشكّل خطرا على الصورة الذاتية للطفل .

الحالة أنه (**ليس لدي مكان محدّد أذهب إليه المهم لا أبقى في المنزل، أقوم بسرقة الأموال و كل الأشياء و أهرب لأنني أسأم كثيرا و لا شيء جيّد في المنزل فالخارج هو الذي يعجبني)** (***القنطة تقبضني و حتى حاجة ما مليحة في الدار).***

من المهم هنا التطرّق إلى العبارات الموجودة في التصوّرات الذاتية للطفلة التي حملت طابع عاطفي نجد تفسيرها داخل الخلية الأسرية للحالة، فهي عبارات حملت مشاعر الرفض و عدم القبول و غياب الحب الذي تحتاجه من والدتها عبّرت عنها بعديد من العبارات مثل (***الطريقة التي تتكلّم معي أمي غير جيّدة .... داخل المنزل أشعر دائما أن الكل يكرهني و لا يحبونني.... لا يتكلم معي أحد .... القنطة تقبضني وليت نهرب من الدار.... أمي تكرهني لم تبقى تحبني .... ماما هي التي طلبت دخولي إلى المركز***). تصريحات الحالة " **مروة** " إذن هي دائما متجهة ضد والدتها و التي يمكن ترجمتها إلى فشلها الحصول على مكانتها عندها، فهي دائما تلقي المسؤولية على هذا النموذج التي حدّدته و هو الأم، هذه التفسيرات تسقط أهمية الوسط المعيشي الذي تلقت فيه الطفل تربيتها المليء بمشاعر الرفض و الحرمان العاطفي و عدم الاهتمام.

ث- غياب الحوار و العلاقات الإنسانية داخل الأسرة :

وفرّت تصريحات الحالة " **مروة** " معلومات تبين أنها عاشت مشاكل علائقية و تواصلية داخل الأسرة فالجو الأسري المتوتر الذي عاشت فيه أظهر انعدام التفاعلات اليومية كغياب الحوار و العدل، فالحالة **مروة** ترى أن الجو الأسري جعلها تشعر بالملل بسبب غياب الحوار و التفاعلات اليومية بينها و بين أعضاء أسرتها ما جعلها تفكّر دائما في تغيير هذا الجو من خلال خروجها إلى الشارع و الهروب الدائم من المنزل(***أنا أرى أنه لا يوجد من يتكلم معي في المنزل و لا أحد يضحك معي و لا أحد يثق بي ... أشعر أن الكل يكرهني أشعر***

بالملل أقوم بسرقة كل الأموال و الأشياء الموجودة من المنزل و أهرب ...فالخارج هو الذي يعجبني . لا يوجد شيء جميل في المنزل ، المرة الأخيرة سرقت ثلاث ملايين سنتيم من أمي و اشتريت بها الملابس)

انعدام الحوار داخل الأسرة ظهر في العديد من صور المقابلات مع الحالة، بداية أن " **مروة** " لا تحمل أي معلومات عن أبيها أو عن سبب طلاق والديها و هو دليل عن عدم توفير الأم فرص الحوار مع ابنتها للتحدث عن الأب(***لا أعرف من هو أبي ،لم يجلس أو تحدث معي و لا أعلم لماذا افترقا والدي حتى أن أمي لم تحك لي عن أبي أو عن سبب الطلاق***)، فالأب بالنسبة للطفلة هو الأب الغائب Absent و غير المعروف Inconnu (***أنا دائما أبحث عن أبي لكن حتى لو أقابله فإنني لا أعرفه***). غياب الأب عن الحالة يتجلى في غياب الكلمات التي تذكّر بوجوده من جهة و من جهة أخرى عدم تحدث الأم مع طفلتها عنه. فالحالة " **مروة** " عانت من فقدانها إلى الرابطة الأساسية التي تساهم في بناء هويتها و المتمثلة في غياب الأب عن البنية الأسرية. في هذا الموضوع يرى Lacan أن " السبب النفسي للذهان يكمن في استبعاد الأب من بنية الأسرة الناتج عن انخفاض العلاقة بين الأم و الطفل داخل الأسرة [28]. هذا الاستبعاد l’exclusion يؤثر على الأب الرمزي فالفرد يعمل كما لو أن هذا الأب غير موجود و لم يكن موجود أبدا " (Jean-Pierre Cléro , 2002 , p32). فللأبوة دورا كبيرا في تكوين الأنا الأعلى لدى الطفل، و وجود الأب سيسمح للطفل بالإحساس بوجود شخص آخر يختلف عن الأم من الناحية الفسيولوجية و النفسية و اللغوية، يشير Freud أن " الأبوة، بالرغم من أن المعاني لا يمكن أن تكشف ذلك، فهي أكثر أهمية من الأمومة، لهذا السبب يحمل الابن اسم والده و يورثه " (Le Camus ,2011 :p77). شعور الحالة " **مروة** " لافتقادها للأب هو دليل على غياب لوظيفة و مكانة الأب في سجلها الرمزي، و هذا ما أشار إليه (Lacan 1966) حين

[28]- حسب Lacan ، Forclusion يشير إلى " الخلل الذي يعطي للذهان شرطه الأساسي ، مع التكوين الذي يفصله عن العصاب "

قال أن " الأب هو الوظيفة و اسم – الأب هو الذي يؤدي الوظيفة الرمزية للأب و ليس جيناته، حيث بداخل اسم – الأب يمكننا التعرّف على الركيزة للوظيفة الرمزية. فالرابطة بين الأب و الطفل تتمثل في الاسم ".

صور أخرى التي بينت غياب الحوار داخل الأسرة هو تصريح الحالة عن غياب التفاهم و الحيوية بين أفراد المنزل (***في هذه الأسرة لا يوجد تفاهم و لا يوجد حيوية في المنزل كل فرد يهتم بنفسه***) و كذا عدم تمكّن أفراد الأسرة التجمّع أو التكلّم مع الأم (***لا نجتمع أبدا في المنزل و لا نتكلم مع أمي كثيرا و هي دائما تكون وحدها و تهتم بأشياء أخرى***). الوضعية الأسرية التي تعايشت معها الحالة" **مروة** " جعلتها تحاول التحدث مع أمها لكنها كانت تجد دائما رد فعل عنيف منها و هذا ما يشير إلى وجود صعوبة في استعمال الحوار داخل الأسرة (***أنا لا أقدر أن أتكلم معها لأنه إذا تكلمت معها تسبني و تقول لي كلام فاحش***). كما أن درجة إحساس الحالة " **مروة** " و معاناتها من هذه الوضعية جعلتها تفضل العيش في المركز على أن تعيش مع أمها (***أنا هنا في المركز أحسن لا ينقصني شيء***).

تصريحات " **مروة** " و رغبتها في تغيير الأسرة و تفضيلها العيش في المركز دليل على عدم توافقها مع النموذج الوالدي المتمثل في الأم بحيث لم تعد تلبي توقعاتها،كل هذه التصريحات تؤكد أن لسلوك الوالدين أثر على تصرفات الأبناء و حسب التفسير الذي يعطونه للنموذج الوالدي .

أعتقد أن انحراف الأطفال أو الانتقال إلى الأفعال الجانحة تصبح ممارسة أسرية يرجع إلى التجارب العاطفية المعاشة و السياق الذي يعيش فيه هؤلاء الأطفال الذي ينعدم فيه الحوار و يغيب فيه النموذج الذي يستند إليه الطفل في تصوّراته حيث أنهم يتأثرون بسلوكيات و عادات الأشخاص الذين يعيشون معهم و تصبح هذه العادات مصادر

السلوك منذ الطفولة التي تستعاب عن طريق المعاشرة اليومية فالمشكل الرئيسي يكمن في البيئة التي أعتاد عليها الطفل .

3- عرض نتائج دراسة الحالة الثالثة

3-1- عرض محتوى استجابات سرد حياة الحالة الثالثة

أ- **تقيم الحالة :**

- **الاسم** : محمّـد
- **السن** : 16 سنة .
- **مكان الإقامة** : مدينة تلمسان .
- **المستوى الدراسي** : أولى متوسط .
- **الحالة المدنية** : الوالدين مطلقان (سنة 2002) .
- **الأم** : خياطة .
- **الأب** : بدون وظيفة .
- **عدد دخول الطفلة للمراكز** : 11 مرة
- **سبب الدخول إلى المركز** :
  - حيازة المخدرات .
  - مصاحبة الجماعات المنحرفة .
  - السرقة .
  - تزوير النقود .

ب- تقديم سرد حياة الحالة الثالثة :

اسمي " محمّد "، أبلغ 16 سنة ، من مدينة تلمسان . أبي و أمي مطلقين منذ سنة 2002 و أنا كنت صغير كان عندي سنة واحدة (حسب تصريح أمي) ...حسب أمي هي طلبت الطلاق لأنها وجدت أبي مع امرأة في المنزل هي من ولاية بلعباس... هو الآن في السجن بسبب متاجرته المخدرات(هو من بكري يبيع المخدرات). و كل الناس تعرفه من عائلة يبيعون المخدرات و أبي انظم معهم في هذه تجارة، فمنذ أن كنت صغير و أنا أعرف أن أبي و أخي يبيعون المخدرات ..و عمي سارق ...و عمي الآخر يزور الوثائق ...

أنا الآن أعيش مع أمي و أخي الصغير من أمي، لأن أمي عاودت الزواج ثم طلقت، أنا من أسررت على أن تطلّق أمي زوجها لأنني لم أتفاهم معه و لم أرد أن يحمل أحد مكانة أبي(أنا ما نبغيش واحد يحكم مكان بابا). في البداية لم أكن أعرف أنه زوج أمي لأن أمي عاودت الزواج و أنا كنت صغير (كان عندي سنتين حسب تصريح أمي) فكنت أظنه أبي لكن لما كبرت و عرفت الحقيقة تعرفت على أبي و تعلّقت به، لم أقبل أن أمي تعيش مع رجل آخر. أنا قلت لأمي إما أن تختاريني أو تختاري زوجك (اختاري ولدك أو راجلك) و أنا كنت أعلم أنها إذا اختارت زوجها فستضيع حياتي (راني عارف أن أمي إلا إختارت الرجل أنا حياتي راح تضيع ...). في بعض الأحيان كنت أسرق مفاتيح المنزل و أهرب، لأنني لم أتقبل زوج أمي معنا في الأسرة (ما كنتش نحمله) و لم أكن أحبه، أنا لا أحب شخص يأخذ مكانة أبي.

لما كنت أخطئ أو أهرب من المنزل، لم يكونوا يتعاملون معي جيدا، إلا بالضرب و كنت أتحمّل و أقول هذا عادي أمي تعاملي هكذا من أجل مصلحتي، لكن لم أكن أتحمّل لما كان يضربني زوج أمي و كان يخاف أن أبلغ عمي أو أبي بذلك و هو كان يخاف منهم.

كنت أحرص على أمي أنها تحكي لي عن أبي، كانت تحكي دائما عن أبي على أنه يقوم بأفعال غير جيدة " بأنه يتاجر في المخدرات و يشرب الخمر دائما و كذلك يعاشر النساء و يصاحب رفقاء السوء إلى غيرها من الأفعال كما أبلغتني أنها هي من كانت دائما تطلب منه الطلاق بسبب سيرته حتى طلقها ". لما تحكي أمي عن أبي لا أستطيع التحمّل (أنا ما نحبش " نكره ") فأخرج للشارع و أشرب الخمر و أدخن المخدرات و بعض المرات أذهب عند أبي و أسرق له المخدرات لأبيعها أو أدخنها، في بعض الحالات أكون عدواني و أضرب الناس.

الشيء الذي جعلني أنحرف (أخرج الطريق) هو أنني لم أتحمّل طلاق أمي و أبي (أنا ما قديتش لما أبي و أمي تفارقوا ... أنا ماستحملتهاش ....) أنا لما أرى طفل مع أباه و أمه لا أتحمل ... أقول أمي في جهة و أبي في جهة لا أتحمل (لماذا هذا الشيء ؟) ... لما أرى طفل يمشي مع أباه و أمه لا أتحمل و أريد أن أقتل له أباه و أمه حتى أرتاح (نكتله باه و ماه باش أنا نرياح في عقلي ...) فأنا مرة أكون إلا مع أبي و مرة أخرى أكون إلا مع أمي....لا أنا أريد أن أكون مع أبي و أمي مع بعض .... لكن هذا الشيء مكتوب و الله هو الذي يقدّر هذا الشيء (هيلا ربي راه مكتب والدية يرجعوا دوك يرجعوا ..)

هذه المرة أنا من طلب الدخول إلى المركز لأن علاقتي مع الأسرة لم تكن جيدة (ما كنتش مليح مع دارنا ..)، كنت أقضي الليل في الخارج (كنت نبات برا) و كان أبي في السجن ... فلمّا بقيت في هذه الوضعية (لما بقيت نبات برا أنا ما قديتش البرد كلاني) قمت بأكل المهلوسات (الكاشيات) و لم أعرف ما أفعل، ذهبت إلى الشرطة و طلبت منهم القبض عليا .... ثم قدموني إلى المحكمة فحكمت عليا القاضية سنتين 2 إقامة في مركز إعادة التربية بسبب المخدرات (سنتين حتى أبلغ سن البلوغ).

لم يكن تعاملي مع أمي بشكل جيّد من قبل. لكن الآن بعد دخولي المركز تحسنت علاقتي معها كما أنني أتلقى الزيارات و المكالمات الهاتفية منها و الآن أنا أبحث الخروج من المركز.

طلبت الدخول إلى المركز لكي تتحسن سلوكياتي مع أهلي و أصبح عادي كما كنت. الآن أنا أريد الخروج من المركز لكن القاضية لا تريد ذلك قالت لي حتى تتربى (باش تتربى) ثم بكيت و أردت أن أهرب من المحكمة و الآن أنا في انتظار العطلة.

أمي خياطة لديها محل تبيع فيه لوازم الخياطة. لها مسكنها الشخصي، أنا أكون معها إلا في الليل ثم أغادر المنزل في الصباح الباكر نحو منزل جدي لأبحث عن عمل ثم أبقى في المقهى أو الحي و أمي تبقى وحدها في المنزل لما يذهب أخي الصغير إلى المدرسة.

علاقتي مع أمي مرة تكون جيّدة و مرة العكس، أنا لم أستطع هذه الوضعية (ما قديتش) فأنا أريد أبي يكون معي في المنزل. لما أرى أمي المسكينة لوحدها في المنزل و تعمل من أجلنا أريد أن أساعدها (نعونها في المصروف) و أساعدها و لو كان بخبزة المهم أساعدها، لكن أريد كما أكون أنا معها أريد كذلك أن تكون هي كذلك معي (كيما نكون معها مليح حتى هي تكون معيا مليح)، هي تحب ابنها الصغير و تتعامل معه جيدا و كذلك هي تحكم في المنزل كثيرا و أنا لا أتحمل حكمها و تصرفاتها. أمي لا تعاملني كما تعامل أخي الصغير، أخي الصغير تعامله جيدا، تتكلم معه و تستمع إليه، لكن أنا لا تستمع إلي و كلامي ليس جيدا عندها (ما تسمعليش و هدرتي دايمن ما شي مليحة)، أنا لما أتكلم معهم (أمي وجدتي) لا يريدون ذلك ، يقولون لي هذا ليس كلام تتكلم به، لكن أخي الصغير عادي (نورمال)، و أنا أكبر منه ب 5 سنوات.

القواعد و النظام و الحكم موجود إلا في أسرة أمي أين أنا أعيش (يحكموا بزاف). أمّا في عائلة أبي لا يوجد أي نظام .. تدخل متى تشاء و تخرج متى تشاء(تدخل وقتاش تحب و تخرج وقتاش تحب ...) و أنا أحب الأسرة التي ليس فيها النظام (طالقين).. أبي يعطيني الحرية و يوفر لي كل ما أريده (واش ما نحب يعطيني الدراهم أو أي شيء).من جانب أمي فهي تبحث أن تعرف كل أصحابي و من هم و تجلس معهم و تعرف عقليتهم و تحكي

معهم .. فأنا متعلّق بأصحابي بالرغم من أنهم يشربوا الخمر و المخدرات لكنهم رجال هم خمسة شبان، متى أحتاجهم أجدهم أمامي، أينما يكونوا يأتون لمساعدتي [وقتاش ما نعيطلهم و وين ما كانوا يجيوا يعاونوني، بسمحوا في عائلتهم و يجيو يعاونوني.].

لم أشعر أن لي مكانة في الأسرة (أن عمري ولا حسيت عندي بلاستي (مكانتي) في الأسرة) أشعر دائما أنني طفل متبني (أنا في هذه الأسرة نحس راسي أني إنسان مربيني " جابوني و رباوني وخلاص ") .. لما أكون في المنزل و أراهم يتكلمون مع بعضهم البعض لا أريد التكلّم و أقول أنا إنسان وجدوني في مزبلة و قاموا بتربيتي (جبروني في مزبلة و جابوني ...نقول أنا غير مربييني ...) لأنهم لا يهتمون بي، ينتبهون إلا لأخوتي ،(الانتباه يمشيلهم ليهم ما شي ليا ...) ... أنا عندي مكانتي إلا عند أخي الكبير و عمي.

لما أريد شيء أو أتكلم على شيء أو أعبر عن حاجة في خاطري فلا أجد مع من أحكي (ما نصيبيش مع من أحكي). إلا بعض المرات (خطرات) أتكلم مع أمي أو في قليل من المرات أتكلم مع أخي. كنت أحب التكلّم إلا مع خالي الصغير و زوجته هما الآن في فرنسا. أحب أن أكون شبيها لخالي لأنه عاقل و يصلي و يحب الدراسة و هو الآن يحضر الدكتوراه في فرنسا و هو بعيد عن مشاكل و أنا أحب أن أكون مثله. زوجة خالي هي مثل أختي أي حاجة أريد أن أحكيها أذهب عندها مهما كان الموضوع (مشكل مع أصحابي في المخدرات ، البنات ... أي حاجة) أحكي لها لأنها تعرفني وتحبني و هي دائما تستمع لي و تنصحني و أنا أكون مرتاح معها، ما عاد هي لا يوجد أحد في العائلة. فلما ذهبت منذ سنتين إلى فرنسا أنا ضعت (تبرديت) لم أجد مع من أتكلم ، (و نبقى نعمر في قلبي) و أشرب الخمر و آكل المهلوسات (الكشيات " 4 أو 5 كشيات ") بعدها لا أقدر التحكم في نفسي ...

في المنزل لا يوجد الحوار خاصة معي لا يريدون التكلّم معي، خاصة عائلة أمي لا يحبونني، بسبب أبي و عائلته، كذلك لأني أميل إلى أبي كثيرا و أبحث عنه كثيرا مهما أنني أعيش عند أمي لكن أميل إلى أبي كثيرا و كذلك بعض الأحيان أدخل إلى المنزل و أنا شارب الخمر فهم لا يحبون هذا الشيء.

أضن أن عائلة أمي لا يحبونني، فخالي لديه الأموال كثيرا لو أراد إخراجي من المركز لاستطاع لكنه لا يريد ذلك، قال لهم أتركوه في المركز حتى يتربى (لو كان يحب يخرجني من هذا المركز يقدر يخرجني ، لكنه ما حبش ، قالهم خليوه يتربا ....) .

والداي كانوا يثقون بي لكن الآن لا (ما بقاوش يثيقوا فيا)، لأنهم رأوني أسلك الطريق الذي أنا عليه الآن و أصبحوا يخافون مني، حتى أنا كنت أسرق أمي الأموال و الذهب و أبيعهم(4 أو 5 مرات و أنا نسرقها) و حتى الآن هي تحذر مني(ما تأمني و ما تعملش فيا الآمان) و تبقى تراقبني في المنزل. هي في الحقيقة أمي تحس بي جيدا و هي أم و أنا هنا في المركز و لا أعرف كيف هي الآن و كيف تفكر، فالأم كيف ما كانت تبقى دائما أم.

عائلة أمي (أخوالي و خالاتي) متدينين (غير نتاع صلاة و دين) يعملون و بعيدين عن المشاكل .... لكن عائلة أبي (أعمامي) كلهم دو مشاكل و سجون ... أنا لما أكون عند أمي أفتقد لأبي (أتوحش بابا ...) و لما أذهب عند أبي أرى عدة أشياء و أتعلمها (نشوف بزاف صوالح و نتعلم بزاف صوالح ...).

علاقتي مع أبي جيدة و عادية ... و أنا أحبه كثيرا ..لكنني لا أتفاهم مع زوجت أبي .... الآن أبي هو في السجن و ما زلت لم أره لأن زوجت أبي لا تتركني أن أراه ... أنا أحب إحضار التسريح من عند زوجت أبي حتى أتمكن من زيارته لكنها لا تريد إعطائي هذا التسريح هي دائما تسبقني للمحكمة عند السادسة صباحا و تأتي بالتسريح حتى تتمكن من رأيته و أنا لا أراه.

أنا دائما أبحث أن أرى أبي في السجن، لكنه لا يريد أن نراه في السجن. دائما يقول لا تأتوا بأولادي، لا أريدهم أن يروني في هذا المكان ... و أنا لا : أنا أريد أن أراه ... أنا أتفهم أبي لأنه يقول لو يأتي عندي إبني و يراني هنا فسوف يتأزم (يتشوكا) ... و بالفعل أنا لو أرى أبي في السجن أقوم بفعال غير صحيحة .. و أنا لما أفكر أعرف أن زوجة أبي لا تريدني الوصول إلى هذه الأفعال (ما راهاش حابة عليا ... تخاف عليا نشوف بابا في السجن بدير حاجة ماشي مليحة).

الآن لما أخرج من المركز أريد أن أنسحب من أصدقاء الحي و من هذا المجتمع فهم يتعاطون الخمر و المخدرات و كنت أميل إلى رفقاء السوء ... أصحاب الخمر و المخدرات ... أنا كنت أحبهم و كانوا ينصحوني كثيرا للطريق الصحيح ...(هما دايمن ينصحوني باش نبعد على هذي الطريق ....).

كنت عندما لا أجد من يهتم بي في المنزل، أقوم دائما بالخروج إلى الشارع و أقوم بالبحث عن أشخاص يهتمون بي، فهم أبناء الحي، هم في الحقيقة رجال و يفهموني و أنا أجد راحتي معهم. هؤلاء الأصدقاء منهم من هم أكبر مني سنا و يعيشون مشاكل أسرية، ففي اللحظة التي تتحدث معهم تشعر براحة و أنك تنتمي أليهم، هم يفهموني و يفهمون مشاكلي و يريدون مساعدتي.

انقطعت عن الدراسة في السنة أولى متوسط لأنني دخلت مركز لإعادة التربية. أنا دخلت 11 مرة للمراكز (عندي 11 شرع).لعدة أسباب، بسبب السرقة و مرة بسبب تزوير النقود كنا جماعة نزوّر النقود و بسبب مصاحبة جماعة منحرفة في هذه المرة أنا أقسمت أنني لا أعيد هذه الأفعال، في هذه المرة أن أقسمت لما أخرج للعطلة لا أرجع إلى المركز (راح نهرب و ما نوليش .) أنا لم أقدر العيش هنا. (و لما أهرب من المنزل و ما نوليش ما يقدروش يعملولي قضية لأني ما هربش من المركز و أنني قاصر . لو أهرب من المركز نعم ينصبون لي

قضية لأنني هربت من سجن مؤقت) أنا القاضية أدخلتني إلى المركز و أنا سوف أهرب لها من المركز فهي بإرادتها تركتني أخرج إلى المنزل و حتى أنا بإرادتي لا أرجع إلى المركز.

لا أريد البقاء في هذا المركز لأن المركز يفسد سلوكياتي (هذا المركز يزيد يسوفجني .) في هذا المركز تتعلم أشياء كثيرة غير صالحة لا تكون تعرفها من قبل، هنا المنحرفين يعلّمونك أشياء كثيرة أشياء لا تكون تعرفها في الخارج تتعلّمها هنا في المركز و لما تخرج للخارج تبقى تقوم بها. إذا هذا المركز يضيع لك حياتك و الإنسان لما يخرج يجب أن يكون سوي (يجب أن يستعقل و أنا خلاص ما قديتش " أندعرت " .) أنا آخذ المثل من أخي الكبير و أبي، فأخي دخل مرة للسجن و لم يعد لأنه تاب و لم يقدر للسجن، لكن أبي يدخل للسجن و يخرج منه عدة مرات بدون انقطاع لأنه لما يدخل للسجن يتعلم أشياء لم يكن يعرفها في الخارج و لما يخرج يبقى يقوم بالأشياء التي تعلمها. فأنا دخلت للمراكز 11 مرة لأني تعلمت أشياء غير صحيحة في هذه المراكز فلّما تكون جالس في الحي و يأتون أصدقاء السوء يطلبوا مني القيام بأعمال تعلّمتها في المركز، أقوم بها معهم و أستعرض أمامهم فيقبضوا عليا و لهذا أدخل للمركز عدة مرات. لهذا أنا لا أريد البقاء هنا لأني أتعلم عدة أشياء. هنا في المركز كل المنحرفين عنيفين (حقارين ..) يطلبوا منك ملابس و نقود. أنا هنا لا أريد أن أقوم بمشاكل حتى يكون لدي ملف نقي و يتركونني الخروج من المركز.(هنا في المركز تسمح في حقك و يسبوك لكني ما نقوم بوالو باش يكون عندي ملف نقي ويخليوني نخرج من المركز .) أذهب أبكي إلى المربيين حتى لا أقوم بمشاكل.

ما أريده آن هو أن تجتمع كل الأسرة و أحب أكثر لما أرى أبي جالس معهم. أريد أن أرى أبي أمامي جالس و يتكلم. لكن كلّما تجتمع العائلة أبي لا يكون معهم. أنا دائما أتخيّل أبي معهم لهذا لا أبقى معهم لأنني أغضب لعدم وجوده فأنا أريد أن يكون أبي معهم جالسا.

و العكس لما أكون عند عائلة أبي أتخيل أمي معنا. أنا لا أريد أن أرى هذه النظرة أن أمي في جهة وأبي في جهة أخرى، أريد أن الكل يكون مع بعضهم أبي مع أمي مع إخوتي الكل يكونوا مع بعضهم البعض. كما أرى أصحابي مع آبائهم و أمهاتهم و في الحقيقة أنا أفرح لما أرى أصحابي يحترمون والديهم و يعيشون معهم و أقول لهم أحمدوا الله أنكم تعيشون مع والديكم، أنا في هذه الحالة و أحمد الله أن عندي أمي و عندي أبي (كاين الي ما يعرف لا بابا و لا ماماه " صح و لا لا " ؟) عندي صديقي في المركز لما يقول لي أنا أبي ميت لا أتحمل و أحمد الله لأن عندي والدي على قيد الحياة.

أظن أن انحراف الشباب يكون بسبب عائلتهم، أنا مثلا لولا عائلتي ما صرت على هذا الحال. أنا سبب انحرافي هي عائلتي، سببي أبي و أمي، لأن أبي و أمي مطلقين و العلاقة بين عائلة أمي و عائلة أبي ليست جيدة (ما يتفاهموش .الريحة ما كانش بيناتهم .) و أنا لم أتحمل هذا الشيء.بالإضافة أبي منحرف يبيع المخدرات و يسرق.

أنا لو أرى أبي و أمي أطلب منهم أن يكونوا مع بعض دائما، فأنا في إحدى المرات رأيت أبي و أمي مع بعض في مكتب الشرطة لما ألقي عليا القبض، في هذه اللحظة أول مرة رأيت بابا و ماما مع بعض حتى و لو كانوا يصرخون لكني فرحت لما رأيتهم مع بعض و يتكلّموا مع بعض و بقيت أبكي وأيضا كان معهم إخوتي إذن اجتمعنا ... أنا المهم رأيتهم يتكلموا مع بعضهم البعض.

لو كان والدي يرجعوا لبعضهم أغير كل تفكيري و أصبح رجلا آخرا (أنا نبدل كامل عقليتي نولي رجل آخر ..) أنا أقول لأبي الله يهديك (أنا قلتهالو في وجهو قلتلوا الله يهديك ...) و أمي لا أقول لها أي شيء لأنها لم تفعل لي أي شيء خاطئ (ما نقولها والوا لأنها ما راها دايرتلي والوا ..).

الشيء الذي ينقصني في الأسرة هو أبي(يخص غير بابا هذا ما كان)، و أنا أتمنى أن أكون دائما مع عائلتي. لما أخرج من المركز سأبني مستقبلي و لا أتّبع الطريق الذي إتبعه أبي (ما نتبعش طريق اللي تبعوا بابا ..) و أتمنى أن تكون لي أسرة و لا أربي أولادي كما ربوني(ما نربيش أولادي كيما رباوني ..) و لا أيتم أولادي كما يتموني (أنا ما نيتمش أولادي كيما يتموني .) أنا دائما أقول لأمي أنكي و أبي يتمتموني لكن أنا لا أيتم أبدا أولادي (لكن أنا عمري ما نيتم أولادي .) مهما كان لا أيتم أولادي. و لا أطلق زوجتي مهما كانت الظروف حتى لو أنها هي من تطلب الطلاق أنا لا أطلق زوجتي. زوجتي و أولادي يكونوا دائما معي. لأن هذه التجربة التي جربتها لا أريد أن يعيشها أولادي.

3-2- <u>تحليل محتوى سرد حياة الحالة الثالثة:</u>

أ- <u>محمّد و المعاش الأسري :</u>

" **محمّد** " عاش في عائلة أحادية الوالدين une Famille Monoparentale بحيث تكفّلت به أمه بعد طلاقها من الأب. يخبرنا الأدب (la littérature) أن الشباب المنتمين إلى الجماعات المنحرفة يأتون عادة من الأسر ذات عائل واحد monoparentale و أن غياب الأب هو مسبّب هذا الوضع في العديد من الحالات بسبب الطلاق أو الموت، فهذه الأسر تفقد ركيزة الأسرة و شخصية السلطة الذي يكون بمثابة النموذج للأطفال (Hill et all , 1999) .

أبدى " **محمّد** " و عيا كبيرا عن معاشه الأسري و الخلل الذي ساد الروابط الأسرية بسبب انهيار العلاقة الزوجية بين والديه. فمن خلال المقابلات أظهر أنه يعيش وسط خلافات بين عائلتين، عائلة الأم و عائلة الأب و التي عرّفها بغير الجيّدة و أنه لم يقدر تحمّل هذا الوضع (***العلاقة بين عائلة أمي و عائلة أبي ليست جيدة (ما***

يتفاهموش ... الريحة ما كانش بيناتهم ..)(أنا لم أتحمل هذا الشيء). لعل أبرز العوامل التي أثرت في شخصية " **محمّد** " و على سلوكه هي طبيعة العلاقات التي تحكم بين الوالدين، فعدم الإنفاق و الانسجام و عدم القدرة على حل خلافاتهم أظهر صعوبة التكيّف عنده. تأثير الانفصال يمكن أن يظهر خلال المراهقة، عندما يواجه العالم الداخلي للمراهق مع حقيقة المجتمع حيث يتحتم العيش فيه (Marcelli 1986).

ما يشار إليه من خلال المقابلات مع الحالة هو أن طلاق والديه شكّل صدمة بالنسبة إليه[29] و هو مصدر حزنه و قلقه، ففي جميع تصريحاته أظهر معانات شديدة لهذا الوضع ***(أنا لا أريد أن أرى هذه النظرة أن أمي في جهة وأبي في جهة أخرى .. أنا أريد أن الكل يكون مع بعضهم أبي مع أمي مع إخوتي الكل يكونوا مع بعضهم البعض)***، كما أظهر حساسية مفرطة لغياب الأب في الأسرة***(الشيء الذي ينقصني في الأسرة هو أبي)***. هذا الوضع كان من أسباب انحراف الحالة حسب تصريحه ***(أنا سبب انحرافي هي عائلتي ، سببي أبي و أمي ، لأن أبي و أمي مطلقين ، لولا عائلتي ما صرت على هذا الحال)***.

طبيعة العلاقات الموجود بين الحالة و أسرته تشرح تماما تأثير الطلاق على المعاش و النمو النفسي و الاجتماعي لديه، فقد أظهر في البداية، الموضوع المفقود l'objet perdu المتمثل في الأب و هو متعلّق بمشاعر الحزن كما أظهر كذلك رفضه الوضعية الأسرية الجديدة لوجود شخص آخر المتمثّل في زوج الأم، فقد عرّفه بالشخص الغريب عن الأسرة و لا يمكنه أخذ مكانة الأب ***(لم أقبل أن أمي تعيش مع رجل آخر) (لم أتقبل زوج أمي معنا في الأسرة (ماكنتش نحمله)) (أنا لا أحب شخص يأخذ مكانة أبي)***.

29- le divorce comme traumatisme

تبيّن من خلال استجابات " **محمّد** " بتعلّقه الكبير بالأب بالرغم من تعريفه بالمنحرف و أنه ينتمي إلى أسرة منحرفة (***أبي منحرف يبيع المخدرات و يسرق ..***) (***هو الآن في السجن بسبب متاجرته المخدرات: هو من بكري يبيع المخدرات . و كل الناس تعرفه ... هو من عائلة يبيعون المخدرات و أبي انظم معهم في هذه تجارة . فمنذ أن كنت صغير و أنا أعرف أن أبي و أخي يبيعون المخدرات***). التعلّق الشديد بأبيه جعله يرفض جميع أشكال السلطة التي تأتي من غير الأب. فعواقب الفراق على الحياة اليومية بينه و أبيه هي واضحة. يشير Le Block أن "الأولاد يظهرون صعوبات كبيرة حين يغيب الأب و هي حالات أكثر شيوعا و سوف يظهرون عدوانية كبيرة "(Gérard P. et Elisabeth M., 1996 :p 15)

أسلوب المعاملة التربوية كذلك للحالة " **محمّد** " الذي تلقاها من الأم و أسرتها جعلته دائما يشعر بافتقارها العدالة في المعاملة، فقد بيّنت استجاباته على قدرته ملاحظة أمه على أنها لا تتصرّف بنفس الطريقة التي تتصرف بها مع ابنها الثاني (***أمي لا تعاملني كما تعامل أخي الصغير ، أخي الصغير تعامله جيدا ، تتكلم معه ، و تسمع له ، لكن أنا لا تسمع لي و كلامي ليس جيدا***)، كما أظهر انعدام التفاعلات اليومية كغياب الحوار إشارة إلى وجود مشاكل علائقية و تواصلية داخل الأسرة (***في المنزل لا يوجد الحوار خاصة معي لا يريدون التكلّم معي ....أنا لما أتكلم معهم (أمي وجدتي) لا يريدون ذلك ، يقولون لي هذا ليس كلام تتكلم به ، لكن أخي الصغير عادي***).

" **محمّد** " أعطى تفسيره الشخصي لسبب هذه المعاملات من قبل أمه و أسرتها و التي أرجعها إلى ميله و ارتباطه الكبير لأبيه و عائلته. إذ يمكن شرح اتجاه عائلة الأم la famille maternelle نحو الابن " **محمّد** " إلى الصورة السلبية التي تحملها أسرة الأم عن الأب و أن تعلّق الابن بأبيه جعلته يتماهى له il est identifié à son père في نظر الأم و أسرتها فهو بالنسبة إليهم الأب المنحرف و بائع المخدرات، كذلك إلى ظهور

سلوكيات منحرفة للابن تشبه السلوكيات التي يقوم بها الأب ما عززت نظرتهم إليه(**بسبب أبي و عائلته ،لأني أميل إلى أبي كثيرا و أبحث عنه كثيرا مهما أنني أعيش عند أمي لكن أميل إلى أبي كثيرا ....علاقتي مع أبي جيدة و عادية .. و أنا أحبه كثيرا**) (***لا يثقون بي لأنهم رأوني أسلك الطريق الذي أنا عليه الآن و أصبحوا يخافون مني***) .

ما ينبغي الإشارة إليه أن تفكك الأسرة و المشاكل العلائقية المترتبة عنها سواء بين أسرة الأم و أسرة الأب أو بين الابن و أسرته تبيّن أنه ضحية الخلفية الأسرية و أن العلاقات العاطفية معه جعلته يفشل في الحصول على القبول و الحب، حيث أن النموذج العلائقي المتشكل بينه و بين أسرته (أسرة الأم) يحمل الشعور بعدم الرضا و الرفض الذي طغى على مشاعره. فقد صرّح " **محمّد** " بشكل مباشر عن عدم احتلاله مكانة داخل الأسرة (**لم أشعر أن لي مكانة في الأسرة**)، كما أظهر شعورا بفقدان نرجسي كبير[30] مع انخفاض واضح في تقدير الذات خاصة حينما عبّر عن شعوره بأنه طفل متبني و أتوا به من مزبلة و تم تربيته و هو تعبيرا واضحا لشعوره بعدم الاعتراف و إلى افتقاده لرابطة الانتماء[31] لهذه الأسرة (***أشعر دائما أنني طفل متبني (جابوني و رباوني وخلاص) ... أتوا بي من مزبلة و قاموا بتربيتي***).

الحياة الاجتماعية غير المقبولة و العلاقات العاطفية المضطربة أصبحت صدمة نفسية أعاقت النمو النفسي و الاجتماعي ل" **محمّد** " و التي أثارت حدوث سلوكيات مضطربة لديه مثل تناوله المخدرات و الخمر و الهروب من المنزل كوسيلة لخفض التوتر الناتج عن القلق و الابتعاد عن الجو الأسري المضطرب الذي يعيش فيه، لاحظ G. Heuyer أن " القلق هو أساس كل سلوك منحرف من قبل الأحداث و كل اضطراب في السلوك " (

30- déperdition narcissique majeur

31- lien de filiation

(Bernard G. et all ,2011,p 36). فقد قام بالهروب مرتين من المنزل تعبيرا عن الغضب و الإحباط المستمر [32]. فهو يعبّر عن معاش يظهر على شكل صعوبات علائقية مع أمه و خاصة مع الأسرة التي لا تتوانى في عدم تقييمه و تأنيبه.

الفرضية النفسية l'hypothèse psychopathologique تظهر وجود اكتئاب نرجسي[33] مع اضطرابات كبرى في التعلّق. فهو " **محمّد** " يظهر حساسية مفرطة من الوضع الذي يعيش فيه و يحتاج إلى اهتمام خاص من قبل الأم و أسرتها. يميل دائما إلى انتقاد البيئة الأسرية و يبحث دائما عن المرجع Référence المتمثل في الأب.

أمّا عن تناوله الكحول و المخدرات، فيبدو أن الاعتماد على هذه المؤثرات العقلية les psychotropes بالنسبة إليه هو استجابة لشعوره بالغضب في الكثير من الأحيان. فالقلق الذي ينشأ و الأعراض التي يشعر بها بعد ذلك (الأحاسيس الداخلية ، التوتر ...الخ) يمكن أن تهدأ عن طريق تناول الكحول أو المهلوسات التي تأخذ مكانا هامة في وجودها، حيث يكون خاضعا لها عقليا و جسديا[34] طيلة اليوم تمكّنه من تحمّل النقص.

هذه الحالة من التوتر المزمن[35] يمكن أن تؤدي به إلى عدم تحمّل الإحباط و أن تكون له بذلك ردود أفعال اندفاعية اتجاه هذا الإحباط، فقد أظهر " **محمّد** " ثقة ضعيفة في قدرته على إدارة عواطفه دون مساعدة خارجية، له مزاج حزين[36] و انخفاض واضح في تقدير الذات ما أدى به القيام بأفعال جانحة.

32- يشير Meier أن " الانحراف عبارة عن استجابة نمطية عن القلق الناتج عن الإحباط المستمر .

33- dépression narcissique

34- mentalement et physiquement

35- tension chronique

36- humeur triste

ب- مسألة الأب : الأب محبوب لكنه ليس الأب المثالي

لعل أبرز ما يمكن ذكره في حياة الابن " **محمّد** " هو غياب الأب عن بنية الأسرة، فلم يتسن العيش معه في أسرة واحدة و في بيت واحد، بحيث لم يذكر الحالة في تداعياته صورا تتمثّل فيها الأب و البيت في وضعية علائقية. هذا الغياب أثّر على حياته المعيشية و ظهر واضحا على تشكيل سلوكياته غير السوية و في عدم قدرته التكيّف مع المجتمع الذي يعيش فيه فالأب لم يوقّع حضوره في تكوين شخصية " **محمّد** " و في بناء هويته و في تقوية قدراته الاجتماعية باعتبار أن الأب يعد عامل التسامي un agent de sublimation و المثال الحي لتحويل الطاقة الليبيدية إلى طاقة اجتماعية وفقا لتعريف Freud.

ما يشار إليه هو أنه بالرغم من غياب الأب إلا أن هذا لم يخفي رغبة " **محمّد** " في التعلّق به (***أريد أن أرى أبي أمامي جالس و يتكلم***)، فكل تصريحاته أشارت إلى افتقاده له، كما أبدى غضبه لعدم وجوده عندما تجتمع الأسرة ما يسبب له الخروج من المنزل (***الشيء الذي ينقصني في الأسرة هو أبي ..... أغضب لعدم وجود أبي .... كلما تجتمع العائلة أبي لا يكون معهم . أنا دائما أتخيل أبي معهم لهذا لا أبقى معهم لأنني أغضب لعدم وجود أبي***).

تعلّق " **محمّد** " بالأب جعله يرفض كل أشكال السلطة التي تأتي من الأم (***تحكم في المنزل كثيرا و أنا لا أتحمل حكمها و تصرفاتها***). كما أظهر رفضه الكبير في وجود زوج الأم في الأسرة فقد أعتبره شخص غريب عن الأسرة و لا يمكنه أخد مكانة الأب. فهو من أصّر على طلاق الأم من زوجها .

" **محمّد** " يحب أباه لكنه ليس الأب المثالي بالنسبة إليه l'enfant aime son père mais c'est pas le père model pour lui ، فقد عرّفه في العديد من مراحل كلامه أنه شخص منحرف الذي يدخل

السجن عدة مرات بدون انقطاع و ينتمي إلى أسرة منحرفة (***أبي منحرف يبيع المخدرات و يسرق ..هو من عائلة يبيعون المخدرات و أبي انظم معهم في هذه تجارة***). كما أن حديث الأم عن الأب رسخت له صورة مضطربة عن أبيه، فالأم دائما تعطي صورة سلبية عن زوجها حينما تتكلّم عنه يقول " **محمّد** " أنه دائما يحرص على أمه أن تحكي له عن أبيه، لكنها دائما تعطي له صورة سلبية عنه و أنها هي من طلبت الطلاق بسبب سيرته المنحرفة. مكانة الأب لا يمكن بلوغها إلا من خلال الصورة الإيجابية التي تعكسها الأم عن الزوج فهي التي تأهّل الأب من خلال إسقاط عنه صورة مثالية (Alain Bouregba ,2004 :p48)، في هذه الحالة فإن الأب بالنسبة للأم هو رجل "منحرف و الذي ينتمي إلى أسرة منحرفة تتاجر في المخدرات بحيث أن بسبب سلوك الأب و انحرافه تفككّت الأسرة و أصبحت إلى ما هو عليه" و هذا ما جعل الصورة الأبوية مفككة عند"**محمّد**".

تعبيرات " **محمّد** " حملت سمات الغضب و اللوم من الأب بسبب ما ترتب عن تصرفاته المنحرفة التي تسببت في تفكك الأسرة يقول (***أنا أقول لأبي الله يهديك.... لقد قلتها له في وجهه***) فقد تمّ استثمار صورة الأب على النحو أنه عاجزا على استيعاب الطفل و حماية الأسرة من الضياع ، كما صرح " **محمّد** " أنه عند خروجه من المركز سيبني مستقبله و لا يتّبع الطريق الذي إتبعه أباه، فهو بمثابة تصريح مباشر إلى الغضب و اللوم الذي يحمله الابن عن الأب و أنه ليس الأب النموذجي الذي يجب الإقتداء به. فالابن " **محمّد** " يحب أباه لكنه ليس أباه المنحرف الذي يحبه il aime son père mais c’est pas le père délinquant qui l’aime

ت- <u>مسألة الأم : الأم المتعددة الأوجه</u>

تحتل الأم مجالا كبيرا في كلام الابن " **محمّد** "، فهي التي تتكفّل به بعد طلاقها من الأب. فإذا أردنا إبراز العلاقة أم/طفل أي علاقة " **محمّد** " بأمه حسب تصوّره فنجد أن تصريحاته تحمل عدّة أوجه Facette عن الأم، فقد

وصفها بالأم الحامية التي يحبها و الأم المتسلطة التي تفرض قواعدها داخل المنزل و الأم التي تفتقر إلى أساليب المعاملة الجيّدة المتمثلة في غياب الاهتمام و العدالة في وجود أخ آخر،و الأم التي يلومها تعبيرا عن الوضعية الأسرية التي يعيشها " **محمّد** " حاليا .

أدلى " **محمّد** " في بداية تصريحاته تعاطفا كبيرا مع أمه، فهو يقدّر مجهوداتها في التكفّل بأبنائها في غياب سند الأب حيث أبدى رغبته في مساعدتها (***لما أرى أمي المسكينة لوحدها في المنزل و تعمل من أجلنا ، أريد أن أساعدها (نعونها في المصروف) و أساعدها و لو كان بخبزة المهم أساعدها***)، كما اعترف بعدم تعامله معها بشكل جيّد قبل دخوله إلى المركز لكن فراقه عنها أبرز مكانتها لديه (***لم يكن تعاملي مع أمي بشكل جيّد من قبل . لكن الآن بعد دخولي المركز تحسنت علاقتي معها***) .

الصورة الإيجابية التي يحملها الابن عن أمه ظهرت واضحة في كلامه خاصة عندما شرح بأنها أم تحس بأبنائها و أن مهما كانت معاملتها فهي لمصلحته (***هي في الحقيقة أمي تحس بي جيدا ....أمي تعاملي هكذا من أجل مصلحتي***).

تكفّل الأم بأبنائها جعلها تقوم بمهام الأب المتمثل في فرض القواعد و بناء الحدود داخل الأسرة (***القواعد و النظام و الحكم موجود إلا في أسرة أمي أين أنا أعيش***) لكن السلطة الناتجة عن الأم هي غير متقبلة من قبل الابن فقد أدلى " **محمّد** " أن أمه متسلطة و هو لا يتحمّل هذا النوع من التصرّف (***هي تحكم في المنزل كثيرا و أنا لا أتحمل حكمها و تصرفاتها***) .

كلام الحالة " **محمّد** " يبيّن رغبة الأم في القيام بالوظيفة الوالدية المتمثلة في الحب من جهة من خلال الاهتمام بإبنها و تطبيق القوانين من جهة أخرى في محاولتها تعويض مهام الأب الغائب عن الأسرة ، يشير " **محمّد** " أن

(***أمي تعرف كل أصحابي و تبحث تعرف من هم و تجلس معهم و تعرف عقليتهم و تحكي معهم عادي***) و هذا يحمل شكل من أشكال الرقابة التي تطبّقها الأم على إبنها.

من جهة أخرى أبلغنا " **محمّد** " أن أسلوب المعاملة التي يتلقها من الأم تفتقر إلى نوع من العدالة فقد أظهر أنه لا يتلقى نفس المعاملة التي تتعامل مع أخيه الصغير، و أنه لا يصغى إليه إذا أراد التحاور معها (***أمي لا تعاملني كما تعامل أخي الصغير .... تتكلم معه ، و تسمع له ، لكن أنا لا تسمع لي و كلامي ليس جيدا*** (***ما تسمعليش و هدرتي دايمن ما شي مليحة***) ***، أنا لما أتكلم معهم*** (***أمي وجدتي***) ***لا يريدون ذلك***). هذه التعبيرات أظهرت وجود مشاكل تواصلية مع غياب الحوار و التفاعلات داخل الأسرة التي ينتظرها دائما "**محمّد** " (***أريد كما أكون أنا معها أريد كذلك أن تكون هي كذلك معي***).

في الأخير يمكن القول أن علاقة " **محمّد** " بالأم هي علاقة متعددة الأوجه، غير مستقرة و تحمل مشاعر متعددة و متناقضة في نفس الوقت، فهي الأم التي تسهر على تربيته و حمايته و التي تسعى على القيام بالوظيفة الوالدية في غياب سند الأب، كما أنها الأم التي تفتقر إلى أساليب المعاملة العادلة و التي ولّدت لديه الشعور بعدم احتلاله مكانة داخل الأسرة.كما يقوم " **محمّد** " بتحميل المسؤولية لها لوصوله إلى هذه الوضعية المعيشية بأنه ضحية لهذه الخلفية الأسرية و المشاكل الأسرية التي أثرت على انخفاض تقدير الذات لديه حينما وصف نفسه باليتيم و أن سبب تيتمه هم الوالدين (***أنا دائما أقول لأمي أنكي و أبي يتمتموني***) .

ث- الانحراف و مسألة الرفاق (الجماعة):

تأثير المعاش الأسري ل " **محمّد** " ظهر واضحا في انتقاله إلى الأفعال الجانحة الناتج عن الجو المتصارع السائد بين الوالدين و الخلافات اليومية بين عائلة الأم و عائلة الأب فهي مواقف أثّرت على معاشه النفسي و الاجتماعي[37] . كما تبيّن من استجابات " **محمّد** " أن طلاق الوالدين شكّل صدمة بالنسبة إليه حيث صرّح بشكل مباشر أنها سبب في إنحرافه (***أنا سبب انحرافي هي عائلتي ، سببي أبي و أمي ، لأن أبي و أمي مطلقين ... لولا عائلتي ما صرت على هذا الحال***).

" **محمّد** " أعطى تفسيرا واضحا لسبب انحراف الشباب و التي أرجعها إلى الأسرة التي تنهار فيها العلاقات الزوجية، و أعطى مثالا على نفسه بأن عائلته هي سبب انحرافه بحيث أن قيامه بالأعمال الجانحة هي تعبيرا عن عدم مقدرته تحمّل هذا الوضع (***أنا مثلا لولا عائلتي ما صرت على هذا الحال أنا سبب انحرافي هي عائلتي ، سببي أبي و أمي ، لأن أبي و أمي مطلقين و العلاقة بين عائلة أمي و عائلة أبي ليست جيدة*** **و أنا لم أتحمل هذا الشيء**). هذه الفئة من المجتمع تعيش التهميش النفسي و الاجتماعي و تحاول الهروب من الظروف المعيشية المحيطة بها فتبني سلوكيات انحرافية متعددة الأوجه و التعبير. فالمرور إلى الفعل[38] حسب Freud " يشكّل بالنسبة إلى الفرد شكل من أشكال نداء إلى الواقع الخارجي لمواجهة الولاء للواقع الداخلي الذي قاد إلى تجاوز قدرته على التحكم "(Catherine blatier ,1999 ,p 113) .

صورة الوالدين معا لم تذكر في كلام " **محمّد** " فهو يعيش معانات نفسية كبيرة لعدم استقرار الأسرة و لعدم وجود الوالدين مع بعض أمامه حيث أنه لم يعش في حياته هذا الوضع أن تكون الأسرة مجتمعة و تعيش في منزل

---

[37]- من نماذج التي اقترحها Loeber et Stouthaner-Loeber : هو نموذج الصراع بأن الجو المتصارع بين الوالدين تغذي عدم رضا الشباب و تدفعهم إلى الهروب و البحث عن مكانة اجتماعية خاصة و تدفعهم إلى حل مشاكلهم بالانتقال إلى الأعمال الانحرافية .

[38]- le passage à l'acte

واحد يقول (***أنا لا أريد أن أرى هذه النظرة أن أمي في جهة وأبي في جهة أخرى .. أنا أريد أن الكل يكون مع بعضهم أبي مع أمي مع إخوتي الكل يكونوا مع بعضهم البعض***) . فأمام إخفاق الوظيفة الوالدية و الفراغ التي تتركه عن تأدية مهامها سوف تفتح مجالا واضحا لتبني " **محمّد** " أفعال منحرفة أو مضادة للمجتمع (مع الأصدقاء المنحرفين).

نقطة أخرى مهمة هو أن انحراف " **محمّد** " ظهر من خلال اكتسابه خبرة اجتماعية و ثقافية و أن سلوكياته أصبحت متعلّمة تدريجيا من خلال تعلّقه الكبير بالأب و أسرته المنحرفة . فهي سلوكيات أصبحت مستعابة و متعلّمة عن طريق المعاشرة اليومية (***لما أذهب عند أبي أرى عدة أشياء و أتعلمها***). فالسلوك الانحرافي هنا يأخذ استجابة سلوكية اعتمادا على البيئة التي اعتاد عليها " **محمّد** " حيث أن شخصيته تأثرت بسلوكيات الكبار (المنحرفة)" الأب و الأعمام "و الذي نشأ معهم و تلقى معهم تنشئتهم الاجتماعية. " فالتشرب للجنوح[39] لا يمكن تجاهله كعامل يؤدي إلى انحراف الأطفال. يوجد في الحقيقة انتقال مباشر للعادات و المعايير و السلوكيات التي تصنع الانحراف، التي قد تكون مقصودة أو غير مقصودة من قبل الوالدين، فآليات التعلّم و المطابقة هي واسعة الاستعمال داخل الأسر بالإضافة إلى عائلات المنحرفين "(Pouptois J et H. Desmet).

الأهمية المتزايدة لمجموعة الأصدقاء هي واحدة من المؤشرات الأكثر بروزا في تاريخ حياة " **محمّد** "، فقد كان صريحا في كلامه حين اعترف أنه كان يميل إلى " رفقاء السوء " و هم أصحاب الخمر و المخدرات و كان " يحبهم " و كان يقوم بالأعمال الجانحة بطلب منهم حيث كان يستعرض قدراته أمامهم. كما أكّد أنه بالرغم من سلوكياتهم المنحرفة إلاّ أنهم " رجال " و هي إشارة إلى المكانة التي تحملها الجماعة عنده.

39- l'imprégnation à la délinquance

ظاهرة الجماعة (المنحرفة) تتعلّق بمشكل جد مهم، هو أن الشباب يكتشفون في الجماعة وسيلة في تلبية احتياجاتهم الأساسية كالحماية، الانتماء، التقدير و الاعتراف و هي وسيلة التي لم يجدونها في بيئتهم، فتعلّق " **محمّد** " بجماعة الرفاق و هم رفقاء السوء كما سمّاهم، وفّر له حماية عاطفية و تعزيز الذات لديه فهم أشخاص بالنسبة إليه يفهمونه و يجد راحته معهم (***هم في الحقيقة رجال و يفهمونني ، و أنا أجد راحتي معهم***) كما أن أفراد هذه الجماعة يتشابهون في ظروف معاشهم و يتبادلون مشاكلهم ممّا يجدون سهول في الاندماج و التعلّق حيث يعبّر " **محمّد** " أن التحدث معهم يجعلك تحس بأنك تنتمي إليهم، فهم يفهمون مشاكلك و يريدون مساعدة بعضهم البعض.

التعرّف على الأصدقاء عند " **محمّد** " يعبّر عن الحاجة في الانتماء و الاهتمام التي افتقده عند المجموعة الأسرية، فالجرح يظهر من خلال الضياع الذي يولد البحث عن إثبات الهوية خارج الخلية العائلية فقد شرح " **محمّد** " أنه هو من يقوم بالخروج إلى الشارع و البحث عن أشخاص يهتمون به حينما لا يجد من يهتم به في البيت.

إن الأصدقاء خاصة في مرحلة المراهقة هم عوامل هامة في التنشئة الاجتماعية و الشخصية، كما أن مجموعة الأقران تملك دورا هاما بالنسبة لاستغلال أوقات الفراغ و في تكوين العادات السلوكية و هي تأثر تأثيرا مباشرا على التوجهات الفردية و الاجتماعية للمراهق.

إذا الحياة الاجتماعية غير المقبولة و العلاقات الأسرية المضطربة جعلت " **محمّد** " يستند إلى هذه الجماعات التي لبّت له متطلباته، فهي البيئة التي يجد فيها مكانته التي افتقدها في الأسرة (***أتوا بي من مزبلة و قاموا بتربيتي***)، ففي هذه الجماعات يشعر دائما بالقيمة التي لم يجدها داخل الأسرة.

باختصار عندما يفقد الابن مكانته داخل الأسرة حيث تصبح الأسرة غير قادرة على تلبية توقعاته الفردية، يصبح مجموعة الأصدقاء مصدرا لتلبية مطالبه، و أن مجموعة الأقران يتم الاستعانة بها و استثمارها كبديل للأسرة المكلّفة بالتنشئة الاجتماعية خاصة عندما تفقد هذه المؤسسة دورها في تنشئته (***متى أحتاجهم أجدهم أمامي ، أينما يكونوا يأتون لمساعدتي***) .

4- عرض نتائج دراسة الحالة الرابعة

4-1- عرض محتوى استجابات سرد حياة الحالة الرابعة

أ- تقديم الحالة:

- **الاسم** : صـــارة .
- **السن** : 16 سنة .
- **مكان الإقامة** : الغزوات ولاية تلمسان.
- **المستوى الدراسي** : الرابعة ابتدائي .
- **الأم** : ماكثة في البيت .
- **الأب** : 56 سنة متقاعد .
- **عدد أفراد الأسرة** : 8 ثمانية
- **عدد دخول الطفلة للمراكز** : مرة واحدة
- **سبب الدخول إلى المركز** :
  - الهروب من المنزل
  - حمل غير شرعي

ب- تقديم سرد حياة الحالة الرابعة :

اسمي " صارة " أبلغ من العمر 16 سنة، أقطن في مدينة الغزوات (ولاية تلمسان)، أعيش مع أبي 56 سنة متقاعد و أمي ما كثة في البيت، نحن ثمانية في المنزل ، مع ستة إخوة أربعة ذكور و ثلاث إناث و أنا الثانية بعد أخي الأكبر.

نحن نسكن في بيت قديم (حوش)، حالة أسرتنا الاقتصادية غير جيّدة(فقيرة)، لا يوجد من يتكفل بنا، ما عدا أخي الأكبر الذي يذهب إلى البحر ليعمل و يجمع الأموال. في بعض الأحيان لا نجد ما نأكل، تقوم جارتنا بإحضار لنا الأكل، فهي تعلم أنّنا لا نأكل (توكلنا من الصغير إلى الكبير). في المناسبات مثل الأعياد تقوم الجمعيات بزياراتنا و الجيران يشترون لنا الملابس و إعطائنا النقود.

أبي لم يكن يشتري لنا الملابس (ما كانش يكسينا)، و لم يكن يتكفل بنا(ما كانش يتهلا فينا مليح)، بالعكس كان عنيف معنا يضربنا و كان يضرب أمي كثيرا (يحقرها)، حتى إخوتي الصغار تأثروا كثيرا لضربه أمي و يقوم دائما بسبها أمام الناس فهي أصبحت مريضة في بعض الأحيان نجدها تتكلّم لوحدها. أبي كان يقول كلام غير أخلاقي لإخوتي و لأمي كلام بدئ يقول لها أنت " لاقطة " و كان يقولها لنا كذلك نحن البنات. في العديد من المرات يقوم أبي بضرب إخوتي الصغار. إخوتي عندما لا يجدون الأكل يقومون بسرقة أبي ليشتروا الأكل، كانوا يشتاقون للعديد من الأشياء و لما يطلبون منه لا يحضرها لهم فكانوا ينتظرونه ينام أو يذهب إلى الحمام فيقومون بسرقة بعض النقود منه ... لم يجدوا الحل ... بعض الأحيان كانوا يطلبون من الناس في الخارج ...

أسرتنا ليست مثل الأسر الأخرى (نشوف درانا ما شي كيما و حضخرين)، أرى دائما إخوتي يلعبون لكنهم يلعبون بعنف و أصبحوا يسبّون أبي و يضربونه مثل الطفل الصغير (هم يسبونه و هو يسبهم) و يقولون له دائما أنت لا تهتّم بنا (نتا راك سامح فينا) في الحقيقة هم على حق (هو سامح فينا).

كذلك في المنزل لا توجد علاقات جيدة أبدا (جامي)، دائما صراعات (دباز) السب (المتعايرة)، يسبون بعضهم البعض، لا يوجد أحد يحب أبي يحبون إلا أمي، كذلك إخوتي الصغار لا يدرسون جيّدا و نتائجهم سيّئة و أصبحوا يعيدون السنة، أخي الأكبر انقطع عن الدراسة في السنة الرابعة ابتدائي و أصبح عدواني ويقوم بكسر كل ما في المنزل. حتى أنا لم أكمل دراستي فبسبب الفقر و ظروف الحياة في المنزل رفضت إكمال دراستي، أنهيت دراستي في السنة الرابعة أساسي، كنت مرغمة (ماشي بالرضا نتاعي)، حتى المعلمين لم يكونوا راضين لكن أنا لم أرد إكمال دراستي.

عندي أختي الصغير لم تتحمل الوضع و أصبحت مريضة و كان يغمى عليها دائما (تسقط على الأرض)، لأنها كانت ترى أبي لا يهتم بنا، كانت تحتاج إلى نظارات و لم يرد الشراء لها ما عاد الجيران من قاموا بشرائها، أصبح يظهر عليها أزمات خوف و تغضب كثيرا، تقول دائما " أنتم لا تحبونني و تكرهونني " و حتى أنا في العديد من المرات أقول لهم نفس الكلام " أنتم تكرهونني و تريدون أن لا أبق هنا في المنزل "، لكن أمي لا تحب سماع هذا الكلام مني و تطلب مني عدم إعادته، لكن لأبي كان يقول افعلي ما شئت في نفسك (موتي و لا قعدي و لا هملي ....).

بسبب هذه الوضعية، كانت بداية قيامي بسلوكيات غير جيدة، حتى أصبحت على هذه الوضعية(أنني حامل و أنا في السن 16 سنة). بسبب أبي و هذه الظروف و هذه المشاكل في المنزل بقيت أخرج إلى الشارع (لأن أبي ما يتهلاش فينا، ما يشرناش واش نحبوا)، فكنت أخرج من المنزل للبحث عن من يوفر لي احتياجاتي و احتياجات إخوتي. ففي الحي الذي أسكن فيه الكل على دراية بوضعيتنا بأننا محتاجين فكانت فرصة لبعض الشباب و هم مجموعة من الشبان لاستغلالها. في البداية كانوا يوفرون لي بعض الأشياء و كنت كلّما أحتاج كنت أذهب عندهم

و أطلب منهم المال أو الأكل و حتى الملابس (كنت نطلب عليهم)، كنت أذهب مرغمة لأنني كنت جد محتاجة فكلّما كنت احتاج كنت أذهب عندهم.

بعد مرور الوقت أصبحوا يطلبون مني الحضور معهم في منزل، ثم بدءوا يطلبون مني أشياء غير جيّدة. في العديد من المرات أصبحت أقضي معهم الليالي مرغمة لأنهم كانوا يضربونني و يسبونني إذا ما كنت أرفض، فكنت أخاف منهم كثيرا.

هذه الجماعة كانوا يجتمعون في منزل بعيدا عن الحي، كانوا يشربون الخمر و المخدرات و كانت معهم بعض الفتيات ليسن من الحي و لا أعرفهن، كان من بينهم شخص عصبي جدّا و كان يصرخ كثيرا على الفتيات و كان يضربهم. عندما كانوا يريدون التجمع في هذا المنزل كانوا ينادونني في الهاتف و كنت أحضر لأنني كنت أخاف منهم خاصة من هذا الشاب العصبي، كنت أطلب من أمي الإذن بالخروج و لكن لا أرجع لكن أبي لا أطلب منه الإذن بالخروج و هو كذلك لا يسألني أين أنا ذاهبة و لا يبحث عني أبدا و في العديد من المرات أهرب من المنزل و أذهب عندهم. لم أكن أريد البقاء مع هذه الجماعة، لكن لما كنت أرفض ما يريدون أو أرفض الحضور عندهم (كنت أقول لهم لا أريد هذه الأشياء) كانوا يهددونني و يسبونني و يضربونني، في بعض المرات كانوا يضربونني لما أكون في الشارع أمام الملأ فكنت أذهب عندهم مرغمة (بسيف عليا). كانوا يرغمون علي شرب الخمر معهم (يفورصيو عليا) ، أضن أنهم كانوا يسرقون في الخارج و كانوا يستعملون هؤلاء الفتيات في السرقة، لم يكونوا يريدون التكلّم أمامي و كانوا يخفون عني لكنني كنت أسمعهم لما كانوا يتكلّمون عن السرقة.

أتى اليوم أنه في ليلة قاموا بالاعتداء عليا جنسيا جماعة و تم اغتصابي كان لدي 15 سنة ثم أصبحت على ما أنا عليه الآن فأنا حامل في الشهر التاسع و أنا لدي 16 سنة. أنا لا أعرف من هو أب الجنين لأنهم كانوا جماعة.

لما علمت أنني حامل خفت كثيرا من أبي و أخي الأكبر و في العديد من المرات حاولت الإجهاض لكنني لم أتمكن ، كما قمت بمحاولة الانتحار لمرتين بدون جدوى فمرة حاولت تعليق نفسي و مرة ثانية حاولت حقن نفسي بماء الجافيل لكن أخي تفطن و لم يتركني القيام بذلك.

كذلك لم أقدر أن أصارح أمي أو جدتي بهذه المشكلة و كنت متأزمة لمدة طويلة حتى جاء اليوم الذي أكتشف فيه أمري، أمي لم تفعل شيء، لكن رد فعل أبي صدمني لم أكن أنتظره، فقد فضحني أمام الجميع و كنت أنتظر منه أن يستر بنته و يخاف عليها و لا يفضحها إلى درجة أنه كان يقول لي كلام غير لائق (مثل أنت عاهرة).

قام أبي بنقلي إلى مركز الشرطة و الإبلاغ عني و لم يسترني، فأي شخص كان يمر كان يقول له أن ابنتي حامل (لقد فضحني)، حتى أن الشرطة لم تتقبّل هذا السلوك من أبي(هما ما حبوش عليا).

أنا لا أحب أبي لأنه لما كان في المحكمة وقّع علي و ذهب، حتى أن الشرطة قالت له على الأقل إحضار لها ملابسها لكنه ذهب و لم يعد. لكن أبي لم يقم بأي شيء، فهمه الوحيد هو معرفة الفاعل و يحاكمه (يشارعه) و يأخذ منه المال، فأنا أعرف أبي فهو يبحث عن المال و نحن منذ كنا صغار و نحن نعرف أن همه الوحيد هو المال حتى أن أمي كانت تأتي بالنقود من جدتي لتشتري لنا الأكل أو الملابس فكان يأخذهم منها دائما و يتركنا هكذا.

الآن لا أجد مكانتي في الأسرة فالكل غاضب مني و أصبحوا لا يحبونني (خالاتي ، عماتي و الكل) بسبب ما قمت به حتى أن أخي هددني بالقتل إذا ما عدت إلى المنزل .

حتى الآن لا تعرف أمي أنني متواجدة في المركز، لأن أبي لم يخبرها أين أتواجد فهي دائما تبحث عني فقد رماني أبي بهذا المركز ولم يخبرها أنني هنا. هو لا يسأل عني لكن أمي لو كان لديها هاتف لكلّمتني فهي دائما تبحث عني لأن أبي لم يقل لها بحجة أنها مريضة و لا تعرف شيء.

أنا أطلب إلا أن تراني أمي(تشوفني) و أن تشفى لأنها مريضة، أما أبي أطلب له الهداية (ربي يهديه) ، فلو أرى أبي الآن أقول له اهتم بإخوتي و ارفع من قيمتهم (طلع لهم القيمة نتاعهم)، و وفّر لهم حاجاتهم و دعهم يدرسون. و أقول له كذلك اهتم بأمي و عالجها و عالج إخوتي و لا تضربهم و لا تغبنهم.

أنا جد غاضبة من أبي لأنه سبب انحرافي (خروجي إلى هذا الطريق)، هو بمعاملته أنا انحرفت(هو خرجني بالمعاملة نتاعو هكذا)، كان لديه المال و كان يخبئها علينا لم نكن نجد ما نأكل و ما نلبس و أي حاجة لم يوفرها لنا، حتى أمي لم يوفّر لها الدواء، لم يشتر لها حتى مطبخه فهي تطبخ لنا على الحطب.

أبي ليس رجل (ماشي رجل)، لو كان رجل لعاملنا جيّدا و لم يسمح في أولاده، فهو يبحث إلا على حوائجه (ما علابلوش قاع بنا، ألي كلا كلا و الي نباح نباح)، لا يعامل ماما جيدا دائما يعاملها بالصراخ فهي تخدمه لكنه يصرخ عليها دائما حتى أنه أراد أن يكوّن ملف ليدخلها إلى مصلحة الأمراض العقلية لكن أخي الأكبر منعه من ذلك، كذلك أراد أن يدخل إخوتي الصغار إلى مركز الحماية بالغزوات[40] و أبقى أنا و أختي الأخرى في خدمته (قراسن عندو). لهذا أنا لا أريد أن أكون شبيهة لأبي لأنه يفكّر إلا على نفسه و في الأموال، أريد أكون شبيهة لأخي لأنه رجل صالح و له عقلية جيّدة و أريد أن أكون شبيهة لأمي و أحبها كثيرا لأنها اهتمت بنا (رافدتنا) و هي تحترم كل الناس و تستحي من الكل و تستر نفسها هي امرأة تخاف الله و متدينة.

40- هو مركز حماية الطفولة بالغزوات تابع لوزارة التزامن الوطني و الأسرة وقضايا المرأة

كذلك أنا الآن أفكّر في الصغير الذي سيأتي (لا أدري إن كان ولد أو بنت)، أنا أريد أن يبقى معي لكن عائلتي هي المشكل، إذا تمكّنت سأبحث عن امرأة تربيه و لما يكبر و أجد من يستربي في المستقبل أخده.

أتمنى أن تكون عندي أسرتي الخاصة في المستقبل لكن لا تكن كعائلتنا و الرجل الذي يتزوجني لا يكون مثل أبي، تكون له عقلية جيّدة و لا يقصي على زوجته لا يحقرها و لا يضربها و نتعاون أنا و هو في تربية أولادنا تربية صالحة.

4-2- تحليل محتوى سرد حياة الحالة الرابعة :

أشارت تعبيرات الحالة " **صارة**" من خلال المقابلات إلى ظروف الحياة داخل الأسرة. كما ساعدت التفسيرات التي تم جمعها من تحديد السياق التي عاشت و نمت فيه الحالة. و كذلك الصعوبات التي واجهتها مع والدها في انعدام العلاقات الإنسانية داخل الأسرة.

أ- " صارة " و التصوّرات السلبية للوضعية الأسرية:

الحالة " **صارة** " من مدينة الغزوات (ولاية تلمسان) تبلغ من العمر 16 سنة كان دخولها إلى مركز حماية البنات – تلمسان – بسبب جنحة الهروب من المنزل و كذلك حملها غير الشرعي من مجموعة من شباب منحرفين (***أنا حامل في الشهر التاسع و أنا لدي 16 سنة. أنا لا أعرف من هو أب الجنين لأنهم كانوا جماعة***).

عند تقديم الحالة لأسرتها، قدمتها على أنها (أسرة تقيم في بيت قديم (حوش)، حالتها الاقتصادية غير جيّدة (فقيرة)، لا يوجد من يتكفل بهم، ما عدا الأخ الأكبر الذي يذهب إلى البحر ليعمل و يجمع الأموال. في بعض الأحيان لا يجدون ما يأكلون، تقوم الجارة بإحضار لهم الأكل. تقوم كذلك الجمعيات بزيارتهم و الجيران في المناسبات مثل الأعياد و يشترون لهم الملابس و إعطائهم النقود).

تميّزت المقابلات مع الحالة " **صارة** " بوفرة المعلومات عن الوضعية المعيشية التي نشأت فيها. فجل تعبيراتها تركّزت على الحرمان المادي و العاطفي من الأسرة فهي تنتمي إلى أسرة فقيرة و كذلك وفّرت المعلومات عن فشل الأب في تأدية وظيفته الأبوية[41](F.Hurstel 1997)، فقد عاشت مع أب لا يبالي باحتياجات أبناءه بالرغم من وجوده في البيت.

صرّحت كذلك الحالة " **صارة** " عن ظروف الحياة و الجو الأسري داخل المنزل، بحيث أعطت تعريفا واضحا عن أسرتها التي تراها مختلفة عن الأسر الأخرى (***أسرتنا ليست مثل الأسر الأخرى .... نشوف درانا ما شي كيما وحضخرين***) و أشارت الحالة أنها لا تتذكر منذ صغرها وجود علاقات جيّدة بين أفراد أسرتها و إلى غياب الحوار و عدم وجود معاملات جيدة من الأب (***في المنزل لا توجد علاقات جيدة أبدا (جامي)، دائما صراعات (دباز) السب (المتعايرة) ، يسبون بعضهم البعض***). هذه التصريحات هي تعبيرا عن الخلل و الصراعات في العلاقات بين أعضاء المجموعة الأسرية التي سادها غياب الحوار بين أفراد الأسرة خاصة بين الأب و كافة أعضاء أسرته. فقد عاشت معانات نفسية كبيرة لعدم استقرار أسرتها بحيث أنها لم تعش في حياتها وضع تكون فيه الأسرة مجتمعة و متفاهمة.

استخدام الحوار مع الأبناء يمثل الوسيلة الفضلى لتأمين التفاهم بين الأب و أطفاله، و الممارسة الأبوية اليوم تتطلّب قيام الأب بالاقتراحات و تفحص الأمور بقصد تقويم أراء الأبناء و السماح لهم بالاعتراض أو القبول. فلعل أبرز ما يمكن ذكره في حياة الحالة " **صارة** " هي الصراعات المدمرة و غياب الأب عن البنية الأسرية، بحيث لم يتسن لها العيش معه في أسرة مستقرة كما أن الحالة لم تذكر في كلامها صورا تمثّل فيها الأب و البيت في وضعية علائقية. يتحدث Le Camus عن الأب الحاضر فيقول عنه بأنه " أحدث أنواع الأب و إذا كان لا

41- حسب F. Hurstel " يمكن استخدام مصطلح الحرمان الأبوي في تحديد رجل فشل تماما في وظيفته الأبوية .

بد من تعيين الأب المثالي للقرن الواحد و العشرين و أوصفه ب " الحاضر " بمعنى المواظب، الجاهز و المشارك و حضوره أكيد، و هو أب مسئول، واع بوظيفة الأسرة ". و يكمل Le Camus عن تحدثه عن الأب الحاضر بقوله " هو أن يكون حاضرا نفسيا و جسديا، و هو ضد غائب أو متناوب، و ضد عاجز أو قاصر، فعلى الأب أن يعطي من وقته و من عمله و من ذاته و من طاقته للطفل دون أن ينتظر من هذا الطفل الاعتراف بالجميل أو المقابل و لهذا نحكم على هذا الأب بأنه شيء جميل للطفل"، لكن مع هذا فحضور الأب ليس كافيا بالنسبة ل Le Camus فهو يشدد على أن هذا الحضور لابد أن يبدأ منذ الميلاد، و يركز على أن الأب لابد أن يكون : مشاركا و مميّزا أي هذا يعني قضائه وقتا مهما، كميا و نفسيا مضبوطا مع طفله (العناية، اللعب، التربية العائلية .... الخ) (Le Camus , 2005 : 51-58)

حتى ينمو الطفل جيّدا، يجب عليه أن يستطيع التماهي مع أمه و مع أبيه، فمن الضروري بالنسبة إليه أن تتكوّن هذه العلاقة الثلاثية أب- أم – طفل[42] (Guy Corneau , 2003 :p31) و التماهي هو عبارة عن " عملية نفسية التي يدمج فيها الفرد، مظهر،خاصية أو صفة الآخر و يتحوّل كليا أو جزئيا عن طريق هذا النموذج(Laplanche et Pantalis,1994:p185).أما المنظور التحليلي[43] يصر على ضرورة تميّز الوظيفتين الأبوة و الأمومة، و التكامل و عدم الخلط بين هاتين الوظيفتين (Anne B.,2002 :p 102)

في هذا الصدد نشير أن صورة الوالدين معا لم يتم ذكرها في تصريحات الحالة" **صارة** " بحيث أن في جل كلامها لم نجد تكوين رابطة بين الوالدين تثبت تأسيس وظيفتهما الوالدية و كذلك تظهر تماسك الأسرة.

[42]- la triangle père-mère-fils

[43]- la théorie psychanalytique

كذلك نشير أنه تم استثمار صورة الأم على أنها شخصية ضعيفة و مضطهدة، بحيث لم يكن لها دور في تربية ابنتها و لم تكن مصدر الحماية بالنسبة إليها. فكما نعلم أن الأم تعد الشخصية الأكثر أهمية للنمو النفسي للطفل، كونها الموضوع المميّز لاستثماراته النزوية، إلاّ أنه في هذه الحالة لم تفرض الأم وجودها في حياة ابنتها " **صارة** "و لم تساهم في تشكيل هويتها و هذا راجع إلى تسلّط الأب عليها و على جميع أفراد الأسرة(***يضرب أمي كثيرا – يحقرها –***)،(***يقوم دائما بسبها أمام الناس فهي أصبحت مريضة في بعض الأحيان نجدها تتكلم لوحدها***) (***أبي كان يقول كلام غير أخلاقي لإخوتي و لأمي كلام بدئ يقول لها أنت " لاقطة "***)،(***أمي لا تعرف حتى الآن أنني متواجدة في المركز)***.

إذا ركزنا على التصوّرات الشخصية للحالة نجد أنها عاشت مشاكل علائقية تواصلية داخل الأسرة، فاضطرابات الحالة "**صارة**" ما هي إلا وسائل لجأت إليها للتعبير عن مطالبها و عن عدم رضاها و رفضها لهذه الوضعية الأسرية.

ب- **فقدان الأب هو فقدان العمود الفقري:**

يساعد الأب الطفل في تكوين بنيته الداخلية و بشكل أكثر تحديدا فإن حضوره سيسمح للابن الوصول إلى (إثبات الذات و القدرة على الدفاع عن النفس). سيساعده كذلك في انتقاله من عالم الأسرة إلى الاندماج في الوسط الاجتماعي الخارجي.

طبيعة العلاقة بين الحالة " **صارة** " و أبيها تشرح تماما تأثيرها الواضح على المعاش و النمو النفسي و الاجتماعي لديها، ففي جميع المقابلات أظهرت عن حرمانها من دور الأب الذي لم يلب حاجاتها و حاجات إخوتها المادية

عبّرت عنها في العديد من كلامها ***(أبي لم يكن يشتري لنا الملابس (ما كانش يكسينا)، ولم يكن يتكفل بنا (ما كانش يتهلا فينا مليح).(لا يوجد من يتكفل بنا)، (لا نجد ما نأكل).***

الحرمان من أدوار الأب لم يستند على متغيّر الغياب المادي فقط و لكنه مرتبط أيضا بعدم توليه القيام بواجباته و مسؤولياته فيما يتعلّق بتربية أبناءه، فقد أبلغتنا الحالة أن الأب يتصرّف بعنف مستمر و بطريقة غير أخلاقية مع أبناءه و مع زوجته ***(عنيف معنا يضربنا)،(أبي بضرب إخوتي الصغار)،(يضرب أمي كثيرا – يحقرها –)(أبي كان يقول كلام غير أخلاقي لإخوتي و لأمي كلام بدئ يقول لها أنت " لاقطة " و كان يقولها لنا كذلك نحن البنات).***

غياب دور الأب في هذه الحالة كما يدلي به M.Porot 1973 يشير إلى غيابه الظاهري[44] حيث يعيش الأب مع الحالة لكنه لا يبدل أي جهد للتفاعل معها و مع كافة أفراد أسرتها، فاستجابات الحالة " **صارة** " أظهرت أنها بنت مفتقرة لأبيها une fille [45]manqué حيث لا توجد بنية بينها و الأب. كما أن تصرفات و معاملات الأب غير السوية مع أفراد أسرته تبيّن أنه أب مفقود un père manquant و الذي أوضحه " Guy Corneau " في كتابه " le père manquant fils manqué " أنه يشير إلى " الغياب النفسي للأب absence psychologique و هو أكثر تأثيرا من غيابه الجسدي absence physique، بحيث يدل على غياب الروح absence d'esprit مثل غياب العاطفة absence émotive، كما أنه يحمل فكرة الأب الذي على الرغم من وجوده الجسدي لكنه لا يتصرف بطريقة مقبولة(Guy Corneau, 2003 :p22).

---

[44]- l'absence virtuel

[45]- fils manqué : مصطلح استعمله " Guy Corneau " في كتابه " le père manquant fils manqué " الذي يعبر عن افتقار و حاجة الابن لأبيه بالرغم من وجوده معه في المنزل .

مصطلح الغياب المعنوي للأب استعمله كذلك Gilbert Turkman 1980 " و الذي اعتبره بمثابة قصور في الوظيفة الأبوية التي تعني استقالة الآباء من مهامهم و واجباتهم الزوجية و التربوية.

يرى كل من Grick & Grotpeter 1995 أن "الغياب النفسي للأب هو ما يبديه الوالد في معاملته من إهمال ممّا يجعل الطفل يشعر بعدم إحاطته بالمودة و الحب و الحنان و من نتائجه عدم التوافق النفسي و الاجتماعي و هو عكس القبول الوالدي". ففشل والد " **صارة** " في القيام بوظيفته ظهر واضحا في عدم قدرته إمداد ابنته المساندة و الحماية اللازمة، فقد أبلغتنا أنها في اليوم الذي علم الأب بمشكلتها (أي أنها حامل) قام مباشرة بالإبلاغ عنها إلى الشرطة و لم يقم حسب قولها بمساندتها و بسترها ***(قام أبي بنقلي إلى مركز الشرطة و الإبلاغ عني ، و لم يسترني)(أنا لا أحب أبي لأنه لما كان في المحكمة وقّع علي و ذهب).*** كما ذكرت أن وجودها بالمركز هو لعدم اهتمام الأب بها ***(فقد رماني أبي بهذا المركز).***

صفات أب الحالة " **صارة** " les qualités de son père ولّد لها صدمة لعدم تصرفه بطريقة سليمة في معالجة مشكلة ابنته، فقد عبّرت عن صدمتها الشديدة من تدخل الأب الذي لم تكن تنتظره (***رد فعل أبي صدمني لم أكن أنتظره، فقد فضحني أمام الجميع و كنت أنتظر منه أن يستر بنته و يخاف عليها و لا يفضحها إلى درجة أنه كان يقول لي كلام غير لائق- مثل أنت عاهرة-***) هذه الصفات التي تجعلنا نتساءل عنها في هذه الدراسة. فالأب في هذه الحالة قام بأشياء التي تحطّم ابنته، لم يقم بأي مساعدة لها، لم يتكلم حتى معها أو يساندها، فقد أبد حملها الشعور بالذنب لا نهاية له ، بدل محاسبة المعتدين les agresseurs. ***(أبي لم يقم بأي شيء ، فهمه الوحيد هو معرفة الفاعل و يحاكمه (يشارعه) و يأخذ منه المال).***

عجز الأب في توفير الرعاية و المساندة اللازمة ظهر واضحا في تفسيرات الحالة " **صارة** " عندما أسقطت أهمية الوسط المعيشي الذي تلقت فيه تربيتها المليء بمشاعر الرفض و الحرمان العاطفي ففي مراحل كلامها استخدمت عبارات تدل على افتقارها الشعور للقبول و الاعتراف (**أنتم تكرهونني و تريدون أن لا أبق هنا في المنزل – أبي كان يقول افعلي ما شئت في نفسك – كنت أنتظر منه أن يستر بنته و يخاف عليها**). كما أن تفسيراتها عبّرت على أن الحالة عاشت سلوكيات تربوية أعاقت تكيّفها الاجتماعي (كالإهمال، غياب المعايير التربوية، فشل التعلّق ...الخ) و على شعورها بعدم احتلالها مكانة عند والدها كطفلة تسمح لها بالدخول في علاقة و تفاعل معه(Fsian H . , 2006)[46].

قد يكون الأب غير ملائم (غير صالح)[47] بحيث يتصرف بطريقة غير مقبولة اتجاه أبناءه، تتمثل في عدم استجابته لحاجات الأبناء من المودة Affect و التعلّق l'Attachement حيث يهمل السلوكيات التي يتظاهر من خلالها الابن حاجته للاهتمام[48] (Guy corneau , 2003 :p28)، فهو الحال بالنسبة الحالة " **صارة** " التي أظهرت رغبتها المتحمسة في الحصول على الحب[49] بطريقة شاذة تمثلت في الهروب من المنزل، كلمات من الشعور بالذنب، الانتماء إلى مجموعة خارج المجموعة الأسرية وصولا حتى إلى محاولات الانتحار.

نشعر أنه من يدعم الحالة **صارة** " و يحميها أي عمودها الفقري قد انهار، هذه الطفلة تنتمي إلى أب لا تشعر تضامنه معها، و تعاني من عدم قدرته أو معرفة حمايتها. فبدل المساندة و الحماية التي انتظرها الحالة إلاّ أن تدخل الأب سبّب لها صدمة.

46- . المكان يسمح للآخر بأن يدخل في علاقة مع الفرد ، و يخاطبهم و يتفاعل معهم ، و من هنا يمكن القول بأن داخل أي علاقة ، الشركاء يبدؤون في عمل تفاوضي ، غالبا مضمر ، لتحديد مكان كل واحد منهم بالنسبة للآخر (Fsian H . , 2006) .

47- Un Père Inadéquat

48- هي من بين المواقف مدرجة من قبل Anthony Stevens

49- désir ardent d'amour

بشكل عام لم يلعب الأب الدور الأبوي و كذا الوظيفة الأبوية التي كانت تنتظره الابنة منه بحيث لم يستجب لحاجاتها الاجتماعية، المعنوية و المادية ما أثر سلبا على البناء النفسي لديها. فإعادة التعبير عن معاشها الأسري و إعادة كتابة ماضيها كوّن لها صورة خاطئة عن والدها هذه الصورة الذاتية للحالة تكوّنت نتيجة تأثير التجارب العاطفية و علاقتها المعاشة معه.

ت- **الأب و غياب وظيفة القانون**: le père et l'absence de la fonction de la loi

يعتبر الأب المصدر الأساسي للسلطة في حياة الطفل و النموذج الذي يتمثل به ، فغياب الأب هو غياب للسلطة و انحراف لعملية التماهي و التقمص التي تعد مرحلة أساسية للوصول إلى الاستقلالية يشير Le Camus 2004 أن "قصور السلطة الأبوية يظهر أكثر ضررا على الطفل من قصور حب الأم ". كما يعرّف (Lacan ;1966) أن الأب هو " مفهوم ممثل للقانون حين يؤكد أن " (لا) عند الأب هي جد مهمة في تأدية مهامه كأب، فهذه (لا) موجهة للطفل تسمح للأب بأن يقوم بوظيفته الأساسية في فرض الحدود على الطفل ".

أمّا Françoise Dolto فقد ذكرت أن " الطفل ذو - شخصية كاملة - و لكنه يحتاج إلى سلطة الراشدين لتطويرها و نموها، فهو يحتاج إلى حدود تنظم تصرفاته، و لهذا فمن أجل مساعدة الطفل على تكوين شخصيته لابد للوالدين أن يستخدما سلطتهما عليه، فمن حق الوالدين استخدام السلطة، كما للطفل الحق في الرعاية و الاعتناء، فالتنشئة و التربية تقوم على السلطة (Claude Halmose ,2008 :p19).

" **صارة** "على وعي كبير على عدم قدرة الأب القيام بوظيفته في بناء القواعد في المنزل(le camus 2011,)[50] بحيث أن من خلال كلامها استنتجت أنه لم يكن هناك مانع في انتقالها إلى الخارج (***أبي لا يسألني أين أنا ذاهبة و لا يبحث عني أبدا***). فإخفاق الأب في القيام بوظيفته في تمثيل السلطة [51](wallon 1952) ظهر واضحا نظرا لانعدام المعايير و القواعد داخل المنزل و أن إطار الرقابة الوالدية الضعيفة و غياب النظام المفروض من قبل الأب داخل الأسرة كان مؤشرا واضحا لانتقال الحالة " **صارة** " إلى الخارج نتيجة فشل الأب في تمثيل القانون و إلى عدم قدرته في بناء الحدود داخل المنزل (***أبي لا أطلب منه الإذن بالخروج و هو كذلك لا يسألني أين أنا ذاهبة و لا يبحث عني أبدا***) .

ما يشار إليه كذلك من خلال مقابلاتنا مع الحالة " **صارة** " أنها أظهرت تصوّرات عن علاقتها بالسلطة الوالدية وجود صعوبات علائقية و التي هيئت لها جو أسري غاب عنه تقديم التوجيه و المساعدة اللازمة التي يحتاجها أي طفل في نمو شخصيته و هذا ما جعلها تلقي بطريقة مباشرة اللوم على أبيها بأنه سبب انحرافها بعد ما عبّرت عن غضبها الكبير منه (**أنا جد غاضبة من أبي لأنه سبب انحرافي (خروجي إلى هذا الطريق)، هو بمعاملته أنا انحرفت**).

غياب الرعاية و انعدام السلطة الوالدية ساهمت في تكوين شخصية عرضة لجميع التغيرات الخارجية انعكست على التوافق النفسي و الاجتماعي للحالة (***بسبب أبي و هذه الظروف و هذه المشاكل في المنزل بقيت أخرج إلى الشارع – لأن أبي ما يتهلاش فينا ، ما يشرناش واش نحبوا – ، فكنت أخرج من المنزل للبحث عن من يوفر لي احتياجاتي و احتياجات إخوتي***)،(***كنت كلّما أحتاج كنت أذهب عند شباب و***

[50]- مصطلح الوظيفة عند (J. Le Camus (2011 يشير إلى " المساهمة الوالدية التي ترجع إلى حاجات الطفل ، و المتمثل في الحب و القانون " .

[51]- يشير wallon (1952) في كتابه " Les étapes de la socialisation chez l'enfant " أن علاقة الطفل مع أمه يحكمها " الاهتمام " (la sollicitude) ، و علاقة الطفل مع أبيه في " السلطة " (l'autorité) .

أطلب منهم المال أو الأكل و حتى الملابس – كنت نطلب عليهم –). يؤكد Le Camus(2011) أن "الفرد خلال نموه لا يمكنه التطور بشكل صحيح إلا إذا توفرت مكونين أساسين هما الحب (العاطفة، الحنان ، الاهتمام، الحماية العاطفية) و القانون (السلطة، الإطار و الحدود). فالطفل في كل مراحل عمره يحتاج إلى هذين الشكلين من الطاقة الحيوية جنبا إلى جنب(وقت المودة و وقت السلطة)" و هذا ما لم تجده " **صارة** " في علاقتها مع أبيها.

الحرمان من السلطة الوالدية هو غياب أو عدم اكتفاء في السلطة من طرف الوالد و غياب الحدود يظهر في صعوبة ممارسة السلطة كما في احترامها، و أخيرا فإن عدم وجود بنية داخلية سيسبب رخاوة معينة و غياب الصرامة[52] و بصفة عامة تعقيدات في تنظيم حياتهم الخاصة، فالأبناء هم أيضا أكثر عرضة لظهور مشاكل نفسية، في أسوأ الأحوال تتمثل في الجنوح، المخدرات و الكحول، و الكل يسبح في تمرد لا نهاية له ضد المجتمع الأبوي، هذا التمرد يعود بشكل واضح للأب المفقود[53] إلى صورة غيابه(Guy corneau , 2003 :p31) لدى فإن غياب و ضعف السلطة الأبوية كان لها انعكاسات على سلوكيات الحالة " **صارة** " نتج عنها عدة اضطرابات مثل (الخروج من المنزل بدون طلب الإذن، الهروب من المنزل، قضاء ليالي خارج المنزل ...إلى غيرها من السلوكيات) .

ث- **<u>الانحراف و الصورة السلبية للأب</u>** :

عبّر Marcelli 1998 أنه " يجب أن تبقى صورة الأب كنموذج لأنه يبقى الشخصية العميقة للطفل" ففي هذا المعنى مكانة الأب لم يتم بلوغها عند الحالة " **صارة** " بسبب الصورة السلبية التي أسقطتها دائما عنه.

---

[52]- une absence de rigueur

[53]- le père manquant

فقد تبيّن لي بعد هذا التحليل أن التكلّم عن بعد الأب كصورة التي جاءت في تصوراتها توصف بالسلبية نظرا لكونها فقيرة من حيث محتوى الحب و الحماية، فالأب لم يقدّم صورة نموذجية للأبناءه تمكّنه الإقتداء به (***لا يوجد أحد يحب أبي)، (أرى دائما إخوتي يسبون أبي و يضربونه مثل الطفل الصغير)، (أبي ليس رجل (ماشي رجل) ، لو كان رجل لعاملنا جيّدا و لم يسمح في أولاده ، فهو يبحث إلا على حوائجه)، (أنا لا أريد أن أكون شبيهة لأبي لأنه يفكّر إلا على نفسه و في الأموال).***

ما يشار إليه كذلك أن الحالة " **صارة** " لم تعش أي مرحلة من مراحل التنشئة الاجتماعية السوية التي يعيشها أي طفل مع والديه كما أنها عاشت التهميش النفسي و الاجتماعي من قبل أسرتها، هذا الشعور ولد لديها الإحساس أنها فقدت مكانتها داخل الأسرة (**لا أجد مكانتي في الأسرة**) حاولت الهروب من الظروف المعيشية المحيطة بها فبنت سلوكيات انحرافية متعددة الأوجه و التعبير. فالمرور إلى الفعل [54] حسب Freud " يشكّل بالنسبة إلى الفرد شكل من أشكال نداء إلى الواقع الخارجي لمواجهة الولاء[55] للواقع الداخلي الذي قاد إلى تجاوز قدرته على التحكم "(Catherine blatier ,1999 :p 113) .

نتيجة الوضعية الأسرية المضطربة و كدا غياب النموذج الأبوي، جعل الحالة " **صارة** " تبحث عن من يعوّض لها مهام أسرتها الغائبة (الأقران بديلا للآباء les pairs à la place du père).(***بسبب أبي و هذه الظروف و هذه المشاكل في المنزل بقيت أخرج إلى الشارع – لأن أبي ما يتهلاش فينا، ما يشرناش واش نحبوا).***

فقد شرحت الحالة أن بداية ارتباطها بالجماعة في الخارج كان له علاقة مع الأدوار السلبية للأب و كذلك كان لغرض الحاجة إلى تلبية احتياجاتها و احتياجات إخوتها المادية التي عجزت عنها المجموعة العائلية[56] في توفيرها لها

[54]- le passage à l'acte

[55]- la loyauté

[56]- Une Famille Déficitaire Et Insatisfaisante

(كنت أخرج من المنزل للبحث عن من يوفر لي احتياجاتي و احتياجات إخوتي) و تضيف كذلك ***(كنت كلّما أحتاج كنت أذهب عندهم و أطلب منهم المال أو الأكل و حتى الملابس – كنت نطلب عليهم – كنت أذهب مرغمة لأنني كنت جد محتاجة فكلّما كنت احتاج كنت أذهب عندهم)*** .

إذا بسبب عدم قدرة الأسرة في تلبية الاحتياجات و التوقعات الفردية للحالة، و بسبب الصورة السلبية لأدوار الأب و فقدانه القيمة في تصوّراتها الشخصية، تمّ الاستعانة بمجموعة الأقران الذين أصبحوا مصدرا لتلبية مطالبها، و استثمارها كبديل للأسرة المكلّفة بالتنشئة الاجتماعية خاصة عندما فقدت هذه المؤسسة دورها في تنشئته، و أصبح هنا آثار الحرمان مؤشرا أو حجة استخدمتها " **صارة** " لتبرير سبب انتقالها إلى الخارج و ارتباطها مع الجماعة .

تجربة الحالة " **صارة** " و انتماءها للجماعة لم تكن ناجحة، بحيث أصبح حضورها عند أفراد هذه المجموعة هو حضور إجباري ***(لما يريدون التجمع في هذا المنزل كانوا ينادونني في الهاتف و كنت أحضر لأنني كنت أخاف منهم)***، فقد كانت تتلقى الضرب و التهديد إذا ما رفضت الحضور عندهم حتى أصبحت تقضي الليالي مرغم معهم ***(لم أكن أريد البقاء مع هذه الجماعة ، لكن لما كنت أرفض ما يريدون أو أرفض الحضور عندهم – كنت أقول لهم لا أريد هذه الأشياء – كانوا يهددونني و يسبونني و يضربونني)***، ***(في العديد من المرات أصبحت أقضي معهم الليالي مرغمة لأنهم كانوا يضربونني و يسبونني إذا ما كنت أرفض ، فكنت أخاف منهم كثيرا)***.***(كنت أذهب عندهم مرغمة – بسيف عليا –)***.

إضافة إلى أن الحالة " **صارة** " لم تجد مكانتها داخل الأسرة فهي كذلك لم تجدها داخل هذه الجماعة، فقد اعتبرت كائنا جنسيا[57] من قبل أفراد المجموعة، فكانت تستعمل لتلبية حاجاتهم الجنسية حتى أصبحت على ما هو عليه أي أنها حامل "*أي مكانة كشيء جنسي و ليس مكانة كفرد، بحيث أنها لم تستعمل لغرض المتعة الجنسية و إنما هو اعتداء عليها من جماعة كبيرة العدد* " ***(قاموا بالاعتداء عليا جنسيا جماعة و تم اغتصابي كان لدي 15 سنة ثم أصبحت على ما أنا عليه الآن فأنا حامل في الشهر التاسع و أنا لدي 16 سنة . أنا لا أعرف من هو أب الجنين لأنهم كانوا جماعة) .***

الحالة " **صارة** " عاشت صدمة فردية ، لا شيء يصنع احترام إنسانيتها، اعتبرت كوسيلة للتمتع بها[58] و كائن في خدمة الانحراف[59]، فوراء هذه الصدمة الجنسية، هو التساؤل عن نوعية الحياة، حريتها و حقها في الوجود.

نفس الحدث ولّد لها صدمة أخرى[60] و هو صفات أسرتها[61]، التي لم تتصرّف بطريقة سليمة عند وقوعها في خطأ الحمل، هذه الصفات التي تجعلنا التساؤل عنها. فالحالة عاشت التهميش من قبل والدها و فقدت كلّ شخص من العائلة حتى أنها هدّدت بالقتل من قبل أخيها ***(الآن لا أجد مكانتي في الأسرة فالكل غاضب مني و أصبحوا لا يحبونني (خالاتي ، عماتي و الكل) بسبب ما قمت به، حتى أن أخي هددني بالقتل إذا ما عدت إلى المنزل).***

---

[57]- Objet Sexuel

[58]- un outil de jouissance

[59]- un objet au service d'un pervers

[60]- في المعنى اللفظي: الصدمة هي الأثر، و النتيجة المباشرة و البعيدة لصدمة نفسية معزولة أو متكررة، مقصودة أو غير مقصودة، تؤثر على السلامة الجسدية للفرد : تم توسيع الفكرة إلى المجال النفسي و على وجه الخصوص من قبل Freud باعتبار أن الصدمة ليست عنف و إنما نتيجة لعنف ما (Roland Coutanceau,Rachid Bennegadi,2005m p05)

[61]- les qualités de sa famille

نشعر أنه من يدعم الحالة " **صارة** " و يحميها أي عمودها الفقري قد انهار، هذه الطفلة تنتمي إلى مجموعة أسرية لا تشعر بالتضامن معها، و التي تعاني من عدم قدرتها أو معرفة حمايتها. هذا الغياب أثّر على حياتها المعيشية و ظهر واضحا على تشكيل سلوكياتها و في عدم قدرتها التكيّف مع المجتمع الذي تعيش فيه، فالأب لم يوقّع حضوره في تكوين شخصيتها و في بناء هويتها و في تقوية قدراتها الاجتماعية باعتبار أن الأب يعد عامل التسامي و المثال الحي لتحويل الطاقة الليبيدية إلى طاقة اجتماعية وفقا لتعريف Freud . الأم كذلك لم تسجل حضورها في حياتها و لم تساهم في تربيتها و حمايتها. هي أزمة حقيقية في الهوية الأسرية[62] التي نشأت نتيجة غياب دور الوالدين، فالطفل يحتاج دائما إلى الوالدين الذين يتمكنون من إنجاز هذا العمل النفسي للأسرة، حيث يتم تشكيل هوية الطفل عن طريق اتصاله مع والديه، من خلال عمليات تحديد الهوية مع كل واحد منهم، في رصد (ملاحظة) حياتهم العلائقية، و على التمييز الذي يقيمه الواحد مع الآخر (الفرد مع الآخر).

من المنظور المعرفي، يتم دراسة الهوية باعتبارها موضوعا للمعرفة للفرد حول نفسه، فهي دراسة الإدراك المعرفي من قبل الفرد حول ذاته و حول العالم الذي يحيطه. و الهوية هي مجموعة مهيكلة لعناصر المعلومات الدالة، التي يتلقاها أو ينشئها الفرد عن نفسه، و بعبارة أخرى، هي نظام من السمات، الصفات، الخصائص المستمدة من التجارب الاجتماعية التي ينسبها الفرد لنفسه. (Fesian h. 2006 : p25).

حسب Rodriguez tomé في كتابه « la dimension temporelle de l'identité» أن الهوية هي " مجموعة من التصوّرات و المشاعر، المعارف، الذكريات و المشاريع ذات الصلة بالذات(Fesian h. 2006 p24) و نحن نستعرض في هذه الدراسة من خلال تحليل المراجع التعريفية[63] و التي استخدمتها الحالة " **صارة** " عندما تفكّر في نفسها و كذلك عندما تسعى التعريف بنفسها، جعلنا نقر أن تجاربها الاجتماعية التي نسبتها على نفسها

[62] - l'identité familiale

[63] - référence d'identification

أثّر على ظهور اضطراب في تكوين هويتها. فمعاشها المضطرب جعلها لا تدرك نفسها، غير متجانسة مع نفسها لا تشعر بوجودها كشخص، لا تشعر بالقبول و الاعتراف من قبل الأب و الانتماء إلى الأسرة. كل هذا أثر على تكوين الذات لديها و من ثم على تأسيس هويتها .

هذا التحليل الأخير يفسّره (P. Tapp 1991) من خلال تعريفه للهوية " على أنها نظام التصوّر و الشعور بالذات... عن الذات ... هو ما من خلالها أشعر بوجودي كشخص اجتماعيا (الدور و الوظيفة)، و بها أعرّف نفسي و أتعرف عليها، أشعر بالقبول و الاعتراف من قبل الآخرين، الجماعة، و الثقافة التي أنتمي إليها. و بالمعنى المحدود، الهوية الشخصية تتعلّق بالإحساس بالهوية (كذلك) أي حقيقة أن الفرد يدرك نفسه، يظل متجانسا مع نفسه (identique a lui-même) في الوقت المناسب، بمعنى أوسع، يمكن استيعابها في نظام المشاعر و التصوّرات التي يتم من خلالها تحديد الذات. هويتي إذا هي ما يجعل التشابه و الاختلاف عن الآخرين (Fesian h. 2006 : p24). فوفقا ل P. Tapp " كذلك يمكن تعريف الهوية الشخصية عمليا باعتبارها نظام فرعي وظيفي للإدارة الشخصية[64] في تنمية الفرد و عمليات التمايز بين و داخل الفرد inter et intro individuelle (P. Tapp,1988 : 185)

إذا فقدان الأب هو فقدان العمود الفقري[65] فتأسيس الهوية النفسية[66] للفرد تقوم على إحساسه بوجود عمود فقري و شعوره بالدعم من الداخل، ما ينتج عن غياب الأب، و الذي هو في نفس الوقت جوهر و خلاصة لعقدة الأب السلبي، هو نقص في البنية الداخلية (Guy Corneau, 2003 :p51-52). فالحالة " **صارة** " التي عانت من عقدة الأب السلبي لم تشعر أنها منظمة داخليا. أفكارها مرتبكة، تشعر بصعوبات

64- la gestion de l'identité

65- Manquer de père, c'est manquer de colonne vertébrale عبارة استعملها " Guy Corneau " في كتابه " le père manquant " fils manqué "

66- L'identité Psychologique

عندما يتعيّن عليها تحديد هدف و القيام بالخيارات و التعرّف على ما هو جيّد بالنسبة لها و تحديد احتياجاتها الخاصة. كل شيء اختلط عليها، في أسوأ الأحوال تجد صعوبة في تنظيم تصوّراتها و في الأساس لا تشعر بالأمان اتجاه أي شيء.

من خلال تحليل حالة " **صارة** " أن النقص الأبوي يكون له عواقب سلبية على الطفل في الكثير من المجالات يتمثل في ظهور اضطرابات في تكيّفه الاجتماعي و في إقامة علاقات اجتماعية أو الاندماج الاجتماعي، الجنوح و تقدير الذات[67] و إلى غيرها من العواقب، فغياب وظيفة الأب يكون ضارا لأن العديد من الجوانب (الاقتصادية ، الاجتماعية و العاطفية) لا يتم الوفاء بها داخل الأسرة. كل هذا يضعنا أمام أسئلة حول وجود أو غياب الأب في نمو الطفل و التأثير الإيجابي أو السلبي الذي يمكن أن يفترض .

[67]- la délinquance par défaut du père

II/ استنتاج عام عن تحليل سرد حياة الحالات الأربعة:

من خلال دراسة الحالات الأربعة و انطلاقا من تفسيراتهم و تصوّراتهم للروابط الأسرية، سمح لي من جمع قاعدة من البيانات لفهم الجانحين (الحالات موضوع الدراسة) عن طريق معاشهم العائلي و مختلف مجالات نموهم.

أتاحت لي دراسة الحالات إمكانية قياس آثار العلاقات المتبادلة للجانحين مع والديهم التي تعمل على تعريف الذات و من تمّ على سلوكهم، كما كشفت لي تفسيرات الحالات بخصوص انتقالهم إلى الأفعال الجانحة على أهمية البيئة (الأسرة، الشارع) التي تلقوا بها تربيتهم " تربية مختلفة " بما مكنني من تعريف الجنوح من قبل الحالات على أنه وسيلة للاتصال حيث أن التعبير يتم عن طريق الأفعال المنحرفة و تكون وسيلة لوضع العبارات عن طريق آلام المعاش، الممارسة و تجربة البعض.

بعد عرض و تحليل سرد حياة الحالات و قبل مناقشة فرضيات الدراسة، يمكن وضع استنتاج عام يشمل المعلومات المشتركة التي تمّ جمعها، تساهم في الإجابة على تساؤلات هذه الدراسة، كما يمكن أن أجمل العديد من الإجابات المتشابهة و تحديد الدلائل التي ميّزت معاشهم و تصوّراتهم للروابط الأسرية و التي أثرت على توجيه سلوكياتهم المتمثلة عادة في الهروب من المنزل، الأفعال المنحرفة و الانتماء إلى جماعة الأقران.

استجابات الحالات تعلّقت بالعديد من النقاط أهمها:

1- معظم الحالات عاشوا صراع زواجي و/أو تفكك أسري الناجم عن الطلاق أو انفصال الزوجين و/أو الجو المتصارع السائد و الخلافات اليومية بين الوالدين و بين الوالدين و أبنائهم الذي أثّر على أداء الأسرة و الظروف المعيشية لديهم.

2- الحالات عاشوا بعد أحد الوالدين أو غيابه: خلال استجابات معظم الحالات لم أجد ذكر صورة الوالدين في وضعية علائقية بحيث لم يعش الحالات في حياتهم هذا الوضع أن يكون الوالدين مع بعضهم أمامهم و أن تكون الأسرة مجتمعة و تعيش في منزل واحد. و هذا ما منع الحالات من إيجاد مكانة بين والديه و دفعتهم بذلك إلى البحث عن مكانة اجتماعية خاصة و إلى حل مشاكلهم خارج الخلية الأسرية.

3- جميع الحالات يتشابهون في عنصر واحد هو غياب الأب عن البنية الأسرية، هذا الغياب ظهر واضحا على حياتهم من خلال افتقارهم الحماية و كذا عدم تلبية الأب احتياجاتهم النفسية و الاجتماعية و التربوية و المادية التي يحتاج إليها جميع الأبناء.

4- الحياة الأسرية غير المقبولة و العلاقات العاطفية المضطربة أصبحت صدمة نفسية أعاقت النمو النفسي و الاجتماعي لدى حالات الدراسة، ممّا أثارت حدوث سلوكيات مضطربة لديهم كوسيلة لخفض التوتر الناتج عن القلق و الابتعاد عن الجو الأسري المضطرب الذي يعيشون فيه.

5- أظهرت الحالات حساسية مفرطة من الوضع المعاش مع ميلهم الدائم إلى انتقاد بيئتهم الأسرية التي أظهرت غياب الحوار و الإصغاء و غياب العدل و المساواة في التعامل و عدم احتلالهم مكانة عند والديهم، كما تبيّن في استجاباتهم كذلك قدرتهم في ملاحظة آباءهم و ملاحظة أنهم لا يتصرفون بنفس الطريقة مع كافة أبناءهم.

6- من المثير للاهتمام أن معظم الحالات قد قاموا بالهروب من المنزل، و هي إشارة محتملة على الشعور بالضيق و الانزعاج و الرغبة في الابتعاد عن المنزل العائلي(حيث أن كثيرا ما أعرب عنه الحالات أنه ليس لديهم الرغبة و المتعة في الدخول إلى المنزل).

7- التبادلات الكلامية المعبّرة عنها اتجاه الأبناء (المعبّرة عنها بالألفاظ غير أخلاقية) أو إلى صرامة أو حتى عنف الأب و هذا ما نتج عنه فشل في الاتصال داخل الأسرة.

8- غياب الاستجابة من الآباء و الأمهات حيث ركّز الحالات على أنهم يدبرون أمورهم بأنفسهم (لوحدهم) في تحقيق حاجياتهم و هذا ما وضع تدريجيا مسافة بينهم و أولياء أمورهم.

9- قلة النشاط داخل الأسرة و هذا ما أعطى شعورا بالضيق و الانزعاج الذي عاشه و شعر به الأبناء، و أعطى عواقب إلى مشاكل أسرية مختلفة.

10- من خلال الربط بين التصوّرات الشخصية للجانحين (حالات الدراسة)، حول التنشئة الاجتماعية الأسرية، أرى أن كلّهم ألقوا اللوم على أوليائهم:

- إمّا لأنهم لم يشعروا أنهم " محبوبين " أو أنهم شعروا " بالرفض " و عدم احتلالهم " مكانة " عند والديهم.

- إمّا أنهم لم يبق لهم أي اتصال مع النموذج الوالدي، فمنهم من ادّعى عدم رغبة الأب في التحدث، و أن النموذج الأمومي لا يحمل أي سلطة أو رقابة (سيطرة) عليهم.

- أو لأن في إطار الأسرة وجود مشاكل سلوكية مثل الكحول، المخدرات و مشاكل العنف اليومي (العنف اللفظي، الجسدي، ...)(الفوضى...) و التي لم تسمح لهم " بالتفاهم " و بذلك شعر الأبناء بعدم وجود أي

مساحة للحديث أو الإصغاء و هو ما حتّم عليهم البحث عن من حولهم في الخارج و إقامة علاقات ما لم يجدونها في المنزل و البحث عن النماذج التي يمكن أن يستندون إليها.

11- معظم الحالات أعطت تفسيراتها الخاصة لسبب انحرافها التي أرجعتها إلى الأسرة، فقد أعطت أمثلة عن أنفسها بأن عائلاتها هي سبب انحرافها و أن قيامها بهذه الأفعال هي تعبيرا عن عدم مقدرتها تحمّل وضعيتها الأسرية.

12- تفسير ظهور السلوكيات السلبية لدى حالات الدراسة وجدت داخل الخلية الأسرية التي لم تتمكّن من التوجيه و التربية السليمة و إلى عملية التنشئة الاجتماعية حيث أن جل الإجابات الواردة في تصريحاتهم مكّنتني من إعطاء مجموعة من الاستنتاجات كانت مفسّرة لانتقالهم للانحراف و شرحت معنى قيامهم بأعمال جانحة وهو أن تكوين شخصيتهم تأثّر بالوسط الاجتماعي و الثقافي غير الأخلاقي الذي عاشوا فيه و بسلوكيات الكبار التي تلقوا معهم تنشئتهم الاجتماعية حيث أن:

- الدراسة بيّنت أن الحالات (موضوع الدراسة) لهم أفراد من أسرهم قد سلكوا سلوكا منحرفا ما و أُدخِلوا إلى مراكز إعادة التربية أو إلى السجن وأن معظم هؤلاء الأفراد هم الأقارب بالدرجة الأولى كالوالدين أو أحد الإخوة، فلا شك أن البيئة التي عاش فيها الأحداث لعبت دورا كبيرا في دفعهم إلى ارتكاب السلوك المنحرف.

- الفعل المنحرف عند الحالات كان متعلّم من خلال اتصالهم بالنماذج الوالدية، فقد تبيّن أن انحرافهم كان من خلال اكتسابهم خبرات اجتماعية و ثقافية و أن سلوكياتهم أصبحت متعلّمة تدريجيا عن طريق علاقتهم بالكبار، فهي سلوكيات استوعبتها و تعلّمتها الحالات عن طريق المعاشرة اليومية.

– المعاش الأسري للحالات منذ طفولتهم المتمثل في اضطراب الروابط، الإفراط في الكحول و المخدرات و غياب الرقابة و الحدود داخل الأسرة أثّر على توجيههم نحو السلوك الانحرافي باعتبار أن الممارسات الأسرية اليومية المنحرفة أصبحت مصدرا لسلوكهم و أصبحت الأفعال الجانحة متشربة و متعلّمة من خلال اتصالهم اليومي بالوالدين.

13– تصريحات الحالات ذكرني على أهمية الشعور بالحب " أنهم محبوبين داخل الإطار الأسري " التي افتقدها الحالات، تلك التي ترسم العلاقات التواصلية التي تتشكّل بين الطفل و والديه، و التي من خلالها يجد مكانة و يشعر بالمسؤولية داخل الأسرة. تلك التي تحدّد الاعتراف بالروابط الوالدية التي تسمح للابن من إثبات ذاته و أيضا تلك التي تسمح للطفل أن يشعر بالأمان و الأمن العاطفي و المادة الأساسية لتوازنه.

14– الجانحين " حالات الدراسة " أظهروا أن " اللوم و العتاب " الذي يوجهونه إلى الآباء و الأمهات و الإحساس أنهم " غير محبوبين "، هي مشاعر غيّرت طريقة تعلّقهم بالأسرة، هذا التفكك ولّد لديهم أنماط من الاستجابات السلوكية. فتحليل هذه الحالات تبيّن أن العديد من العوامل يمكن تحديدها مثل الحرمان العاطفي، الصراعات الاتصالية أو العلائقية مع الآباء و الأمهات، ما سهّل من تطوير مواقفهم الانحرافية.

15– أسلوب المعاملة التربوية التي تلقاها الجانحين سواء كانت عقابا أو إهمالا جعلتهم يشعرون بعدم التقبّل و ولّدت لديهم الرغبة في الانتقام و الاستمرار في القيام بالأفعال الخاطئة و جعلتهم ذا شخصية ناقمة و متمردة.

16– معظم حالات الدراسة لا يتجاوز مستواهم الدراسي المرحلة الابتدائية، بمعنى عند مقارنة أعمارهم بمستواهم التعليمي، يتبين أنهم يعانون تأخرا دراسيا فالعالم المدرسي للحالات هو مفقود، بحيث أن جميع الحالات لم تكن لديهم الفرصة من إكمال دراستهم أو حتى الدخول إلى المدرسة مثل هو الحال بالنسبة ل " **مروة** ".

تجدر الإشارة إلى أن التعليم هو إلزامي في قانون الدولة و هو قاعدة مكرسة لدى الأطفال من سن 6 إلى 16 سنة، حيث أن من واجب الطفل أن يتعلّم، هي كذلك قاعدة واجبة على الآباء في تعليم أبنائهم. و هذا ما لم نجده عند الحالات (موضوع الدراسة) بالرغم من هذا الواجب التعليمي.

17- استجابات الحالات سمحت لي من إعطاء تعريف واضح للرقابة الوالدية على أنها قدرة الوالدين في جعل المعايير و القواعد الأسرية ذات فعالية و يتم تطبيقها من قبل الأبناء لتنعكس على توافقهم النفسي و الاجتماعي. فوفق أنماط سلوك النماذج الوالدية و الظروف الاجتماعية داخل الأسرة بنا حالات الدراسة منهجا لسلوكهم المتعلّق بتصوّرهم لسلطة والديهم و على تصوّرهم لنوع للقواعد المفروضة عليهم، فقد جاءت تصوّرات الحالات عن السلطة الوالدية كما يلي:

- أن الجو الأسري المتمثّل في غياب الرقابة الوالدية و غياب الحدود أخد أهمية كبرى في كلام حالات الدراسة و أن معظمهم تمكّنوا من إدراكهم للأساليب التربوية للوالدين (خاصة الآباء) في عدم قدرتهم القيام بوظيفتهم الأساسية في بناء الحدود داخل الأسرة.

- السلوك المنحرف تعلّمه الأحداث من خلال غياب تأثير الوالدين و افتقار السيطرة عليهم و لفقدانهم السلطة الوالدية و لغياب النظام داخل الأسرة.

- معظم الحالات أظهروا في إجاباتهم غياب كفاءة الوالدين التربوية كما أظهروا أن لديهم تصوّرات سلطوية متذبذبة إما استبدادية أو مهملة بدلا من الفرص التربوية المقدمة لديهم من قبل والديهم.

– تصوّرات الحالات لعلاقتهم بالسلطة الوالدية أظهرت وجود صعوبات علائقية و أن حياتهم الأسرية مليئة بالصراعات هيئت لهم جوا أسريا غاب عنه الاستقرار النفسي و تقديم التوجيه و المساعدة اللازمة التي كانوا يحتاجونها.

18- جميع استجابات الحالات عبّرت عن اضطراب الصورة الوالدية التي يحملونها و عن غياب النموذج الوالدي في تصوراتهم تمثّلت في أن:

– معظمهم عبّروا عن رفضهم الإقتداء بإحدى أولياءهم نظرا للسلوكيات و التصرفات التي لاحظوها عنهم.

– معظمهم حملوا صورة سلبية عن النموذج الوالدي بسبب السلوكيات الخاطئة التي قام بها الوالدين أمامهم و إلى العبارات التي كانوا يتكلمون بها معهم. كما أن سلوكياتهم تأثرت حسب تصوّرهم و إدراكهم لأفعال والديهم.

– استجابات الحالات أظهرت عدم تماسك الحالات بالصورة الوالدية المحبوبة، فمعظمهم عبّروا عن النظرة الدونية التي يحملونها عن الوالدين. كما عبّروا في كلامهم عن خيبة أملهم من تصرفات الأولياء اتجاههم و التي أشارت إلى غياب النموذج الوالدي .

– غياب النموذج الوالدي جعل لدى الحالات وجود اضطراب في الصورة الوالدية، أدى إلى رغبتهم في تغيير الأسرة و رغبتهم في تغيير مرجعهم، هذا و قد ظهر أنهم ينسلخون من نماذجهم الوالدية.

19- معظم الحالات أسقطت على أنفسها كآباء في المستقبل، و يرغبون في الزواج و تكوين أسرة و أنهم يرغبون تربية أبناءهم تربية صالحة. هو راجع إلى النظرة التي يحملونها عن النموذج الأسري و عن التصوّرات الشخصية التي يحملونها عن مكانتهم في الأسرة و عن أولياءهم.

20- الانتقال إلى جماعة الأصدقاء كان من بين مؤشرات انحراف حالات الدراسة تمثّل في أن:

- الحالات تعلّموا الانحراف عن طريق التواصل مع جماعات، هي جماعات مرجعية بالنسبة إليهم، مهما كان نوعها (أصدقاء الشارع، أو أفراد من العائلة)، فالمشكلة الرئيسية تكمن في البيئة التي اعتادوا عليها جميعا و السياق الذي ترعرعوا فيه.

- دلّ تأثير الجماعة المرجعية على أن الفعل المنحرف هو متعلّم تدريجيا من خلال الاتصال مع الآخرين (جماعة الأسرة، جماعة الرفاق) " هم مهمين بالنسبة إليهم و هم نماذج و محددين لهويتهم، فهي تسيطر على سلوكهم و أنهم بنوا مقابل " الأفراد المهمين " كقدوة نموذجية يختارونها بحيث يتعلمون عن طريق التقليد، إمّا ليقارنوا و ليحكموا عن أنفسهم، أو أنهم يبحثون عن القبول، أو إلى حاجاتهم إلى الظهور و إلى الإثبات و الاعتراف، أو حتى لأنهم يتبنون سلوك يحدّد الوضعيات الاجتماعية التي يريدون التواجد فيها.

- يظهر مؤشّر الانحراف هنا من خلال الاتصال بالأصدقاء أو بعض أفراد الأسرة فالجانحين يتماشون مع تصوّرات الجماعة التي يعتبرونها مرجعا لهم دون الاهتمام بتوصيات الكبار (الأولياء) و هنا يمكن التأكيد على غياب الرقابة الوالدية. و بالنسبة للجانحين فهذا التماهي للأشخاص أين يكون السلوك المنحرف هو القاعدة التي تفسّر التحوّل إلى الانحراف، كمقياس للانحراف مع الجماعة التي يتعرض لها الأحداث و التي تقضي معظم أوقاتها معها.

- التعلّق بجماعة الرفاق وفّر لهم حماية عاطفية و تعزيز الذات و فرص المشاركة التي لم يجدونها داخل الأسرة و أصبحت كذلك حلول وضعها الأحداث لحماية أنفسهم و لملئ الفراغ الذي يشعرون به. فالأهمية المتزايدة لمجموعة الأصدقاء هي واحدة من المؤشرات الأكثر أهمية في تاريخ حياة هؤلاء الجانحين و تعتمد بدرجة تعلّقهم بالوالدين.

– باختصار، عندما فقدت الأسرة مكانتها كمجموعة مرجعية، بحيث لم تعد تلبي توقعات الأبناء الفردية، أصبح لمجموعة الأصدقاء تأثير حاسم على طريقة استخدام أوقات الفراغ و في تكوين العادات اليومية و على السلوكيات المعتمدة.

21- يبقى حالات الدراسة مرتبطين بأسرهم حتى في حالة فشل الوالدين، كما هو الحال عندما تواجه المجموعة الأسرية مشاكل داخلية ناجمة على التفكك و النزاعات الزوجية و الممارسات المنحرفة و كذا السلوك المنحرف أو جنوح الوالدين.

III/ مناقشة نتائج الدراسة:

1- مناقشة الفرضية الجزئية الأولى :

يتصوّر الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية ظهور السلوكيات المنحرفة على أنها إجابة على تفكك الروابط الأسرية و على الإقصاء العائلي الذي يعيش فيه.

يتكوّن الأطفال حسب طبيعة معاشهم الأسري و من خلال اتصالهم مع المحيطين بهم، فالتنشئة الاجتماعية هي العملية التي تسمح للفرد من اكتساب المعرفة و النماذج و القيم و الرموز، و قد تعلّم الأبناء(حالات الدراسة) و ادخلوا العناصر الاجتماعية الخاصة ببيئتهم منذ ولادتهم و بنو شخصيتهم تحت تأثير الخبرة و العوامل الاجتماعية المعبرة.

التفسيرات التي تم جمعها من خلال سرد حياة الحالات ساعدتني من تحديد السياق الذي عاشت فيه و الصعوبات التي واجهتها مع والديهم، فأفعالهم المنحرفة تمثّلت على أنّها استجابة سلوكية عكست تاريخ حياتهم و اعتمدت على الظروف التي عاشوا فيها تمثّل في غياب الرقابة الوالدية و الحرمان العاطفي و المادي و عدم اهتمام الأولياء بهم في غياب فرص التحاور و التواصل السليم معهم الذي يحتاج إليه دائما الأبناء و كذا في غياب الأساليب التربوية السليمة التي تنتج السلوك السليم.

تأثير المعاش الأسري للحالات ظهر واضحا في قيامهم بأفعال جانحة، بانهيار العلاقات الزوجية[68] سواء بسبب الطلاق أو غياب أحد الوالدين عن المنزل و/أو الجو المتصارع السائد و الخلافات اليومية بين الوالدين و بين الوالدين و أبنائهم. فمن خلال استجابات معظم الحالات لم أجد ذكر صورة الوالدين في وضعية علائقية بحيث لم

[68]. la relation conjugale

يعش الحالات في حياتهم هذا الوضع أن يكون الوالدين مع بعضهم أمامهم و أن تكون الأسرة مجتمعة و تعيش في منزل واحد. هي مواقف أثّرت على معاشهم النفسي و الاجتماعي و غدّت عدم رضاهم دفعتهم إلى البحث عن مكانة اجتماعية خاصة و إلى حل مشاكلهم خارج الخلية الأسرية.

معظم الحالات أعطت تفسيراتها الخاصة لسبب انحراف الشباب و التي أرجعوها إلى الأسرة التي تنهار فيها العلاقات الزوجية، كما أعطى الحالات أمثلة عن أنفسهم بأن عائلاتهم هي سبب انحرافهم و أن قيامهم بهذه الأفعال هي تعبيرا عن عدم مقدرتهم تحمّل وضعيتهم الأسرية. فقد عبّر " **محمّد** " أن (***لولا عائلته ما صار على هذا الحال***) و(***أن سبب انحرافه هي عائلته، لأن الأب و الأم مطلقين و أن الشيء الذي ينقصه في الأسرة هو الأب***). بدورها " **فاطمة** " ألقت اللوم على الوالدين أنهم سبب انحراف أبناءهم تقول(***أن الوالدين لا يهتمون بأبنائهم و لم يوفروا لهم الفرص الحقيقية ليتحاوروا معهم و هذا ما يجعل الابن يعيش في حزن، يدخن، يشرب الخمر .. الخ و يقوم حسبها دائما بالبحث عن أسباب لكي يصغي إليه أولياءه***) . أما الحالة " **صارة** " فهي كذلك أرجعت سبب انحراف الأبناء إلى الوالدين و إلى السياق الذي يعيشون فيه و تلخّص على أن(***المنحرفين لديهم مشاكل أسرية*** **و شرحت انتقالها إلى الفعل المنحرف –** ***لأن الجو غير جيد في المنزل – و أنها لم تجد رغبة في البقاء في المنزل***).

إخفاق الوظيفة الوالدية و الفراغ التي تتركه عن تأدية مهامها سوف تفتح مجالا واضحا لتبنّي الأبناء أفعال منحرفة أو مضادة للمجتمع. هذه الفئة من المجتمع عاشت التهميش النفسي و الاجتماعي و حاولت الهروب من الظروف المعيشية المحيطة بها فبنت سلوكيات انحرافية متعددة الأوجه و التعبير. هو ما شرحه Freud بخصوص المرور إلى الفعل أنه " يشكّل بالنسبة إلى الفرد شكل من أشكال نداء إلى الواقع الخارجي لمواجهة الولاء للواقع الداخلي الذي قاد إلى تجاوز قدرته على التحكم "(Catherine blatier ,1999 :p 113)

الحياة الأسرية غير المقبولة و العلاقات العاطفية المضطربة أصبحت صدمة نفسية أعاقت النمو النفسي و الاجتماعي لدى حالات الدراسة ممّا أثارت حدوث سلوكيات مضطربة لديهم كوسيلة لخفض التوتر الناتج عن القلق و الابتعاد عن الجو الأسري المضطرب الذي يعيشون فيه و هذا ما لاحظه G. Heuyer أن "القلق هو أساس كل سلوك منحرف من قبل الأحداث و كل اضطراب في السلوك"(Bernard G. et all,2011:p36) كما أشار Meier أن" الانحراف عبارة عن استجابة نمطية عن القلق الناتج عن الإحباط المستمر" في هذا الصدد افترض كذلك كل من Bernard G. et all 2011 في كتابهم Adolescents délinquants et leurs parents أن " أساس جنوح هو وجود حالة من القلق يحددها صراع في معظم الأحيان يكون أسري كما نجد من بين الأمور الأخرى الاعتداء الجنسي لهؤلاء الشباب داخل الأسرة و التصرفات العدوانية أو المنحرفة المتكررة (Bernard G. et all , 2011 :p14)

معظم الحالات أظهرت حساسية مفرطة من الوضع الذي عاشت فيه مع ميلهم الدائم إلى انتقاد بيئتهم الأسرية. هذه الحالة من التوتر المزمن أدّت بهم إلى عدم تحمّل الإحباط و تكوين بذلك ردود أفعال اندفاعية اتجاه هذا الإحباط، مع ضعف قدرتهم على إدارة عواطفهم و انخفاض واضح في تقدير الذات. كذلك أدت بهم إلى الشعور بالذنب و الرغبة في معاقبة أنفسهم تعبيرا عن صعوبات انفعالية ناتجة عن إحباطهم المستمر من معاشهم اليومي عبّروا عنها في العديد من جوانب المقابلات (***أنا كنت نعاقب روحي بخروجي إلى الشارع***). فالشعور بالذنب و الرغبة في تأنيب الذات و عقابها كما تؤكده نظرية النفسية للإحساس بالذنب المفسرة للانحراف قد يكون أحيانا سببا في الجناح، حيث يعرض الفرد نفسه للعقاب ليخفف من توتر الشعور بالذنب"، كما تؤكد دائما هذه النظرية أن " الانحراف هو ناتج عن صعوبة انفعالية لا شعورية، فوراء السلوك المنحرف جملة من الدوافع الفطرية التي يشار إليها بالغرائز التي لا يدركها الفرد". في هذا الصدد أكّد فرويد **Freud** أن الحاجة تتولّد عنها

حالة نفسية تتميّز بارتفاع التوتر والإثارة، و بالتالي يصبح السلوك الإنساني حسب **فرويد** دائما مدفوعا بالحاجة لإشباع و تجنب الألم الناتج من حالة التوتر و عدم حدوث الإشباع. كما فسّر فرويد **Freud** " أن الجانح يرتكب أفعاله المضادة للمجتمع بحثا عن العقاب و هو يفعل ذلك لأنه مدفوع بمشاعر ذنب شديدة ناتجة عن أنا أعلى مفرط في قسوته. و يطالب بالعقاب بشكل دوري لكي يهدأ أو يعود بسبب نشأة هذا الأنا الأعلى العنيف إلى فشل حل عقدة أوديب "(خلايفية،2012 :179). كما وضّح الطبيب النمساوي أوجست أوكهورن A.Aukehorn العلاقة الرابطة بين السلوك الانحرافي و شخصية المنحرف من خلال انعدام الأنا الأعلى و اضطرابه، فكان أوّل من حاول تطبيق فرضيات فرويد **Freud** في التحليل النفسي على أحداث المؤسسة التي كان يعمل بها و وصف أوكهورن أنواع مختلفة من الأحداث المنحرفين و وضع لكل منهم تفسيرا تحليليا معيّنا في نظرية انعدام الأنا الأعلى و الأنماط الثلاثة التي وصفها هي : الحدث العصابي – الحدث العدواني – الحدث الذي لم يتطوّر ذاته العليا. و أكّد أيضا أن جميع هؤلاء الأحداث تنقصهم القدرة على كبت دوافعهم الغريزية، كما أن بعضهم يعانون من الحرمان الشديد من العطف في حياتهم(خلايفية،2012:175)

سرد حياة الحالات أبلغني كذلك، أن الفعل المنحرف هو متعلّم تدريجيا من خلال اتصالهم بالنماذج الوالدية، فهم بالنسبة إليهم محددين لهويتهم و مسيطرين على سلوكياتهم. فقد تبيّن لي أن انحرافهم كان من خلال اكتسابهم خبرات اجتماعية و ثقافية و أن سلوكياتهم أصبحت متعلّمة تدريجيا عن طريق علاقتهم بالكبار، فهي سلوكيات استوعبتها و تعلّمتها الحالات عن طريق المعاشرة اليومية. فالمعاش الأسري للحالات منذ طفولتهم المتمثل في اضطراب الروابط، الإفراط في الكحول و المخدرات و غياب الرقابة و الحدود داخل الأسرة أثّر على توجيههم نحو السلوك الانحرافي باعتبار أن الممارسات الأسرية اليومية المنحرفة أصبحت مصدرا لسلوكهم و أصبحت الأفعال الجانحة متشربة و متعلّمة من خلال اتصالهم اليومي بالوالدين. فالسلوك الانحرافي هنا أخذ

استجابة سلوكية اعتمادا على البيئة التي اعتاد عليها الحالات حيث أن شخصيتهم تأثرت بسلوكيات الكبار (المنحرفة) الذين تلقوا معهم تنشئتهم الاجتماعية." **مروة** " عاشت في وسط أسري انعدمت فيه جميع المعايير الأخلاقية، فقد عاشت في وسط أسرة مرضية une famille pathologique مع أم منحرفة، فعندما كلّمتني عن والدتها فقد مثّلتها أنها (**أم غير صالحة و تقوم بحماقات أمام أطفالها و خارج المنزل تعاشر رجال و تدخّن المخدرات أمامهم و تصهر في الليل مع زميلاتها**). أمّا " **فاطمة** " فعندما حدثتني عن عائلتها فهي تعتبرها (**موطن للانحراف فالجدة تدخن أمامهم و الأب يشرب الخمر و يأتي بالنساء إلى المنزل حتى أصبح هذا الانحراف شيء عادي داخل الأسرة**).كذلك " **محمّد** " يقول أنه (**عندما يذهب عند أبيه و أعمامه يرى عدة أشياء غير جيّدة و يتعلّمها**).

الجو الأسري و العادات الأسرية هي عادات ثقافية خاصة بالأسرة تنتقل عن طريق التعليم و التنشئة الاجتماعية، هذه العادات أصبحت مصدرا لسلوكياتهم منذ طفولتهم أي قواعد و معايير استوعبت عن طريق المعاشرة اليومية. و في الواقع يتعلّم الأبناء عن طريق اتصالهم مع والديهم الذين يجلبون معهم معاييرهم الثقافية و التي تبني تدريجيا طريقة التبادل الناتج عن العلاقات التواصلية.

جل الإجابات الواردة في تصريحات الحالات مكّنتني من إعطاء مجموعة من الاستنتاجات تكون مفسرة لانتقالهم للانحراف و تشرح معنى قيامهم بأعمال جانحة، فتصريح الحالات يشير إلى أن تكوين شخصيتهم متأثر بالوسط الاجتماعي و الثقافي غير الأخلاقي الذي عاشوا فيه و بسلوكيات الكبار التي تلقوا معهم تنشئتها الاجتماعية. فالتشرب للجنوح[69] لا يمكن تجاهله كعامل يؤدي إلى انحراف الأبناء، من خلال حقيقة انتقال مباشر للعادات

[69]- l'imprégnation à la délinquance

و المعايير السلوكية التي تصنع الانحراف التي قد تكون مقصودة أو غير مقصودة من قبل الوالدين،" فآليات التعلّم و المطابقة هي واسعة الاستعمال داخل الأسر بالإضافة إلى عائلات المنحرفين "(Pouptois J. et Desmet)

يعتبر **Lacan** العائلة أنها ناقلة للثقافة، بحيث أن دورها الأساسي يتلخص في إيصال المعطيات الثقافية التي تميز المجتمع من جيل أوّل هو جيل الآباء إلى جيل ثان هو جيل الأبناء، و هي بذلك تؤمن " الاستمرارية النفسية ".

تفسير ظهور السلوكيات السلبية لدى حالات الدراسة نجدها داخل الخلية الأسرية التي لم تتمكّن من التوجيه و التربية السليمة و إلى عملية التنشئة الاجتماعية عن طريق اكتسابها خبرة اجتماعية و ثقافية من خلال مشاركة الأبناء و تقربّهم علائقيا مع الأفراد الذين يعيشون معهم و التي يطلق عليها **فرويد Freud** ب " التطبّع الاجتماعي " و التي عرّفها على أنها "عملية نمو و تطوير ذات تأثير بالغ في شخصية الفرد مستقبلا " حيث نجد أن مدرسة التحليل النفسي تؤكّد على أثر العلاقة بين الوالدين و الطفل في النمو النفسي الاجتماعي و أن عملية التنشئة الاجتماعية تتضمن اكتساب الطفل و استدخاله لمعايير والديه و تكوين الأنا الأعلى لديه[70] ". و كما ذكرنا في التوضيح الخاص بالإطار النظري للدراسة أن للمنظور النفسي اجتماعي تفسير خاص في تفسير استجابات الحالات حيث يوضح هذا المنظور بوجود علاقة مباشرة بين السلوك المنحرف و المحيط الاجتماعي و الظروف البيئة (و الأسرية) الذي يعيش فيه الابن. فمعظم السلوكيات المنحرفة هي ثمرة تعلّم تلك العادات فهو سلوك مكتسب بالتعلّم بمعنى أن الطفل لا ينشئ منحرف طبيعيا (فطريا) بل يتعلّم الانحراف عن طريق ملاحظة النماذج أو بالتجربة المباشرة، فالأطفال يتعلّمون عن طريق الاتصال مع والديهم الذين يجلبون معهم معاييرهم الثقافية و التي تبني تدريجيا طريقة التبادل الناتج عن العلاقات التواصلية و المعاشرة. هذه التفسيرات التي تحصلت عليها تنطبق تماما مع نتائج دراسة " **موريس بورو**" التي حملت الدراسة عنوان "الحالة العائلية للأطفال

[70]– يرى فرويد " Freud " أن جذور التنشئة الاجتماعية عند الإنسان تكمن فيما يسمى بالأنا الأعلى .

المنحرفين في الجزائر العاصمة" حيث أثبتت نتائجها أن الخصائص الشخصية للوالد (السمعة السيئة، الإجرام، الإدمان على الكحول....) و الخصائص الشخصية للأم (سوء الأخلاق، الزواج من زوج آخر، الانحراف....) هي سلوكيات أكثر انتشارا عند الأطفال المحرفين و هي سلوكيات تأثر في تبني الأبناء سلوكيات منحرفة و تؤدي إلى انحراف الأحداث(كركوش،2011: 113)

إذا كنا بصدد تحليل تفسيرات الحالات على أن ظهور السلوكيات الجانحة هي إجابة على تفكك الروابط الأسرية و إلى الإقصاء العائلي الذي يعيشون فيه، فهناك ظاهرة أخرى مهمة و هي ظاهرة الانتماء إلى الجماعة المنحرفة. فقد تبيّن لي من خلال سرد حياتهم الأهمية المتزايدة لمجموعة الأصدقاء بأنها واحدة من المؤشرات الأكثر بروزا في تاريخ حياتهم. هذا التصنيف وفر لي معلومات حول الكيفية التي دخل بها مبدئيا الحالات في ظاهرة الجنوح.

ظاهرة الجماعة (المنحرفة) تتعلّق بمشكل جد مهم، هو أن الشباب يكتشفون في الجماعة وسيلة لتلبية احتياجاتهم الأساسية التي لم يجدونها في بيئتهم الأسرية كالحماية، الانتماء، التقدير و كذا احتياجاتهم المادية، كما يمكن أن تكون علامة على الاعتراف من هذه الجماعة التي يتخذونها مرجعا لهم و التي يدّعون الانتماء إليها. التعرّف على الأصدقاء عند حالات الدراسة عبّر عن الحاجة للانتماء و الاهتمام التي افتقدت عند المجموعة الأسرية، باعتبار أن الجرح يظهر من خلال الضياع الذي يولّد البحث عن إثبات الهوية خارج الخلية العائلية. **" محمّد "** شرح أنه (***هو من يقوم بالخروج إلى الشارع و البحث عن أشخاص يهتمون به حينما لا يجد من يهتم به في البيت)***. فقد كان صريحا في كلامه حيث اعترف أنه كان يميل إلى "*رفقاء السوء*" و كان "*يحبهم*" فهم أشخاص بالنسبة إليه يفهمونه و يجد راحته معهم (***هم في الحقيقة رجال و يفهمونني، و أنا أجد راحتي معهم***) كما كان يقوم بالأعمال الجانحة بطلب منهم حيث كان يستعرض قدراته أمامهم. كما أكّد أنه بالرغم

من سلوكياتهم المنحرفة إلاّ أنهم "***رجال***" و هي إشارة إلى المكانة التي تحملها لديه هذه الجماعة. عبّرت " **فاطمة** " أن بداية خروجها مع الشباب كان في سن 11 و أن في هذه الفترة كان الوالدين مطلقين و شرحت الحالة و بصورة مباشرة سبب ذهابها مع الأصدقاء *لحاجتها للاهتمام و الاعتبار التي لم تجدها في المنزل*، فكان هذا الخروج بهدف التعرف على أفراد يوفرون لها التقدير و الاهتمام و الحب الذي هو مفقود في الأسرة إشارة إلى الحرمان الوالدي[71] التي كانت تعيشه(***ما صبتش في الدار الي يعطني الاهتمام – نلبس كيما نبغي – نخرج كيما نبغي ....– " غير هو اللي كان يعطيني الاهتمام و يسقسي عليا ...***).

أمّا عن " **صارة** " فنتيجة الوضعية الأسرية المضطربة و عدم توفير احتياجاتهم المادية، جعلتها تبحث عن من يعوّض لها مهام أسرتها الغائبة (الأقران بديلا للآباء) les pairs à la place du père (***بسبب أبي و هذه الظروف و هذه المشاكل في المنزل بقيت أخرج إلى الشارع – لأن أبي ما يتهلاش فينا ، ما يشرناش واش نحبوا–***) فقد شرحت الحالة أن بداية ارتباطها بالجماعة في الخارج كان لغرض "**الحاجة**" إلى تلبية احتياجاتها و احتياجات إخوتها المادية التي عجزت عنها المجموعة العائلية في توفيرها لها (***كنت أخرج من المنزل للبحث عن من يوفر لي احتياجاتي و احتياجات إخوتي)(كنت كلّما أحتاج كنت أذهب عندهم و أطلب منهم المال أو الأكل و حتى)***.

تعلّق الحالات بالآخرين بيّن و بصورة واضحة لحاجتهم لتحقيق علاقات اجتماعية تتميز بالحب و الإخلاص و التي يعرّفها Maslow "بالحاجة للانتماء و الحب" التي تقوم على مبدأ الأخذ و العطاء و بيّن كذلك إلى حاجتهم إلى تحقيق ذاتهم حيث ترتبط هذه الحاجة باحترام الذات و الكفاءة الشخصية و استحسان الآخرين.

71. une carence parentale

كما أن التعلّق بجماعة الرفاق وفّر لهم حماية عاطفية و تعزيز الذات و فرص المشاركة التي لم يجدونها داخل الأسرة فقد أصبحت حلول محتملة وضعها الحالات لحماية أنفسهم و لملئ الفراغ الذي يشعرون به.

يشير (M. Born & f. Glowacz 2014) في كتابهما psychologie de la délinquance أن التعلّق الضعيف مع الأولياء، يعد عامل خطير للانتقال إلى انحراف الأطفال و أن هذا العامل يميل إلى الانخفاض مع تقدم العمر خلال المراهقة حينما تأخذ العلاقات مع الأقران و العلاقات العاطفية الخلف[72]. فالحياة الاجتماعية غير المقبولة و العلاقات الأسرية المضطربة جعلت حالات الدراسة تستند إلى هذه الجماعات التي لبّت لها متطلباتها، فهي البيئة التي وجد فيها الحالات قيمتهم و مكانتهم التي افتقدوها في أسرهم، عبروا عنها في العديد من مراحل سرد حياتهم مثل ***(كنت أجد شخصيتي و ذاتي عندهم التي لم أجدها عند والدي)(لما تكون تعيش مشاكل تبحث دائما من يعطيك اهتمام)(لا أجد من يصغي إلي في العائلة)(متى أحتاجهم أجدهم أمامي، أينما يكونوا يأتون لمساعدتي)(كنت أخرج من المنزل للبحث عن من يوفر لي احتياجاتي و احتياجات إخوتي).***

يؤكد إريك فروم Erick From في نظريته التحليلية على"أهمية الجماعة إزاء الشخص،حيث يرى على أن الفرد دائما يحتاج إلى الآخرين و يحتاج مساعدتهم و حنانهم لإشباع حاجاته المتعددة و لتحقيق الطمأنينة له ". فالتعلّق بمجموعة المنحرفين علامة على الاعتراف من قبل هذه المجموعة التي استند إليها حالات الدراسة و التي زعمت الانتماء إليها، فعندما فشلت متطلبات الأحداث من قبل الوالدين لجئوا إلى البحث عن أفراد للتعلّق بهم و الاستناد إليهم و اتخاذهم نموذجا للتفاعل معهم تعبيرا عن حاجتهم إلى تقدير الآخرين لهم.

72- la relève

إن فقدان الأسرة لمكانتها كمجموعة مرجعية جعل التعلّق بجماعة الرفاق يوفّر لهم حماية عاطفية و تعزيز الذات و فرص المشاركة التي لم يجدونها داخل أسرهم فهذا الانتماء إلى الجماعة هو مسألة تعلّق، حماية و تحديد للهوية و التي اعتبرها(Erikson,1972)"الجانب النفسي الاجتماعي للمراهق و التي يحتاج الفرد فيها إلى تقمصات جديدة مع أترابه و مع نماذج غير النماذج الأبوية" تمكّنه من تعويض القلق و الفراغ، أي أن الفرد لا يستطيع بناء هويته بمفرده بل يحتاج إلى الآخرين، فالهوية تبنى من خلال العلاقة مع الآخر لأن الأتراب يشكلون نقاطا مرجعية لتقييم الذات فيبحث المراهق عن تعزيز صورة ذاته داخل هذه الجماعة، كما يرتبط تقدير الذات لديه بإدراكه لقدراته و نجاحه(خلايفية،2012: 176)

لقد أرجع الكثير من العلماء السلوكيات المنحرفة عن المعايير الاجتماعية إلى " سمات شخصية مرتبطة بالقلق " (Dubar 1991) التي تدفع بالفرد إلى الفعل كلّما وجد وضعية إحباط و قد رأى فرويد **Freud** مثلا أن هذا الأمر هو متعلّق بألية دفاعية ضد العلاقات الطفولية المرتبطة بأنا ضعيف أما (Winnicott 1967) فيرجعه إلى الحاجة اللاشعورية لملأ الفراغ الذي يتركه الموضوع الانتقالي (سوالمية،2007: 57). و يؤكده كذلك (Alfred Adler 1937) على ما لدى الإنسان من رغبته الانتماء إلى الجماعة و حصوله على مكانة " حينما يصبح الفرد على دراية بفشله، فإنه يلجئ إلى تعويض شعوره بالنقص تعويضا مبالغا، وعلى ذلك قد يصبح الانحراف بالنسبة إليه وسيلة لجذب الانتباه لذاته و تعويضا لم يعانيه من إحساس بالنقص أو الدونية ممّا يثير في الفرد ردود أفعال عنيفة عند الفشل في التعويض عنها(خلايفية،2012: 176)

نتائج دراستي الحالية تنطبق بشكل كبير مع نتائج بعض الدراسات على غرار دراسة(1991 Hoffman) التي أكّدت على أن" إضعاف العلاقات الأسرية يؤدي إلى زيادة عدد الأصدقاء المنحرفين و المتعاطين المخدرات و أن لبنية العائلة دور كامن في استخدام المراهق للمخدرات و هذه التأثيرات تعتمد على نوع من بنية العائلة إذا

كان فيها الطلاق، زوج الأم،زوجة الأب، أرملة،....الخ " (العكايلة، 2005: 293).كذلك تطابقت نتائج الدراسة الحالية مع دراسة القحطاني(1993) التي أشارت إلى أن معظم الأحداث يشعرون بالانتماء و الولاء لجماعة الرفاق عندما لا يجدون هذا الشعور داخل الأسرة و أن أبرز مصادر الثقافة الانحرافية لدى الحدث تتمثل في الاقتران بالصديق السيئ(علي سعد،2005: 75)

التفسيرات التي حملتها حالات الدراسة حول ارتباطها بجماعة الأصدقاء أو هروبها من المنزل أسقطت أهمية الوسط المعيشي التي تلقت فيها تربيتها و إلى غياب الاستناد الأسري الذي يحميها من الانحراف. ففقدان الأحداث (حالات الدراسة) لمكانتهم داخل الأسرة و عدم قدرة الأسرة على تلبية توقعاتهم الفردية، أصبح لمجموعة الأصدقاء مصدرا لتلبية مطالبهم، و أن مجموعة الأقران تم الاستعانة بها و استثمارها كبديل للأسرة المكلّفة بالتنشئة الاجتماعية." لونغ long " (1991) في دراسته التي هدفت التعرّف على تأثير الاختلاط الاجتماعي الأسري و الرفاق و انحراف الأحداث و التطرّق إلى متغيّرات الأسرة و الرفاق و الخبرات الاجتماعية مع السلوك المنحرف قد أثبتت نتائجها على أن المجموعة المنحرفة قد امتازت بعلاقات أسرية ضعيفة و كذلك مستوى أقل من الدعم الاجتماعي و التوافق الأسري، كما أظهرت هذه المجموعة درجة أقل من الاستقلالية الأسرية و مستوى أعلى من التناقض الأسري(العكايلة، 2005: 294)

2- مناقشة الفرضية الجزئية الثانية:

يوجد انعدام للسلطة الوالدية في تصوّر الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية بسبب غياب الرقابة الوالدية و القواعد المفروضة داخل المنزل.

يشير **wallon** (1952) في كتابه" Les étapes de la socialisation chez l'enfant " أن علاقة الطفل مع أمه يحكمها "الاهتمام"[73] و علاقة الطفل مع أبيه في "السلطة"[74]. فالأب يعد المصدر الأساسي للسلطة في حياة الطفل و النموذج الذي يتمثل به و غيابه هو غياب للسلطة و انحراف لعملية التماهي و التقمص التي تعد مرحلة أساسية للوصول إلى الاستقلالية،و قد أعطى **le Camus** أهمية كبيرة لدور الأب في إنشاء الحدود داخل الأسرة للطفل و كذلك في اكتساب القواعد حينما يشرح أن "الأب يجسّد القانون و يسن القوانين، يقوم بوضع قواعد الحياة و يفرض الحدود على الطفل، هذا الدور للمرشد المؤقت يساهم كما يسميه التحليل النفسي في تكوين الأنا الأعلى".فالأب يسمح للطفل من استدخال الممنوعات و أن يصبح شيء فشيء مستقلا، بمعنى مسئول على أفعاله و أن يرتقي تدريجيا نحو القيم الحضارية (le Camus,2011:p38).

كما يعرّف **Lacan** (1966) على أن الأب هو"مفهوم ممثل للقانون حين يؤكد أن "(لا) عند الأب هي جد مهمة في تأدية مهامه كأب، فهذه (لا) موجهة للطفل تسمح للأب بأن يقوم بوظيفته الأساسية في فرض الحدود على الطفل" .

أمّا **Françoise Dolto** فقد ذكرت أن "الطفل ذو- شخصية كاملة- و لكنه يحتاج إلى سلطة الراشدين لتطويرها و نموها، فهو يحتاج إلى حدود تنظّم تصرفاته، و لهذا فمن أجل مساعدة الطفل على تكوين شخصيته

73- la sollicitude

74- l'autorité

لابد للوالدين أن يستخدما سلطتهما عليه، و من حق الوالدين استخدام السلطة، كما للطفل الحق في الرعاية و الاعتناء، فالتنشئة و التربية تقوم على السلطة (Claude Halmose ,2008 :p19)

من خلال تحليل سرد حياة الحالات، تبيّن لي أن الجو الأسري المتمثّل في غياب الرقابة الوالدية و غياب الحدود أخد أهمية كبرى في كلام حالات الدراسة و خاصة عندما استخلصت أن معظمهم تمكّنوا من إدراكهم للأساليب التربوية للوالدين (خاصة الآباء) في عدم قدرتهم القيام بوظيفتهم الأساسية في بناء الحدود داخل الأسرة. كما ساعدت تفسيرات التي جمعتها من تحديد السياق الذي عاش و نمى فيه الحالات و الصعوبات التي واجهوها مع واديهم. فمعظمهم قاموا بالهروب من المنزل، و هي إشارة محتملة بالشعور بالضيق و الرغبة في الابتعاد من الجو السائد في المنزل.

الحالة "**فاطمة**" أوضّحت أنه(***كان لديها الكثير من الحرية في المنزل و أنها لم تطلب أبدا الإذن بالخروج حيث أن طلب الإذن هو شيء غريب بالنسبة إليها***) و تقول أن الوالدين لم يعرفوا زميلاتها و لم يبحثوا عنهم. فقد فعلت ما تشاء و أصبحت تخرج من المنزل و الذهاب مع الشاب (الذي تعرّفت عليه) متى تشاء دون أن تخشى أحد.

أمّا الحالة "**مروة** " فسلوكها المتمثل في الخروج المتكرّر من المنزل كان نتيجة لانعدام السلطة الراجع لغياب الأب داخل الأسرة، فالأم لم تملك السلطة اللازمة لمراقبة سلوك أبناءها و لم تكن لها القدرة في فرض القواعد و النظام داخل المنزل نظرا لغياب سند الأب. كما عبّرت "**مروة** " كذلك أن أمها لم تهتم بها سواء عند خروجها من المنزل و هي بدورها لم تطلب أبدا الإذن(***أمي لا تهتم عند خروجي من المنزل و لا تراقبني، أنا كذلك لا أطلب***

الإذن عند خروجي من المنزل) و بعدم مبالاة الأم و عدم تدخلها عند هروبها من المنزل حيث أصبح كل شيء عادي.

الحالة "**صارة** " بدورها أظهرت وعيها الكبير على عدم قدرة الأب القيام بوظيفته في بناء القواعد داخل المنزل، بحيث أن من خلال كلامها استنتجت أنه لم يكن هناك مانع في انتقالها إلى الخارج (***أبي لا يسألني أين أنا ذاهبة و لا يبحث عني أبدا***). فإخفاق الأب في القيام بوظيفته في تمثيل السلطة ظهر واضحا نظرا لانعدام المعايير و القواعد داخل المنزل و أن إطار الرقابة الوالدية الضعيفة و غياب النظام المفروض من قبل الأب داخل الأسرة كان مؤشرا واضحا لانتقالها إلى الخارج نتيجة فشل الأب في تمثيل القانون و إلى عدم قدرته في بناء الحدود داخل المنزل (***أبي لا أطلب منه الإذن بالخروج و هو كذلك لا يسألني أين أنا ذاهبة و لا يبحث عني أبدا***).

أمّا عن الحالة "**محمّد**" فلعل أبرز ما يمكن ذكره في حياته هو غياب الأب عن البنية الأسرية التي عاش فيها، بحيث لم يتسن العيش معه في أسرة واحدة و في بيت واحد. هذا الغياب أثّر على حياته المعيشية و ظهر واضحا على عدم قدرته التكيّف مع المجتمع الذي يعيش فيه.كما أن تعلّق "**محمّد**" بالأب جعله يرفض كل أشكال السلطة التي تأتي من الأم التي عوّضت مهام الأب **و** أظهر رفضه الكبير في وجود زوج الأم في الأسرة.

إذا وفق أنماط سلوك النماذج الأبوية و الظروف الاجتماعية داخل الأسرة يبني الحالات منهج لسلوكهم يتعلّق دائما بتصوّرهم لسلطة والديهم و على تصوّرهم لنوع للقواعد المفروضة عليهم. فالجانحين هم أولائك الذين يتركون و شأنهم من تلقاء أنفسهم دون رقابة والدية و دون قواعد تربوية، كما أن السلوك المنحرف تعلّمه الجانح من خلال غياب تأثير الوالدين و افتقار السيطرة عليهم لفقدانهم السلطة الوالدية و غياب النظام الذين يفرضونه داخل الأسرة.

من خلال تحليلي لسرد حياة هؤلاء الحالات تبيّن لي أن جلّهم أدركوا كلّ الأحداث التي جرت داخل أسرهم و أظهروا أنهم تكيّفوا مع المنطق السلوكي لوالديهم، تلك التي أظهروها من خلال تفسيرهم لطريقة رد فعل أوليائهم عند تصرفهم بطريقة غير صحيحة أو عند هروبهم من المنزل و هي أفعال تنتهك القواعد الداخلية للعائلة. فجميع الحالات أشاروا إلى نقمهم على نوع التدخل المتمثّل إما في العقاب الجسدي و القسوة في المعاملة و السب من جهة أو اللامبالاة من طرف أوليائهم من جهة أخرى.

كما أن أسلوب المعاملة التربوية التي تلقاها الحالات سواء كانت عقابا أو إهمالا جعلتهم يشعرون بعدم التقبل ولّدت لديهم الرغبة في الانتقام و الاستمرار في القيام بالأفعال الخاطئة و جعلتهم ذا شخصية ناقمة و متمردة، فما هو ملاحظ أن استجاباتهم حملت سمة الشعور بالذنب و نوع من اللوم و خيبة أمل من طبيعة تدخلات الأولياء التي دلّت على جهلهم لأساليب التربية السليمة و التي كانت سبب في خيبة أملهم، فجميع الحالات وضعوا أنفسهم مكان أوليائهم و أعطوا نوع التدخل الذي كانوا ينتظرونه من والديهم.

في هذا الصدد أشارت "**فاطمة**" أن (***الضرب لم يعد يؤثر فيها بل يزيدها إصرارا مقارنة مع السب و الشتم من قبل والدها***) و أضافت أنها (***كانت دائما تنتظر النصيحة و المدح و مواجهة أخطائها***).شعور "**فاطمة**" بخيبة أملها من رد فعل أبيها جعلها تدلي برأيها في التدخل الصحيح الذي انتظرته و الذي ينتظره جميع الأبناء حيث أكّدت على (***وجوب توعية الأبناء و أن الضرب هو آخر حل***) و أضافت أنه (***يجب على كل فرد من العائلة المبادرة في التربية و تحمّل المشكلة***).

أمّا "**مروة**" هي كذلك حملت سمت الشعور باللّوم و خيبة الأمل من طبيعة تدخلات أمها التي تدل على جهلها لأساليب التربية السليمة و إلى غياب السلطة داخل الأسرة فالحالة عبّرت عن حيرتها من ردود أفعال أمها و كانت

دائما تتساءل عن سبب غياب تدخل أمها عند هروبها من المنزل أو قيامها بأعمال خاطئة أخرى(***أنا أحتار و أقول كيف لا أنال أي عقاب من أمي***).

معظم الحالات أظهروا في إجاباتهم أن لديهم تصوّرات سلطوية متذبذبة إما استبدادية أو مهملة بدلا من الفرص التربوية المقدمة لديهم من قبل والديهم. هذا التذبذب في المعاملة للوالدين تمثل في غياب الكفاءة التربوية التي تضمن نموّهم العادي في المجال الحسي و الفكري، فحسن استعمال الرقابة الداخلية للأسرة من قبل الأولياء يساهم في الاندماج الاجتماعي السوي للابن و كذا نقل للمعايير السلوكية للمجتمع التي سوف تستدخل تدريجيا من قبل الأبناء.

تصوّرات الحالات لعلاقتهم بالسلطة الوالدية أظهرت وجود صعوبات علائقية و أن حياتهم الأسرية مليئة بالصراعات هيئت لهم جوا أسريا غاب عنه الاستقرار النفسي و تقديم التوجيه و المساعدة اللازمة التي يحتاجونها. فالممارسة الضعيفة للتنشئة التي تشير إلى غياب الرعاية و انعدام السلطة الوالدية هيأت في تكوين شخصية عرضة لجميع التغيرات الخارجية انعكست على توافقهم النفسي و الاجتماعي. فوفق للفراغ الذي تركته الوظيفة الوالدية عن تأدية مهامها المتمثلة في " ***الحب و القانون*** " و إلى الظروف الاجتماعية داخل الأسرة، قامت الحالات ببناء منهج لسلوكياتها هذا المنهج هو متعدد الأوجه و التعبير و متعلّق بتصوّر الأحداث لسلطة والديهم و على تصوّرهم لنوع القواعد المفروضة عليهم. في هذا الصدد أشار **le Camus** أن الوظيفة تشير إلى المساهمة الوالدية التي ترجع إلى حاجات الطفل المتمثل في "الحب و القانون" و أن وظيفة الأب حسبه تتلخّص في مجموعة العوامل التي تعمل على الحفاظ على البناء النفسي للطفل يقول "الفرد خلال نموه لا يمكنه التطوّر بشكل صحيح إلا إذا توفرت مكونين أساسين هما الحب(العاطفة، الحنان، الاهتمام، الحماية العاطفية) و القانون(السلطة، الإطار

و الحدود). فالطفل في كلّ مراحل عمره يحتاج إلى هذين الشكلين من الطاقة الحيوية جنبا إلى جنب(وقت المودة و وقت السلطة "(le Camus,2011 :p64)

يمكن تعريف الرقابة الوالدية إذا على أنها قدرة الوالدين في جعل المعايير و القواعد الأسرية ذات فعالية تنعكس على التوافق النفسي و الاجتماعي للأبناء يتم تطبيقها من قبل الأبناء. و نتيجة لهذه الرقابة الوالدية قد يؤدي إلى الامتثال أو التوافق بين سلوك الأبناء و القواعد الأسرية المشتركة و يمكن كذلك أن يسبب الهروب أو الرفض من جانب الأبناء حيث أنهم يضعون لأنفسهم مسافة بطريقة أو أخرى مع نماذجهم الأولية.

فنتيجة إلى إخفاق الوظيفة الوالدية المتمثلة في الاهتمام و السلطة (wallon 1952)[75]، و أمام غياب القيم الاجتماعية و الأخلاقية داخل الأسرة و نظرا لتفكك المحيط الأسري و انعدام المعايير و القواعد الأسرية، أصبح من السهل على الحالات ارتكاب سلوكيات حاولت من خلالها الهروب من الظروف المعيشية المحيطة بها حيث أنها وضعت لنفسها مسافة مع نماذجها الأولية فكان انحراف سلوكياتهم و هروبهم من المنزل إشارة محتملة لشعورهم بالضيق و الرغبة في الابتعاد من الجو السائد في المنزل.

الحرمان من السلطة الوالدية هو غياب أو عدم اكتفاء في السلطة و غياب الحدود يظهر في صعوبة ممارسة السلطة كما في احترامها، و أخيرا فإن عدم وجود بنية داخلية سيسبب رخاوة معينة و إلى غياب الصرامة و بصفة عامة تعقيدات في تنظيم الحياة الخاصة للأبناء، فالأبناء هم أيضا أكثر عرضة لظهور مشاكل نفسية، في أسوأ الأحوال تتمثّل في الجنوح، المخدرات و الكحول، و الكل يسبح في تمرد لا نهاية له ضد المجتمع الأسري. يشير (M. Born et f. Glowacz 2014) في كتابهما psychologie de la délinquance أن إطار الرقابة الوالدية الضعيفة و غياب النظام المفروض من قبل الأولياء داخل الأسرة يعد مؤشرا واضحا لجنوح الأطفال.

75- يشير wallon (1952) في كتابه " Les étapes de la socialisation chez l'enfant " أن علاقة الطفل مع أمه يحكمها " الاهتمام " (la sollicitude) ، و علاقة الطفل مع أبيه في " السلطة " (l'autorité) .

لدى فإن غياب و ضعف السلطة كان له انعكاسات على الحالات نتج عنه نقص في التحكّم في الذات و ترجم إلى سلوكيات خاطئة مثل (الخروج من المنزل بدون طلب الإذن، الهروب من المنزل، قضاء ليالي خارج المنزل، المخدرات، السرقة و إلى غيرها من السلوكيات المنحرفة).

هذه النتائج تطابقت بشكل واضح مع نتائج بعض الدراسات مثل دراسة القحطاني(1993) التي أقيمت على 100 حدث جانح و حملت عنوان " انتقال عناصر الثقافة الانحرافية بين الأحداث " و من نتائجها أن لضعف الرقابة الأسرية أثر في انحراف الأبناء بحث تحلهم يقضون أوقات فراغهم مع أصدقاء السوء ممّا يعزز لديهم الانتماء و الولاء لهذه الجماعة(علي سعد،2005: 75)، كذلك دراسة Ronald Etat (1991) حول إدراك و معتقدات الأطفال للسلطة الوالدية على التوافق النفسي للأطفال التي أقيمة على عينة من 349 طفلا تتراوح أعمارهم ما بين 9 و 16 سنة و قد أسفرت نتائجها أن كل الأطفال المشاركين في الدراسة يميلون إلى المعتقد المتمثل في أن السلطة الوالدية ضرورية لتلقي الأبناء تربية الجيّدة و سليمة(حمودي،2014: 27)، أمّا دراسة Michael D.berzousky (2004) حول هوية الفرد و علاقتها بإدراكه للسلطة الوالدية فقد أظهرت نتائج هذه الدراسة على وجود دور كبير لكل من السلطة الوالدية الأبوية و أساليب المعاملة الوالدية المختلفة في تحديد رسم الهوية للأبناء وولائهم لأسرتهم و مجتمعهم(حمودي،2014: 29)

3- مناقشة الفرضية الجزئية الثالثة :

يوجد اضطراب للصورة الوالدية في تصوّر الجانح المقيم بمراكز إعادة التربية لعدم قدرة النموذج الوالدي تلبية توقعاته .

عبّر Marcelli 1998 أنه " يجب أن تبقى صورة الأب كنموذج لأنه يبقى الشخصية العميقة للطفل، كذلك يتأثر سلوك الأطفال وفق النظرة التي يحملونها عن سلوكيات أولياءهم، و الصورة الوالدية لا يمكن أن تبنى إلا بفضل العلاقة الترابطية بين الوالدين وأبناءهم.

من خلال سرد حياة الحالات تبيّن لي أن النموذج الوالدي و الصورة السلبية التي حملها هؤلاء الجانحين عن والديهم من خلال سلوكيات الوالدين الخاطئة التي قاموا بها أمامهم تعتبر عنصرا مؤثرا، فسلوكيات الحالات تأثرت حسب تصوّرهم و حسب إدراكهم لأفعال الوالدين. هذا النموذج الذي يستند إليه الابن هو غائب في تصورات حالات الدراسة، و أن سلوكياتهم تعلّقت بتجاربهم العاطفية المعاشة و إلى علاقاتهم القائمة مع والديهم التي ساهمت في تدعيم تصوراتهم الذاتية و الفردية عنهم .

تصريحات الحالات كانت غنية و معبرة، فقد أظهرت المعنى الذي حدّدته عن الوالدين حيث أن جميع استجاباتهم عبّرت عن اضطراب الصورة الوالدية التي يحملونها و عن غياب النموذج الوالدي في تصوراتهم، فجميع الحالات عبّرت عن رفضها للإقتداء بإحدى أولياءها نظرا للسلوكيات و التصرفات التي لاحظوها عنهم.

"**فاطمة**" شعرت بعدم مقدرتها الإقتداء بأبيها نظرا للسلوكيات و التصرفات التي لاحظتها عنه بحيث عبّرت أن(***أباها يبتعد عن شخصيته كأب لأنه دائما يشرب الخمر و يتعاط المخدرات***). كما تحمل صورة سلبية عن أبيها بسبب غياب الدور الوالدي الذي كانت تنتظره منه و المتمثل في الحماية حيث عبّرت عن (***عدم وقوفه***

بجانبها و التخلي عنها بعد وقوعها في ورطة) أمّا من جانب الأم فقد أدلت الحالة بأن لها شعور "***بالغضب***" ضد والدتها حينما قالت أنها(***عاودت الزواج بدون علمها)***. كما عبّرت بشعورها الرفض و عدم الاهتمام من قبل والدتها بعد زواجها.

"**مروة**" حملت أفكار خاصة عن والدتها باعتبار أن سلوكيات أمها جعلتها دائما تتساءل عن حقيقتها التي أصبحت بالنسبة لها صدمة. فعندما كلّمتني عن والدتها فقد مثلتها أنها(***أم غير صالحة و كانت تقوم بحماقات أمام أطفالها داخل و خارج المنزل)*** هذه التعبيرات أشارت كلّها إلى السلوكيات الخاطئة الناتجة عن والدتها و هذا ما أدى إلى تكوين صورة سلبية عنها.

أما بالنسبة "**صارة**" فإن مكانة الأب لم يتم بلوغها عندها نظرا لعدم قدرة هذا النموذج في تلبية توقعاتها. فالحالة أحظرت في كلامها بدون توقف صور سلبية عن أبيها و التي من الصعب المجادلة فيها، فقد تبيّن لي بعد هذا التحليل أن التكلّم عن بعد الأب كصورة التي جاءت في تصوراتها توصف بالسلبية نظرا لكونها فقيرة من حيث محتوى الحب و الحماية، و أن الأب لم يقدّم صورة نموذجية لأبنائه تمكّنه الإقتداء به ***(أبي ليس رجلا)(أبي رجل غير صالح، فهو يفكر إلا في جمع المال)(أبي ليس كالآباء).***

" **محمّد** " أحب أباه لكنه ليس الأب المثالي بالنسبة إليه، فقد عرّفه في العديد من مراحل كلامه أنه(***شخص منحرف الذي يدخل السجن عدة مرات بدون انقطاع و ينتمي إلى أسرة منحرفة)***. تعبيرات "**محمّد**" حملت سمات الغضب و اللوم من الأب بسبب ما ترتب عن تصرفاته المنحرفة التي تسببت في تفكك الأسرة يقول***(أنا أقول لأبي الله يهديك.. لقد قلتها له في وجهه)*** فقد تمّ استثمار صورة الأب على النحو أنه عاجزا على استيعاب الطفل و حماية الأسرة من الضياع.

إذا نستطيع شرح عدم تماسك الحالات بالصورة الوالدية المحبوبة إلى السلوكيات الخاطئة التي كانوا يقومون بها أمامهم، و إلى العبارات التي كانوا يتكلّمون بها معهم. كما أن الصورة الذاتية و الفردية للحالات عن والديهم تكوّنت من تأثير التجارب العاطفية و علاقتهم المعاشة معهم. ففي العديد من مراحل المقابلات عبّر الحالات عن النظرة الدونية التي يحملونها عنهم. كما عبّروا في كلامهم عن خيبة أملهم من تصرفات الأولياء اتجاههم و التي أشارت إلى غياب النموذج الوالدي .

فقد جاء في تصريحات "**فاطمة**" عن الأب (***يقوم بشرب الخمر و تدخين المخدرات أمامها و يأتي بالنساء إلى المنزل ويشربون معه و أصبح كل شيء عادي بالنسبة إليها، حتى أنه طلب أن تشرب الخمر معه***).و تضيف أن " الكل يعرفها أنها ابنة "***بوبوط*** "***بائع المخدات و أن أبها منحرف*** ". كما كان دائما يتكلّم معها بعبارات غير أخلاقية مثل " ***فرخة ، أنت غير متربية ....الخ***.

أمّا "**مروة**" فمعاناتها من سلوكيات أمها جعلتها تكوّن صورة متدنية عنها إشارة إلى غياب النموذج الذي تبحث عنه الطفلة (***كلما أنظر إلى أمي أتذكر دائما هذه الأشياء غير الصالحة***). في هذا الموقف أصبحت "**مروة**" تتكلّم عن الأم بدون أي مصداقية من خلال تصريحها على أن (***أمها تزوجت عدة مرات ولديها عدة أصدقاء و لها أيضا علاقة غير شرعية مع رجل الذي يعيش معهم في المنزل***) فدرجة إحساسها و معاناتها من هذه الوضعية جعلتها تفضل العيش في المركز على أن تعيش مع أمها، و أن النظرة السيئة عن أمها جعلتها تتفادى الخروج معها خوفا من أن تصبح لها سلوكيات كما هي موجودة عندها.

أمّا عن "**محمّد**" فقد رسخت له صورة سلبية مضطربة عن أبيه من خلال حديث أمه، فالأم أعطت دائما صورة سلبية عن زوجها حينما تتكلّم عنه أمام ابنها، فالأب بالنسبة للأم هو رجل "***منحرف و الذي ينتمي إلى أسرة***

منحرفة تتاجر في المخدرات و أن بسبب سلوك الأب و انحرافه تفكّكت الأسرة و أصبحت إلى ما هو عليه" و هذا ما جعل الصورة الأبوية مفكّكة عند" **محمّد** ".

إذا تبنى الصورة الوالدية وفق النظرة التي يحملونها الأبناء عن سلوكيات أوليائهم. و التركيز على التعبيرات التي أدلى بها معظم الحالات، أعطت جوابا صريحا عن التصورات الشخصية التي يحملونها عن والديهم، فتصريحاتهم أكّدت أن الصور التي يحملونها عن والديهم لا تتطابق مع نموذج الوالدين بما تتّفق مع المعايير الاجتماعية و أن سلوك الوالدين كذلك أثّر على تصرفاتهم، فمن أجل فهم سلوكيات الحالات يجب الأخذ بعين الاعتبار معنى تصرفاتهم باعتبار أن سلوكيات الأبناء تتأثّر حسب إدراكهم لأفعال الوالدين و حسب التفسير الذي يعطونه للنموذج الوالدي.

جميع سلوكيات الحالات أشارت إلى نوع العلاقات التي تشكلت مع نماذجهم الوالدية و التي على أساسها تم بناءها، ما شكّل مواقفهم و دوافعهم. هذا الشعور عبّر عن النظرة الدونية للحالات عن آباءهم و الذي يؤكّد على عدم قدرة النماذج الوالدية في تلبية توقعات أبنائهم و إلى عدم ارتباطهم (حالات الدراسة) لنماذجهم الوالدية و التأثّر بهم في بناء هويتهم.

أدلى معظم الحالات في سردهم لحياتهم عن رغبتهم في تغيير الأسرة و رغبتهم عن تغيير مرجعهم، هذا يظهر أنهم ينسلخون من نماذجهم الوالدية، و أنهم حملوا نظرة دونية عن آبائهم و أمهاتهم التي أعاقت إرادتهم و توافقهم مع نماذجهم الوالدية التي لم تعد تلبي توقعاتهم.

"**فاطمة**" أبلغتني أنها (***لا تريد أن تكون شبيهة لأبيها لأنه شارب للخمر و تاجر المخدرات***)، فهي تريد أن تكون شبيهة لعمّها لأنه (حسب تعبيرها) شخص ليس له مشاكل في أسرته و تعب في بناء حياته لوحده و أكمل دراسته و هو يحظر الآن رسالة الدكتوراه.

"**مروة**" هي كذلك لا تريد أن تشبه أمها تقول (***أنا لا أريد أن أكون شبيهة لأمي، فشخصيتها لا تعجبني، تقول كلام غير أخلاقي، تطردني من المنزل أمام الجيران و كلّما أتذكر كلامها أشعر الرغبة في الهروب من المنزل***).

"**صارة**" كذلك لا تريد أن تكون شبيهة لأبيها لأنه (***لا يعتني بها و لا يفكّر إلاّ في جمع الأموال***) فهي تريد أن تكون شبيهة لأخيها لأنه يتعب من أجلهم و يوفّر احتياجاتهم.

غياب النموذج الوالدي جعل الصورة الوالدية التي كوّنها الحالات تكون مضطربة نتيجة السلوكيات الملاحظة و حول الوضعية الأسرية و العلاقات التي بنيت خلال التفاعلات اليومية معهم و هذا ما أدى إلى تعلّقهم مع أفراد آخرين قريبين من الأسرة و الاستناد إليهم و التشبه بهم.

إعادة التعبير عن المعاش الأسري و إعادة كتابة ماضي الحالات كوّن صورة مضطربة عن والديهم، ممّا أدى إلى صعوبة استعمال الحوار حول الأولياء، فقد أبدوا أفكار خاصة سعوا التعبير عنها لكن غالبا ما تحوّل هذا الحوار إلى معانات و انزعاج سار في جو متناقض، فالأبناء يكونون قادرين على إدراك أن والديهم يقومون بسلوكيات خاطئة و يفكرون بشكل مغاير و مختلف، فهم يعيشون تناقض بين رغباتهم الشخصية مع رغبات والديهم و هنا نتحدث عن – تطوّر الصراع الداخلي - .

4- مناقشة الفرضية الرئيسية :

- **يوجد تصّور و معاش سلبي لدى الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية للروابط العائلية.**

يظهر من النتائج تحقق الفرضية الرئيسية التي تشير إلى "وجود تصّور و معاش سلبي لدى الجانحين المقيمين بمراكز إعادة التربية للروابط العائلية". فقد سمحت تصريحات و كذا سرد حياة الحالات من إعطاء تفسير و فهم معنى سلوكياتهم فهي متعلقة بالمعنى الذي حدّدته الحالات عن التفاعلات التي تحدث يوميا و عن طبيعة العلاقات التي بنيت بينهم في بيئتهم العائلية و التي تعبّر عن تكوين الأسرة، أي الروابط و العلاقات الاجتماعية الأسرية التي أظهرت غياب الحوار و الإصغاء و غياب العدل في التعامل و عدم احتلالهم مكانة عند والديهم حسب تصوّرات الحالات. كذلك عدم إنفاق الوالدين الوقت اللازم معهم، فسلوكياتهم تأثّرت حسب تصوّرهم و إدراكهم لطبيعة معاشهم العائلي اليومي و كذا إلى نوع هذه العلاقات القائمة داخل الأسرة و انعكاسات كلّ ذلك على تكوين شخصيتهم.

استندت هذه البيانات الهائلة المستدخلة من قبل الحالات على التجارب المعاشة، و مواقف الأولياء اتجاههم و الطريقة التي من خلالها تم تنظيم العلاقات العاطفية. كما أن وجهة نظرهم كشفت عن الطريقة التي يرون تاريخ حياتهم و حول وضعيتهم الاجتماعية و مكانتهم داخل الأسرة، استرجاع الذكريات عن السيرة الذاتية يرافق الحالة العاطفية مع الذكريات.كما تبيّن استجاباتهم على قدرتهم في ملاحظة آباءهم و ملاحظة أنهم لا يتصرفون بنفس الطريقة مع كافة أبناءهم. نجد هذا في تصريح الحالة "**فاطمة**" على أنه (***لا يوجد مساواة داخل الأسرة و دائما إخوتها أحسن منها، كما أنها لا ترى أن هناك حوار و لا تجد من تعبّر له في المنزل و لا يوجد من يصغي إليها***). كذلك "**صارة**" أشارت أنها (***لا تتذكر منذ صغرها وجود علاقات جيّدة في الأسرة***

و أنها لا ترى عائلتها كالعائلات الأخرى و لا تعتبر وجود حوار في المنزل- دائما شجار...السب ... و الألفاظ غير الأخلاقية اتجاه زوجته و أبناءه..-) كذلك عدم تعامل الأب معهم بشكل عادل فقد ألقت اللوم دائما على أبيها الذي لم يتحاور معهم، فحسب تصريحها فإن (***الجو الأسري المشحون و العلاقات المضطربة داخل الأسرة هو سبب الوضعية التي آلت إليه***). "**مروة**" هي كذلك ذكرت في استجاباتها عن عدم وجود مساواة في التعامل بينها و بين إخوتها (***لا تشتري لها أمها الأغراض كما تشتريه لإخوتها و كذلك هي الوحيدة التي لم تدخلها المدرسة***)، انعدام الحوار داخل الأسرة ظهر في العديد من صور المقابلات مع الحالة "**مروة**" بحيث أنها لا تحمل أي معلومات عن أبيها و هو دليل عن عدم توفير الأم فرص الحوار مع ابنتها للتحدث عن الأب(***لا أعرف من هو أبي ،لم يجلس أو تحدث معي و لا أعلم لماذا افترقا والدي حتى أن أمي لم تحك لي عن أبي أو عن سبب الطلاق***). الحالة ترى أن الجو الأسري جعلها تشعر بالملل و تفكّر في سرقة أموال أمها و الهروب الدائم من المنزل، كما أن درجة إحساسها و معاناتها من هذه الوضعية جعلتها تفضل العيش في المركز على أن تعيش مع أمها(***أنا هنا في المركز أحسن لا ينقصني شيء***). أسلوب المعاملة التربوية كذلك للحالة " **محمّد** " الذي تلقاها من الأم و أسرتها جعلته دائما يشعر بافتقارها العدالة في المعاملة، فالأم لم تتصرّف بنفس الطريقة التي تتصرف بها مع ابنها الثاني (***أمي لا تعاملني كما تعامل أخي الصغير***)، كما أظهر وجود مشاكل علائقية و تواصلية داخل الأسرة إشارة إلى انعدام التفاعلات اليومية و غياب الحوار (***في المنزل لا يوجد الحوار خاصة معي لا يريدون التكلّم معي***) .

جل استجابات الحالات أشارت إلى أنّهم تعلّموا التكيّف مع سلوكهم الفردي وفق ظروف الحياة و الجو الأسري داخل المنزل، هذه الاستجابات وضّحت على أن كلّ حالة من حالات الدراسة عاشت مواقف أسرية التي أثّرت فيها، هي مواقف تفاعلية التي تركت آثار عاطفية مميزة ذاتية التي وجهت سلوكهم.

الملاحظة الأكثر تأكيدا للفرضية هي أن جميع حالات الدراسة أبدوا وعيهم الكبير عن معاشهم الأسري و الخلل الذي ساد الروابط الأسرية بسبب انهيار العلاقات الزوجية بين الوالدين. فمن خلال المقابلات منهم من أظهر أنه عاش في وسط خلافات بين عائلتين عائلة آباءهم و عائلة أمهاتهم كما هو الحال ل "**محمّد**" و "**فاطمة**". كما أن معظم الحالات عاشوا في عائلات أحادية الوالدين une famille monoparentale إما بسبب الطلاق(حالة **محمّد** و **فاطمة**) أو عدم وجود الأب (حالة **مروة**). هذه وضعيات أثرت على شخصيتهم و شكّلت صدمة بالنسبة إليهم و شرحت تماما تأثيرها على معاشهم و نموهم النفسي و الاجتماعي لديهم، ففي جميع تصريحاتهم أظهروا معانات شديدة لهذا الوضع كما أظهروا حساسية مفرطة لغياب أحد الوالدين في الأسرة نجدها في تعبيرات عديدة منها (***أنا لا أريد أن أرى هذه النظرة أن أمي في جهة وأبي في جهة أخرى) (الشيء الذي ينقصني في الأسرة هو أبي)(أنا لم أتحمل هذا الشيء)***.

ما تم الإشارة إليه أن جميع الحالات يجتمعون في عنصر واحد هو غياب الأب عن البنية الأسرية. ففقدان الأب هو فقدان للعمود الفقري، ظهر واضحا على حياتهم من خلال افتقادهم الحماية التي لم تتمكن أن توفرها لهم الأم كما هو الحال بالنسبة للحالة "**مروة**" عندما تعرضت إلى اعتداءات جنسية من قبل أخيها ما يشير إلى وجود زنا المحارم في الأسرة l'inceste، فوظيفة الأب هنا هي غائبة التي تخضع لقانون منع زنا المحارم الذي يسنه (le camus ,p16) . فالأب يتدخل حسب نموذج المنع فهو يلعب دور المفرّق و كذلك دور المانع فهو يمنع زنا المحارم. يشير F.Hursel أن " من بين مبادئ وظيفة الأب هو إشهار و تفعيل قانون منع زنا المحارم داخل الإطار العائلي من خلال العلاقات الإنسانية ما بين الأفراد "(F.Hursel , 2002 :p53) و عندما يتم إدخال هذه الموانع (الاجتماعية) فإنه يتم بناء الجهاز النفسي المسمى بالأنا الأعلى الذي سيسمح له بالتكيّف مع القوانين الاجتماعية، فالوظيفة الأبوية ليس لها طابع نفسي و ذاتي فحسب فهي أيضا وظيفة

اجتماعية. كما أن الأب يلعب دورا مهما في تشكل الأنا الأعلى، حيث أن سلطة الأب المدمجة داخل الأنا تشكل الأنا الأعلى و يفترض من الأب الانضباط حتى يؤيد منعه لزنا المحارم (Freud S.,1969).

هذه وضعيات أثارت حدوث أنماط سلوكية مضطربة لديهم (مثل تناوله المخدرات و الخمر و الهروب من المنزل، البحث عن جماعة الرفاق) كوسيلة لخفض التوتر الناتج عن الإحباط و القلق و الابتعاد عن الجو الأسري المضطرب الذي يعيشون فيه، هو ما أشار إليه Meier أن " الانحراف عبارة عن استجابة نمطية عن القلق الناتج عن الإحباط المستمر(محمد سند،2005،ص66). فالجو الأسري المتوتر الذي عاش فيه الحالات أدى إلى ظهور لديهم أنماط سلوكية مضطربة و غير سوية ،أظهر لهم صراعا نفسيا و قلقا هدّد إشباعهم ما أثار شعورهم بالتوتر و الخوف ما أظهر لديهم سلوكيات معادية للمجتمع. فالقلق هو أساس كل سلوك منحرف من قبل الأحداث و كل اضطراب في السلوك "(Bernard G. et all ,2011 :p 36).

إذا ركّزنا على التصورات الشخصية للحالات عن مكانتهم في الأسرة و عن أوليائهم نجد أنهم ضحايا الخلفية الأسرية و أنهم يعانون من المشاكل العلائقية التواصلية داخل الأسرة. فاضطرابهم ما هو إلا وسيلة لجئوا إليها للتعبير عن مطالبهم و عن عدم رضاهم و رفضهم لهذه الوضعية الأسرية.

كذلك نمت صورة الحالات و اتضّحت عن طريق المواقف الأسرية التي تعير و تقدّر شخصيتهم كإنسان لهم حاجاتهم و رغباتهم ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار و يجب أن تلبى، فإذا شعرت الأسرة بأهمية هذه الحاجات و عملت على تلبيتها قدر الإمكان و بالطرق المشروعة مصحوبة مع حب الأسرة و تقديرها للأبناء فإن الابن يبدي تكوين شعورا إيجابيا عن نفسه و عن أسرته و عن مجتمعه، و يشعر بأنه إنسان له قيمة و يكون مسرورا بمن حوله، معتزا بشخصيته و يحس بأن له أهمية خاصة داخل محيط أسرته.

من بين العوامل الأخرى التي أظهرتها استجابات الحالات و التي أثارت حدوث سلوكيات مضطربة لديهم، هي فشلهم في الحصول على القبول و الشعور بالحب من قبل أسرهم و إلى عدم احتلالهم مكانة جيدة عند والديهم كأبناء، فكل الحالات التي تم استجابتها تحدثت عن وجود صراع بينهم و بين والديهم سواء مع الأب أو مع الأم، هذا النموذج الوالدي التي هي العلاقات العاطفية معهم مضطربة و متوترة حملت الشعور بعدم الرضا و الرفض الذي طغى على مشاعرهم. " **محمّد** " الذي صرّح بشكل مباشر عن عدم احتلاله مكانة داخل الأسرة (***لم أشعر أن لي مكانة في الأسرة***) عبّر عن شعوره بأنه طفل متبني و أتوا به من مزبلة و تم تربيته، فهذا تعبيرا واضحا لشعوره بعدم الاعتراف به و افتقاده لرابطة الانتماء إلى هذه الأسرة (***أشعر دائما أنني طفل متبني – جابوني و رباوني وخلاص – .. أتوا بي من مزبلة و قاموا بتربيتي***). "**مروة**" و بخصوص العلاقات العاطفية أكّدت أن (***الحب هو شيء أساسي***) و هذا ما ينقصها حسب تعبيرها حيث أكّدت أنها لم تشعر أبدا أنها محبوبة في المنزل (***داخل المنزل أشعر دائما أن الكل يكرهني و لا يحبونني***) (***أظن أن أمي تكرهني لم تبقى تحبني***) و بخصوص مكانتها داخل الأسرة تأكّد " **مروة** " على شعورها بفقدانها القبول و القيمة داخل الخلية الأسرية (**أمي تقول لي دائما خذي حوائجك و اخرجي عني من المنزل**)(**لا يوجد أحد يثق بي**)(***ماما لا تتكلم معي بشكل جيد أجد الهروب من المنزل هو الحل***)(***علاقتي مع أمي غير جيدة فهي دائما تقلل من قيمتي و تقديري ...***) (***لا توجد مساواة فأمي تتعامل مع إخوتي أفضل مني***) و عن حرمانها من فرص التعليم مقارنة بإخوتها عبّرت الحالة عن إحباطها من حرمان الأم إدخالها إلى المدرسة(***لم تتركني أدرس و لم ترحمني***). "**فاطمة**" هي كذلك صرّحت عن شعورها بالفشل في الحصول على القبول و كذلك فشلها في الشعور بالحب من قبل والديها (***شعرت بأنني غير مقبولة في الأسرة***)، كما أشارت الحالة في العديد من جوانب المقابلات على شعورها بفقدانها الاهتمام من قبل الأسرة (***أبي لم يعطيني اهتمام***)،(***لا أجد من يصغي***

إلي في العائلة)،(والدي لم يعطوني فرصة للتعبير عن المشاعر)،(حتى واحد ما عرف بلي خرجت لأنهم ما عاطيينيش اهتمام و ما يحوسوش عليا)،(أنا كنت نخرج من المنزل و هما ما علابالهومش .. نمشي من البيض لسعيدة من الخميس إلى السبت و هما يعرفوش ..). أمّا "صارة" فهي لم تعش أي مرحلة من مراحل التنشئة الاجتماعية السوية التي يعيشها أي طفل مع والديه كما أنها عاشت التهميش النفسي و الاجتماعي من قبل أسرتها، الحالة تأكد أنها لا تعتبر(***ابنة***) عند والدها و ليست لديها مكانة عنده، هذا الشعور ولّد لديها الإحساس أنها فقدت مكانتها داخل الأسرة (***لا أجد مكانتي في الأسرة***).

من المهم هنا التطرق إلى أوجه الشبه و العبارات المتشابهة الموجودة في التصوّرات الذاتية للحالات التي حملت طابع عاطفي نجد تفسيرها داخل الخلية الأسرية مثل(***لم أشعر أن لي مكانة في الأسرة)(داخل المنزل أشعر دائما أن الكل يكرهني و لا يحبونني)(لا يوجد أحد يثق بي)(لا توجد مساواة)(شعرت بأنني غير مقبولة في الأسرة)(أبي لم يعطيني اهتمام)(لا أجد من يصغي إلي في العائلة)(والدي لم يعطوني فرصة للتعبير عن المشاعر)(لا أجد مكانتي في الأسرة)***. هذه العبارات تعبّر على أنها عاشت سلوكيات تربوية أعاقت تكيّفها الاجتماعي (كالإهمال ، غياب المعايير التربوية ، فشل التعلّق ...الخ) و على شعورها بعدم احتلالها مكانة عند والديها كطفلة تسمح لها بالدخول في علاقة و تفاعل معهم(Fsian H . , 2006)[76]

تحليل التفسيرات التي يحملها الحالات حول انتقالهم إلى الأعمال الجانحة أو الهروب من المنزل تمّ إسنادها إلى معاشهم للروابط الأسرية و إلى أنواع التجارب المعاشة حيث أن جميع الحالات ألقوا المسؤولية على النماذج التي تم

---

[76]- . المكان يسمح للآخر بأن يدخل في علاقة مع الفرد ، و يخاطبهم و يتفاعل معهم ، و من هنا يمكن القول بأن داخل أي علاقة ، الشركاء يبدؤون في عمل تفاوضي، لتحديد مكان كل واحد منهم بالنسبة للآخر (Fsian H . , 2006) .

تحديدها (الأب و الأم)، كما أن تفسيراتهم أسقطت أهمية الوسط المعيشي التي تلقوا فيها تربيتهم و إلى مرحلة الطفولة في تشكيل شخصيتهم حيث أن المشاكل العلائقية و مشاعر الرفض و عدم القيمة و الحرمان العاطفي و عدم الاهتمام هي أعراض موجودة في حياة هؤلاء الأبناء. يرى **Freud** أن "شخصية الفرد تتأثر إلى حد كبير بالعوامل النفسية التي تتكون خلال مرحلة الطفولة، إذ تبقى رواسب هذه المرحلة عالقة بشخصية الفرد وتصبح دافعا لا شعوريا لسلوكه وتصرفاته، فالجنوح هو تعبير عن طاقة غريزية لم تجد لها مخرجا اجتماعيا، فأدت إلى سلوك لا يتفق والأوضاع التي يسمح بها المجتمع.كذلك شعور الأبناء بالانتماء و الاعتراف من قبل الوالدين يقوي اعتزازهم بأسرهم، و قد نظم ماسلو Maslow في هرمه مستويات من الحاجات تبدأ من قاعدة الهرم بالحاجات الأولية البيولوجية ثم الحاجة إلى الأمن ثم الحاجة للحب و الانتماء، ثم حاجات تأكيد الذات ثم تحقيق الذات ثم المعرفة ثم الفهم . فإشباع الابن لإنتمائه الأسري يتم اعتمادا على تحقيقه لحاجياته الأولية من ملبس و مأكل و راحة و حماية و هي حاجات توفر له إشباع دافع الأمن، و من ثم يمهد ذلك إشباع دافع الانتماء و الذي يحدث من خلال الترابط بين أفراد الأسرة حيث يؤثر على سلوك الابن خارج الأسرة من قبيل الاعتزاز بأسرته و الخوف على ما قد يسيء إليه و يعبر الفرد على ذلك بسبل أكثر نضج كلما ازداد العمر الزمني .

في هذه الحالة يبحث الجانحين خارج انتمائهم (العائلة) عن نماذج أخرى تمكّنهم من الاستناد و الاندماج و على العموم كلّما كانت العلاقات الوالدية أقل قوة، كلّما ازداد خطر الانتقال إلى الفعل المنحرف. و في نفس الوقت يعتبر الجنوح إجابة على تفكك الأسرة و يعبّر بالنسبة للمنحرفين كرد فعل سيء عن معاشهم داخل الأسرة. من خلاله يحاولون إعادة البناء كعناصر اجتماعية عن طريق الدخول في مجموعة أخرى، و أنها محاولة لإعادة بناء " العلاقات الأخوية " و بناء " روابط ذات معنى ".

هذه النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة تأكدها العديد من نتائج الدراسات السابقة التي اهتمت بالتنشئة الاجتماعية و الأسرية للأبناء و تأثير ذلك في ظهور السلوك المنحرف، و من هذه الدراسات نجد دراسة " صيرفي " (1996) التي حملت عنوان " التنبؤ بانحراف الأحداث من خلال الخصائص الأسرية و أساليب المعاملة الوالدية و مفهوم الذات " و قد أثبتت نتائجها على أنه يمكن التنبؤ بانحراف الأحداث من خلال الخصائص الأسرية و أساليب المعاملة الوالدية، كما جاء في نتائجها أنه هناك علاقة قوية بين أساليب المعاملة الوالدية و التنشئة الاجتماعية و ما يسبّبه من عقاب جسدي و سحب الحب من قبل الوالدين في تنشئة الحدث(علي سعد،2005: 69). كذلك تتطابق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة بن شيخ بختي (1990) التي اهتمت بأثر التفكك الأسري على انحراف الأحداث و الذي أكد في دراسته أن الحدث الذي يعاني من ظروف التفكك الأسري يكون انحرافه مستهدفا و أن هناك علاقة بين التفكك الأسري و انحراف الأحداث و اعتبر كذلك أن الأولياء هم أساس المشكلة حيث أنهم يدفعون بمشاكلهم الأسرية الأحداث نحو التشرّد (كركوش،2011: 117). كذلك " زينب حميدة بالقادة " (1990) التي تطرقت إلى مدى تأثير الظروف الأسرية التي يعيشها الأبناء على انحرافهم و جنوحهم حيث أثبتت نتائجها إلى أن 66.67% من أسر الجانحين كان يشترك فيها الخصام بين الزوجين و هجر الأمهات لبيوتهم(كركوش،2011: 118). نتائج دراسة " شاهين Shaheen " (1992) تطابقت هي كذلك مع نتائج الدراسة الحالية حيث وجد أن المشاكل الأسرية و المشاكل بين الوالدين أو بين الوالدين و الأبناء كانت السبب الأكبر للسلوك المنحرف للفتيات المراهقات. و أن العلاقات الجنسية قبل الزواج و استخدام المخدرات كانت مرتبطة ارتباطا مباشرا بنقص المودة بين الوالدين من جهة و بين الوالدين و الأبناء من جهة أخرى(العكايلة، 2005: 292)

الخاتمة

الخاتمـــــة :

من خلال التربية و العلاقات العاطفية التي تكوّنت بين الجانحين و أولياءهم (الآباء و الأمهات)، يعطي الأبناء معنى للوضعيات التي يعيشونها، و الجنوح هو نتاج قصة حياة معقّدة، عاطفية و اجتماعية، فردية و جماعية. و مع ذلك، فإذا كانوا قد وُصِمُوا(وصمة عار) من قبل المجتمع الذي في الكثير من الأحيان يسعى إلى التخلّص من مسؤولياته الخاصة، فلا يمكن من إعفاء الأولياء من مسؤولياتهم اتجاه أبنائهم. فالأسرة بالنسبة للابن مساحة الحماية المميّزة و هي البيئة المركزية التي تنقل له المعايير و بفضل الأسرة يمكنه تطوير شخصيته و تعزيزها. لكن عند مواجهة فشل تحمّله وغياب الدعم المعنوي الضروري له للنمو بشكل جيّد، يمكن له أن يختار إستراتيجية للتعويض من خلال التحوّل إلى القيم المثالية المنحرفة أو النماذج المخالفة أو الممارسات الانحرافية.

في الواقع يتغذى الأبناء على العالم الذي يحيط بهم حسب إدراكهم لمعاشهم الأسري و طريقتهم في تصوّرهم للحياة، و يتصرّفون وفقا لإدراكهم لبيئتهم و وفقا لخبراتهم و معاشهم العائلية التي عاشوها و المواقف التي يواجهونها. فهم يطوّرون علاقاتهم الاجتماعية و يؤسسون بشكل تدريجي العلاقات ما بين الأشخاص، و ينتقلون من العلاقات الأسرية الأولى إلى التفاعلات الاجتماعية مع الفئات الاجتماعية الأخرى.

إن الحالات المختلفة التي تمّ دراستها، و بفضل المعلومات التي تمّ جمعها في الميدان التي تسمح بالتعبير عن حساسية إدراكية، تدعو إلى الاهتمام بتاريخ الأسرة فرديا و جماعيا كحقيقة نفسية-اجتماعية. و القول بأن تجارب الجانحين المعاشة و ما يحدث لهم في حياتهم اليومية، يشكّل عمق تاريخهم النفسي. فقد أظهرت الدراسة أن الجنوح يُظهِر مطلب الأبناء خلال فقدانهم للحب و الاهتمام و انعدام حضور الأهل و غياب السلطة و الحاجة إلى تعويض غياب العلاقات التواصلية و الأمن العاطفي و النقص الذي يشعرون به عند مقارنة أنفسهم مع أطفال آخرين.

تجارب الجانحين هي قاعدة متعددة الأبعاد، على أساسها يحدّد بشكل شخصي ما ينقل إليهم من المحيط الأسري و توجّه سلوكهم حسب المعنى الذي يعطونه للوضع، و يتصرّفون وفقا للظروف التي يجدون فيها أنفسهم و مكانتهم التي يشعرون احتلالها عند أولياءهم.

تجدر الإشارة إلى أن التربية و اكتساب المعايير الاجتماعية التي تنقل عن طريق النماذج الوالدية هي" قوة تكوينية " تقدّم للأبناء من جراء سلسلة من المواقف الحازمة التي توجّه بشكل كبير تحليلهم لوضعيتهم. فعن طريق التربية و العلاقات العاطفية التي تطوّرت مع آبائهم و أمهاتهم، يعطي الأبناء معنى للمواقف التي يواجهونها. فمواقفهم و خطابهم تبيّن أن سلوكياتهم هي ردود أفعال التي تختلف مع مرور الوقت وفقا لإدراكهم لخبراتهم المعاشة و تصوّراتهم للروابط الأسرية اعتمادا على منطق تصرفات أولياءهم. كما أن النزاعات الأسرية و المشاعر الدونية و الرفض التي يعاني منها الأبناء تشير إلى أن النقص العاطفي يولّد تغيّر في تصوّر الذات و يؤدي إلى تغيير المرجع و بهذا يحصل الابن على صورة سلبية عن نفسه، صورة سلبية مرتبطة بالمشاعر المؤلمة.

لقد أظهرت الدراسة الميدانية أن الأبناء هم الضحايا الحقيقيون للعجز الأسري و الاضطراب في الوظيفة الوالدية، فتكوينهم يكون وفق العناصر المحيطة بهم و المشاكل التي يواجهونها و القيود المفروضة عليهم. و العديد من الدراسات أثبتت الارتباطات بين الميل إلى الفعل الجانح و اضطراب البيئة الأسرية جراء العديد من العوامل الثقافية، الأخلاقية، الأكاديمية و الثقافية التي تساهم في دعم تعزيز الانتقال إلى الأفعال الجانحة.

الدراسة الحالية أظهرت وجوب تضافر الجهود بين أسر الجانحين و مؤسسات إعادة التربية كذلك مع وضع مشروع تعاون مع العائلة، والتأكيد على العلاجات المؤسساتية خاصة العلاجات الأسرية للبحث عن إيجاد السبل والطرق الملائمة لإعادة تربية هؤلاء الجانحين غير المندمجين اجتماعيا، فالعائلة و مؤسسة إعادة التربية هما هيكلين

اجتماعيين يختلفان عن بعضهما في الخصوصية (العائلة هي إطار طبيعي و المؤسسة هي إطار مصطنع) لكن لديهم هدف مشترك هو محاولة إيجاد حلول اجتماعية للجانح.

إن غياب الرعاية والمرافقة البَعدِية للجانحين بعد خروجهم من مراكز إعادة التربية، يؤدي في الغالب إلى تكرار السلوك الانحرافي، و هو الجانب الذي تفتقر إليه هذه المراكز و الدليل على ذلك هو الرجوع إلى الانحراف حتى بعد تلقيهم جملة الإصلاحات والرعاية داخل مركز إعادة التربية. لهذا أصبح من الضروري إعادة التفكير، وبذل الجهود و توفير الإمكانيات من أجل استخلاص برامج علاجية نموذجية، يتم تطبيقها على الجانحين المودعين في مراكز إعادة التربية، و التي تؤدي إلى تحقيق نتائج ايجابية، علما أن هذا لن يتحقّق إلاّ من خلال إشراك أسر الجانحين و تكوين مختصين في هذا المجال والاهتمام بهم في نفس الوقت.

إسهامات علمية

إسهـامـات علميـة :

بعد إتمام هذه الدراسة و بالارتكاز على النتائج المتحصل عليها توجب علنا إعطاء بعض الإسهامات، هي مستخلصة من الملاحظات التي تمّ جمعها من الدراسة الميدانية و موجهة بدرجة كبيرة إلى مؤسسات إعادة التربية لعلها تفيد في تطوير و تحسين عملها و تساهم في إدماج و تأهيل الجانح. فبالرغم من المجهودات المبذولة في هذه المؤسسات إلا أن هناك بعض النقائص يجب تداركها كونها لم تتمكن بعد من إيجاد السبل والطرق الملائمة لإعادة تربية و تأهيل هؤلاء الجانحين غير المندمجين اجتماعيا، و الدليل على ذلك هو الرجوع إلى الانحراف حتى بعد تلقيهم جملة الإصلاحات والرعاية داخل مركز إعادة التربية. لهذا أصبح من الضروري إعادة التفكير و بذل الجهود و توفير الإمكانيات من أجل استخلاص برامج علاجية نموذجية، يتم تطبيقها على الجانحين المودعين في مراكز إعادة التربية، و التي تؤدي إلى تحقيق نتائج ايجابية.

يمكن استخلاص مجموعة من الاسهامات يتم إدراجها كالآتي:

1. *التأكيد على العلاجات الأسرية داخل مؤسسات إعادة التربية* :حسب الدراسات الاستطلاعية على بعض هذه المؤسسات، فالملاحظة الأكثر جدلا هو عدم العمل على إدماج أسرة الجانح في العملية العلاجية و القيام بالعلاجات الأسرية، فالدراسة الحالية أثبت أن المشكل يكمن في العلاقة بين الجانح و أولياءه، أي أن هناك اضطراب في العلاقة أب-أم-ابن تكمن في عدم تقبّل الأولياء للجانح و عدم تقبل الجانح لأوليائه. هذا ما يزيد من عدد الجانحين المعاودين، فالجانح عند اكتمال مدة إيداعه بالمركز و عودته إلى المنزل لا يجد أسرة تحضنه و تحميه بل يجد الشارع و الأصدقاء، ممّا يزيد من احتمال إعادة قيامه بأعمال منحرفة . إذا يجب على هذه المراكز العمل على تأكيد التعاون بينها و بين عائلات الجانحين، كونه أمرا ضروريا، ضمانا

لتكفّل فعال و مجدي، فالعائلة ومؤسسة إعادة التربية هما هيكلين اجتماعيين يختلفان عن بعضهما في الخصوصية (العائلة هي إطار طبيعي و المؤسسة هي إطار مصطنع)، لكن لديهم هدف مشترك هو محاولة إيجاد حلول اجتماعية للجانح.

2. *الرعاية البعدية للجانحين بعد خروجهم من المراكز* : ضرورة إنشاء خلايا خاصة بمتابعة الجانحين بعد الإفراج عنهم من مراكز إعادة التربية، كون الرعاية اللاحقة أمر لا غنى عنه. إن غياب الرعاية والمرافقة البعدية للجانحين بعد خروجهم من مراكز إعادة التربية، يؤدي في الغالب إلى تكرار السلوك الانحرافي، الجانب الذي تفتقر إليه هذه المراكز. يتضح ذلك و من خلال مرحلة الدراسة الاستطلاعية في المراكز و التطرّق إلى بعض ملفات الحالات. أنهم يعيدون ارتكاب نفس الأخطاء، و بقائهم على نفس السلوكيات التي أدت بهم للانحراف، علما أن لسبب الانحراف علاقة مباشرة بالبيئة المحيطة بالجانح و المتمثل خاصة في رفقاء الحي. هنا نشير بأن الجانح ما لم يجد من يوجهه ويرشده، فسيبقى على الطريقة المنحرفة، و يبقى في تكرار دائم للسلوك الانحرافي كل مرة حتى يصبح مجرما محترفا.

3. الخلط بين الجانحين داخل المراكز: إن الخلط بين الحالات المختلفة للجانحين، يؤثر سلبا عليهم و يدفع بعضهم بعد قضاء مدة معيّنة الرجوع إلى السلوك الجانح. اتضح ذلك أثناء الاطلاع على نظام توزيع الجانحين في المراكز، حيث تبيّن أن التقسيم المعمول به في المراكز يعتمد في تقسيمه للجانحين على متغيّر السن دون الأخذ بعين الاعتبار الفروق بين الحالات و هذا ما يؤثر سلبا على عملية الإدماج، فقد وُجد اختلاط بين الجانح الموجود لأوّل مرة بالمركز و الذي ليس لديه أي نظرة عن الجنوح، مع آخر له خبرة و سوابق قضائية، ناهيك عن طبيعة و نوع الجنح المتفاوتة من حيث درجتها وخطورتها.

4. *اللجوء إلى أخصائيين نفسانيين متخصصين في هذا المجال*:ما هو ملاحظ في هذه الدراسة أن جميع مؤسسات إعادة التربية لا تتوفّر على أخصائيين نفسانيين و كذا اجتماعيين متخصصين في مجال الجنوح و الجريمة و هذا ما قد يسبب صعوبة في التعامل مع الجانحين بالرغم من المجهودات التي يقومون بها الأخصائيون النفسانيون العاملون بهذه المراكز. فبخصوص دعم و تطوير خدمات الرعاية النفسية و الاجتماعية يجب على هذه المراكز اللجوء إلى أخصائيين نفسانيين متخصصين في هذا المجال، أو العمل على استفادة هؤلاء المختصين النفسانيين ببرامج تكوينية.

5. *تطوير البحوث النفسية لفائدة الجانحين*: مجال الجنوح يحتاج دراسات نفسية معمّقة، فما هو ملاحظ أن هناك نقص كبير حتى لا نقول انعدام دراسات نفسية تحليلية للجانح خاصة في الجزائر. فمعظم الدراسات (أو الكل) التي أقيمت هي دراسات كمية إحصائية تدرس عينات كبيرة من الجانحين و لا تأخذ الجانح في خصوصية، لدى يجب دعم البحوث التي تعتمد على دراسة الحالة و التي تدرس نفسية الجانح و تاريخه دراسة فردية معمّقة .

قائمة المراجع

قائمة المراجع :

أ- المراجع باللغة العربية

1- أحمد سلطان عثمان .(بدون سنة). المسؤولية الجنائية للأطفال المنحرفين دراسة مقارنة، القاهرة .

2- أحمد محمد مبارك الكندري. (1992). علم النفس الأسري، مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع، الكويت، الطبعة الثانية .

3- بختي العربي . (2014). جنوح الأحداث في ضوء الشريعة و علم النفس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .

4- بن وسعد نبيلة. (2014). الصورة الوالدية عند الأطفال الذين يعانون من الفوبيا المدرسية خلال فترة الكمون، مخبر تطوير الممارسات الفنية و التربوية، العدد 12.

5- بوسماحة عبد الحق .(2007). تصوّر الجن في الثقافة الجزائرية (منشورة)، دراسة عينة من مثقفين مدينة وهران، ثلاثة حالات من المعالجين التقليديين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس، جامعة السانية وهران، الجزائر .

6- جعدوني زهراء.(2011). الاعتداء الجنسي: دراسة سيكوباتولوجية للتوظيف النفسي للمعتدي الجنسي، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في علم النفس العيادي و المرضي، جامعة وهران،الجزائر.

7- جعفر عبد الأمير ياسين. (1993). أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث، عالم الكتب، القاهرة، ط3 .

8- الجوخدار حسن . (1992). قانون الأحداث الجانحين، مكتبة الثقافة للنشر و التوزيع عمان، الطبعة الأولى.

9- الحاج الشيخ سمية. (2013). التصورات الاجتماعية للمرضى العقلي لدى الأطباء (منشورة)، دراسة ميدانية لدى عينة من أطباء مستشفى بشير عبد الناصر بسكرة، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس الاجتماعي، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر .

10- حجازي مصطفى.(2005).الأسرة و صحتها النفسية،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء،المغرب،الطبعة الأولى.

11- حامد عبد السلام زهران. (1993). الصحة النفسية و العلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط3 .

12- حليمة عكسة. (2015). تصورات المراهق حول الوسط المدرسي و علاقتها بكل من الشعور بالأمن النفسي و الانتماء المدرسي لديه، دراسة ميدانية ببعض متوسطات ولاية باتنة (منشورة)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس المدرسي، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر .

13- حمودي سليمة. (2014). التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و انعكاساتها على السلطة الوالدية كما يراها الأبناء في الأسرة الجزائرية، أطروحة دكتوراه علوم في علم النفس، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

14- خلايفية نصيرة (2012)، التصورات الاجتماعية لدور المدرسة عند الأحداث المنحرفين(منشورة)، دراسة ميدانية بمراكز إعادة التربية، أطروحة دكتوراه علوم فرع علم النفس الاجتماعي، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر .

15- رشدي أحمد طعيمة. (2004). تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، دار الفكر العربي، سلطنة عمّان.

16- زرارقة فيروز. (2005). الأسرة و علاقتها بانحراف حدث المراهق، أطروحة دكتوراه علوم،جامعة منتوري قسنطينة.

17- السحدان عبد الله بن ناصر. (1979).رعاية الأحداث المنحرفين في المملكة العربية السعودية،مكتبة العبيكان ، الرياض .

18- سميرة هامل .(2012). التصورات الاجتماعية للسجين لدى مسئولي المؤسسات المتعاقدة مع وزارة العدل و أثرها في إعادة الإدماج الاجتماعي للمحبوسين (منشورة) ، دراسة ميدانية بالمؤسسات العمومية لولاية باتنة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر .

19- سوالمية فريدة.(2007). مسامة في دراسة العوامل النفسية و الاجتماعية لعمل الأطفال، دراسة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم النفس العيادي، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة.

20- شعبان زهرة. (1996). تقرير التدريب الميداني لدى محكمة و مجلس قضاء مستغانم، الدفعة 06، المعهد الوطني للقضاء.

21- طالحي هجيرة. (2013). ممارسة السلطة الوالدية داخل الأسرة و انعكاساتها على التوافق النفسي الاجتماعي للمراهق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي (منشورة)، جامعة وهران ، الجزائر .

22- عبد المجيد منصور و زكرياء أحمد الشربيني.(2000). الأسرة على مشارف القرن 21، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى .

23- عبد المعطي،حسن مصطفى.(1998).علم النفس الإكلينيكي،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة.

24- عبيدات و آخرون.(1999).منهجية البحث العلمي،القواعد و المراحل التطبيقية، وائل للطباعة و النشر،الأردن،الطبعة 2.

25- عزيزة عبده. (2004). الإعلام السياسي و الرأي العام، دار الفجر، القاهرة .

26- العكايدة محمد سند.(2005).اضطراب الوسط الأسري و علاقتها بجنوح الأحداث،دار الثقافة للنشر و التوزيع،ط1،عمان.

27- علالي بن زيان.(2001).دور القضاء في تقويم جنوح الأحداث و حمايتهم على ضوء التشريع الجزائري،مذكرة نهاية التدريب، الدفعة 10.

28- علي سعد آلا هطيلي.(2005). تأثير القنوات الفضائية على اكتساب السلوك الجانح لدى الأحداث، دراسة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التأهيل و الرعاية الاجتماعية، جامعة نايف العربية، المملكة العربية السعودية.

29- عمار عبد الحق.(2017). العلاقات التفاعلية أب-طفل في المجتمع الجزائري دراسة مقارنة، أطروحة للحصول على شهادة دكتوراه علوم، جامعة وهران 2.

30- علي مانع. (1996). جنوح الأحداث و التغيير الاجتماعي في الجزائر، دراسة في علم الإجرام المقارن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

31- علي مانع. (1997). عوامل جنوح الأحداث في الجزائر، نتائج دراسة ميدانية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

32- علي محمد جعفر. (1996). الأحداث المنحرفون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت .

33- علي محمد جعفر. (1999). مجلة الدراسات القانونية، حماية الأحداث المنحرفين في التشريع الجزائي و المواثيق الدولية، العدد الأول، جامعة بيروت العربية.

34- علي محمد جعفر.(2002).الأحداث المنحرفون دراسة مقارنة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، الطبعة الثالثة

35- غريب سيد أحمد. (1999). الجريمة و انحراف الأحداث، المكتب العلمي للكومبيوتر و النشر و التوزيع ، الإسكندرية.

36- قدور. (2005). الحدث الجانح و الحدث في خطر معنوي، دراسة مقارنة، مذكرة لنيل إجازة المدرسة العليا للقضاء.

37- لزرق سجيدة . (2013). التنشئة الاجتماعية الوالدية و جنوح الأحداث، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي (منشورة)، جامعة وهران، الجزائر .

38- ماريف منور. (2013). تصور الذات و تأثيره على طبيعة العلاقات المهنية و الاجتماعية في ظل ثقافة التكوين المهني (غير منشورة)، دراسة ميدانية لأساتذة مؤسسات التكوين المهني –وهران المدينة-، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، جامعة وهران، الجزائر .

39- محمد عبد القادر قواسمية. (1992). جنوح الأحداث في التشريع الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب.

40- المحمودي محمد الطاهر عبد الله. (2006). مفهوم الذات و التكيّف لدى الأحداث الجانحين بالمجتمع الليبي، رسالة دكتوراه في علوم التربية، جامعة الجزائر.

41- مرحوم نور الدين. (2013). تمثلات الأب و تقدير الذات لدى المراهقين المودعين تحت الرقابة القضائية (منشورة)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي، جامعة السانيا و هران، الجزائر .

42- هاني عبد الرحمن مكروم.(1999).التصوّر العقلي،القاهرة، مكتبة وهيبة، الطبعة الأولى.

43- المواد و الأمور القانونية

1- الأمر 75/ 64 المؤرخ في 20 رمضان 1395 هجري الموافق لـ 26 سبتمبر 1975 المتضمن إحداث المؤسسات المكلفة بحماية الطفولة و المراهقة.

2- الأمر 72/ 03 المؤرخ في 25 ذي الحجة عام 1391 هجري الموافق لـ 10 فيفري 1972 المتعلق بحماية الطفولة و المراهقة.

3- الأمر 155/66 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 هجري الموافق لـ 08 جوان 1966 المتضمن قانون الإجراءات الجزائية المعدل و المتمم.

4- القانون رقم 04/05 المؤرخ في 27 ذي الحجة عام 1425 هجري الموافق لـ 06 فبراير سنة 2005 ، المتضمن قانون تنظيم السجون و إعادة الإدماج الاجتماعي للمسجون.

5- مدونة النصوص القانونية و التنظيمية الخاصة بالأطفال – صادرة عن المدرسة العليا للقضاء

6- مرشد المتعامل مع القضاء. (مارس 1997). منشور صادر عن وزارة العدل، الديوان الوطني للأشغال التربوية .

44- المراجع باللغة الفرنسية

1- Alain Bouregba. (2004). Les Troubles De La Parentalité , Dunod ,Paris.

2- Anne Baudier et Bernadette céleste.(2002). le développement affectif et social du jeune enfant : faits et théories :regards actuels sur les interventions , 2em éd , Nathan université.

3- Bernard Gaillard ,Sylvie Hamel. (2011). René André Brisebois ,Adolescents Délinquants Et Leurs Parents , L'harmattan Édition , Paris.

4- Bourdieu P. A Propos . (1993). De La Famille Comme Catégorie Réalisée ,in : actes de la recherche en sciences sociales (en ligne) , décembre ,vol 100.

5- Boutin G. et Durning P.(1999).les interventions auprès des parents :innovation en protection de l'enfance et en éducation spécialisé,2 éd, Dunod, paris.

6– Catherine Blatier. (1999). La Delinquance Des Mineurs (l'enfant, le psychologue, le droit), presses universitaires de Grenoble, France.

7– Daniel Bertaux. (2006). Le Récit De Vie, Armand Colin, pour la 4eme édition, Dunod, Paris.

8– Delacour J. (1995). Une Introduction Aux Neurosciences Cognitives . Deboek université , paris ,Bruxelles.

9– Destaillats et all. (2010). Le Lien Familial À L'épreuve Du Handicap : La Consultation Handicape Et Famille . PDF.

10– Didier Lauru.(2003).Figures De L'autorité À L'adolescence, enfances et psy.

11– Fesian Hocine. (2005/2006). Identité Féminine-Identité Masculine A Propos Des Relations Hommes/Femmes En Algérie , thèse de doctorat d'état psychologie clinique, université d'es-Senia Oran.

12– François Marry et al .(2002). le lien et quelques-unes des ses figures, collection psychanalyse et santé , publications de l'université de Rouen.

13– Gérard Poussin et Elisabeth Martin-Lebrun. (1999). Conséquences De La Séparation Parentale Chez L'Enfant , Dans La Collection Fondation Pour Enfance ,ères.

14– Guy Corneau, (2003). Pére Manquant Fils Manqué, Les Editions De L'homme, Une Division De Groupe Sogides, Edit J'ai Lu.

15– Hurstel F. (2002). Fractures Dans La Paternité, Leurs Enjeux Pour Le Role Et La Function Des Peres Contemporarines, Filigrane, volume 11,n 02.

16- Jean Claude Fillaux. (2005). Analyse D'un Récit De Vie, Presse Universitaire De France « hors collection ».

17- Jean-Pierre Clero. (2002). Le Vocabulaire De Lacan, ellipse edition marketing S.A, Paris, France.

18- Jodlet Denise, Représentation Sociale , phénomène , concept et théorie , dans Moscovici s , psychologie sociale ; PUF .

19- Jorge Alberto Serrano et Veronica Serrano. (2003) . Ruptures Des Liens Familiaux Et Processus De Socialisation De L'enfant (article) , interacao em psicologia .

20- Laplanche J. et J.B. Pontalis. (1996). Vocabulaire De La Psychanalyse , Sous La Direction De Daniel Lagache , Presses Universitaire De France , Edition Delta, France .

21- Laplanche J. et J.B. Pontalis. (1994). Vocabulaire De La Psychanalyse , édit 12 ,Presses Universitaire De France , Edition Delta, France .

22- Le Camus. J.(2004). Le Vrai Rôle Du Père , éd. Odile Jacob , paris.

23- Le Camus. J.(2005).Comment Etre Pre Aujourd'hui, Ed.Olide Jacob. Paris.

24- Le Camus. J. (2011). Un Pere Pour Grandir, Essai Sur La Parentalite, Edit. Robert Laffont, Paris

25- Malweska – Peyre H.et TAP P. (1993). marginalité et trouble de la socialisation , 1 ère éd , PUF – presse universitaire de France , Paris .

26- Marie-José chombort de lauwe ; Nelly feuerhaln , Représentation Sociale Dans Le Domaine De L'enfance, Les Représentations Sociales Sous La Direction : Denise Jodlet , Paris 5 , PUF .

27- Michel Born. (2006). Psychologie De La Délinquance, 2em Edition , Editions De Boeck Université , Bruxelles.

28- Michel Born et Fabienne Glowacz. (2014). Psychologie De La Délinquance , de Boeck , 3em edition.

29- Moscovici S. (1992).Représentation Sociale , Dictionnaire De Psychologie Larousse .

30- Moscovici S (1998). Représentation Sociale , 07 édition ; PUF .

31- Nathalie Blanc. (2006). Le Concept De Représentation En Psychologie , In Presse Edition.

32- Pouptois h. et Desmet J. P. (2000). Relation Familiale Et Résilience , collection savoir et formation l'harmattan .

33- Tap p. (1988). La Societe Pygmalion , Integration Sociale Et Realization De La Personne, Dunot, Bordas, Paris.

Winnicott D .W. (1999). L'enfant Le Psyché Et Le Corps , Trad. . FR Michelin (M) Et Rosaz (L) Payot , P

الملاحق

الملحق الأوّل:

أسئلة دليل المقابلات

الأبعاد	الأسئلة المطروحة خلال المقابلات
البعد الأوّل النموذج و الصورة الوالدية	1- هل يمكن أن تعرّف لي أسرتك ؟ 2- كيف هي علاقتك مع والديك (الأب ثم الأم) ؟ 3- كلّمني عن أبيك ..... عن أمك 4- هل تعتبر والديك قدوة لك ؟ 5- من تريد أن تكون شبيها له داخل الأسرة و أن تقلّده ؟ 6- هل يوجد في العائلة من تفضله و تتفاهم معه؟
البعد الثاني المعاش و الروابط الأسرية	7- هل ترى وجود تفاهم بين أفراد الأسرة ؟ 8- كيف تجد العلاقات داخل أسرتك ؟ 9- هل يجتمع أفراد الأسرة داخل المنزل أم هم بعيدين عنه ؟ 10- كيف يكون الجو عند الاجتماع ؟ 11- هل تعتقد أن والديك مصدر عطف و ثقة بالنسبة إليك ؟ 12- هل تجد لدى والديك مساواة في التعامل بين أفراد العائلة ؟ 13- هل تجد مكانة عند والديك ؟ 14- هل تعتقد أن والديك يثقون بك ؟ 15- هل يسمح لك والديك التعبير عن مشاعرك اتجاههم ؟ 16- هل تجد من يصغي إليك داخل المنزل ؟ 17- هل ينفق والديك ما يكفي من الوقت معك ؟ 18- إذا كنت بحاجة إلى فرد من العائلة إلى من تتجّه ؟ (فيمن تثق في العائلة) ؟ 19- هل شعرت أنك محبوب في طفولتك ؟ 20- هل سبق لك و أن هربت من المنزل ؟ و ماذا تفعل في ذلك الوقت ؟
البعد الثالث السلطة و الرقابة	21- هل والديك يراقبونك خارج المنزل ؟ من يراقبك ؟ 22- هل تطلب الإذن للخروج من المنزل ؟ 23- ما هو موقف والديك تجاهك إذا فعلت أشياء خاطئة ؟ 24- هل تنال دائما عقوبات ؟ من يعاقبك ؟

الوالدية.	25- هل تتلقى دائما معاملة قاسية من والديك ؟ 26- كيف كان رد فعل والديك أثناء قيامك بأوّل جنحة ؟ 27- في اعتقادك ما هو الرد الصحيح تراه مناسبا من الوالدين عند قيام الطفل بأوّل جنحة ؟
البعد الرابع الانحراف	28- ما هو سبب قيامك بأوّل جنحة ؟ كم كان سنك أنداك ؟ 29- هل تعتقد أن الجنوح له علاقة بالعائلة ؟ كيف ؟ 30- حسب اعتقادك ما هو السبب الذي يجعل الشباب ينتقلون إلى الجنوح ؟ 31- كيف تعرّف جماعبة الرفاق؟ و كيف تفسّر انتمائك إليهم؟
البعد الخامس تلخيص عام	32- هل تجد ذكريات سعيدة مع عائلتك ؟ أم العكس ؟ 33- هل تفتقد أشياء في حياتك ؟ 34- هل تريد أن تكون بجانب عائلتك ؟ 35- كيف تريد أن تكون العائلة إذا رجعت إليها ؟ 36- ماذا تفتقد من عائلتك ؟ 37- ما الذي يمكن أن تطلبه من عائلتك ؟ 38- ما هي توقعاتك للمستقبل ؟ 39- هل ترغب في تكوين أسرة في المستقبل ؟